محمد سليمان

من مذكرات نائب سوداني

دار الثقافة
بيروت - لبنان

محمد سليمان

من مذكرات نائب سوداني

دار الثقافة
بيروت - لبنان

إهداء

الى زملائي اعضاء رابطة المعلميـــن الاشتراكيين خاصة والخريجين عامة الذين أولوني شرف النيابة عنهم في فترة حــرجــة مــن تاريــخ بلادنا المعاصر .

ديسمبر ١٩٦٨ محمد سليمان

مقـــدمة

اسفرت نتيجة الانتخابات العامة التي جـرت في البلاد في مارس عام ١٩٥٨ عـن قيام البرلمان السوداني الثاني حيث شكلت حكومـــة أئتلافيـــة من حزبي الامـــة والشعب الديمقراطي وظهر منــذ اليــوم الاول انعطاف الحكومة نحو الغرب وهي الحكومة التي اجازت المعونة الامريكيـــة وكانت الحركة الشعبيـــة قوية متماسكة انتظمت فيها جبهة وطنيـــة وكان اتحاد نقابات العمـــال يلعب دورا رئيسيـــا حاسما في الهجوم على تلك الحكومة ولم يكن امام رئيس الحكومة وسكرتـير حزب الأمة وبيت المهدي الا ان يسلمـوا الحكم الى قيـــادة الجيش السوداني وكان اليساريون في اجتماعاتهم السياسية يدعـون الشعب لليقظة بل وخرجت صحيفتهم « الميدان » بعددها رقم ٣٨٦ بتاريـخ ٣ نوفمبـر ١٩٥٨ بمقال تحت عنـــوان « افتحـوا عيونكم جيـدا . الامريكـــان يسعـون لتدبير الانقـلاب المقبل في السودان » ـــ وفي صبيحة ١٧ نوفمبر حدث ما كان متوقعا وقامت حكومة عسكرية رئيسها الفريق ابراهيم عبود قائد الجيش السوداني آنذاك .

ومنذ اليـوم الاول لهذه الحكومة اتخذ اليساريون موقفـــا واضحا محددا منها في بيان المكتب السياسي للحزب الشيوعي بتاريخ ١٨/١١/٥٨ جاء في نهايته : ـــ

« ان حزبنـــا مواجه بمهام تاريخية كبرى لتفشيل مؤامـرات الاستعمار والرجعيـــة وهو قادر على ذلك لأن الحركة الجماهيريـــة

في وضع متقدم ولأن القوى الوطنية من الضباط موجودة وكبيرة داخل الجيش فاذا قام حزبنا موحدا بواجباته بحكمة وثبات ثوري فانه سيحرز الانتصار قطعا ، يجب الا نترك الحركة الشعبية تتقهقر بل علينا استنهاضها . استنهاض كافة الاقسام الوطنية ووقوفها بصلابة بجانب مطالبها الوطنية الديمقراطية المشروعة » .

قام الحكم العسكري باداء مهمته التي من اجلها دبر ونفذ بليل فحلّ النقابات والهيئات والاحزاب ونكل بالاحرار وقذف بهم في المعتقلات والسجون وساقهم الى المشانق وفتح الباب على مصراعيه للنفوذ الامريكي ووقف موقفا معاديا لقضايا الشعوب وشوّه وجه البلاد بما خط من سياسة وما ارتكب من فساد .

ولكن الشعب السوداني لم تلن قناته رغم كل ذلك فاستجمع صفوفه وكان على موعد مع التاريخ عندما اكتملت عناصر الثورة وكانت ساعة الصفر التي كان يعد لها ستة سنوات حادث الجامعة ومقتل الشهيد القرشي فوثب كالليث وانقضّ كالنسر وكانت نهاية لحكم غشوم .

راع العالم ما قام به الشعب السوداني جميعه بمختلف هيئاته وافراد جيشه الباسل في القضاء على الحكم العسكري والطريقة التي حقق بها نصره المؤزر فسلاح الاضراب السياسي الجماعي ولمدة اسبوع تجربة فريدة في نوعها يسجلها التاريخ للشعب السوداني وكذلك قيام جبهة الهيئات التي اوحت بها عبقرية الشعب السوداني ـ شهد العالم ثورات ضد الظلم والقهر ولكن ثورة السودان تمتاز عليها جميعها من حيث هبة القطر كله بابعاده الجغرافية واشتراك الشعب بهيئاته وتنظيماته وتنظيم الثورة الدقيق واستلام الاقاليم للسلطة وارتفاع اهلها الى مستوى المسئولية في حراسة مرافق الدولة

وممتلكات الاجانب وتسيير دفة الحكم فيها كما حدث في مدني والابيض وكسلا والدويم وبورتسودان وكوستي ولم يسجل أي حادث جنائي واحد طيلة فترة الثورة .

واخذت المؤامرات تعمل فعلها في تشكيل الوزارة الانتقالية الاولى وفي اسقاطها بالعنف بعد ان جلبوا الاتباع من الاقاليم وتشكيل الحكومة الانتقالية الثانية التي كانت للاحزاب التقليدية فيها اليد الطولى واجهضت ثورة اكتوبر لتعود الاحزاب الى الحكم وبصيغة دستورية اجريت انتخابات الجمعية التأسيسية .

ان التاريخ سيتحرج من ان يسجل لتلك الجمعية أي مأثرة ، فقد كانت تشل قمة الردة السياسية . لقد كانت كدليلة خليلة شمشون بين السيد محمد احمد محجوب والصادق المهدي وما دار في قاعتها من تبجح وغرور وسلاطة لسان وثرثرة الادعياء ثم ما كان يجري في فنائها من سوق للنخاسة وبيع للذمم وناهيك من حجرها للفكر وتمردها على القانون كل ذلك او بعض منه كاف لأن يجعلها تذهب غير مأسوف عليها .

انني هنا اسجل للحقيقة والتاريخ بعض ما شهدته وما وقفت عليه في تلك الجمعية وكما قاله كاسكا لكاسيوس وبروتس يصف لهما ما دار في احتفال تتويج قيصر في رواية يوليوس قيصر لشكسبير «وما زال هناك من السخافات فوق ما رويت لو اني استطيع تذكرها» وفي سجل مداولات الجمعية ما يغني .

المؤلف

الخرطوم في ديسمبر ١٩٦٨

ميلاد رابطة المعلمين الاشتراكيين

اعادت ثورة اكتوبر ــ وتسميتها ثورة مجازاً ــ الحياة الديمقراطية للبلاد واسرع المواطنون يعيدون بناء اتحاداتهم ومنظماتهم النقابية التي كان الحكم العسكري قد صادرها ولم يسمح الا لبعضها يسيرها وفق اهوائه وكان المعلمون في طليعة هذه القوى التي عجلت ببعث تنظيماتها وتكوين اتحاد عام انضمت تحت لوائه كل نقابات المعلمين وقد كان قيام اتحاد عام للمعلمين املا وامنية مطوية سعينا لتحقيقها منذ وقت طويل بل ووضعنا مشروع دستور له في عام ١٩٥٨ غير ان الانقلاب العسكري قضى على تنفيذ ذلك الامل بل وحل النقابات وعندما سمح لبعضها خاصة المنظمات المهنية لم يسمح للمعلمين بمعاودة نشاطهم النقابي بتهمة ان نقابات المعلمين تخضع لقيادة يسارية ثم سعى بعض المعلمين لفتح ناد للمعلمين دون ان يكون له أي نشاط نقابي غير ان ذلك الطلب رفض ايضا .

ويعود الفضل في قيام النشاط النقابي في السودان الى الطبقة العاملة وبالذات عمال السكة الحديد الذين اخذوا زمام المبادرة ودخلوا في نزاع مع الادارة الاستعمارية وضحوا في سبيل ذلك تضحيات كبرى يحفظها لهم المواطنون بكثير من الامتنان حتى كللت اعمالهم ببناء ذلك الصرح النقابي الشامخ حيث فرضوا قانون العمال والعمل وفتحوا السبيل لزملائهم المهنيين لبناء تنظيماتهم النقابية وفي وقت تحرك فيه المواطنون بعد الحرب العالمية الثانية مطالبين بنهاية ذلك العهد الاستعماري وزاد من قوة تلك الحركة ان انتظمت فيها جموع العمال

في تنظيماتها الجديدة فدفعتها دفعا وقوّت من شأنها بل اضحت عطبرة معقلا سياسيا خطيرا اقض مضاجع الاستعماريين ثم انبرى العمال يحددون موقفهم السياسي وسط الضباب الكثيف الذي غطى على الحركة السياسية بفعل الاحزاب فمنها من كان ينادي بوحدة وادي النيل تحت تاج الفاروق والاخر يدعو للاستقلال متعاونا مع المستعمر ـ حسم العمال الموقف اذ اعلن اتحاد النقابات رأيه الواضح الحاسم في ديسمبر ١٩٥١ مناديا بالجلاء الفوري اقتصاديا وسياسيا ومطالبا بحق تقرير المصير ومهيبا بالمواطنين لخلق وحدة وطنية ولا تعاون مع الادارة الاستعمارية في أي صورة من الصور .

كان المعلمون في طليعة النقابات التي هرعت تنظم نفسها والمعلمون السودانيون لهم تراثهم التاريخي في الحركة الوطنية ولعل نقابة مدرسي المدارس فوق الاولية ـ وكانت تضم مدرسي الوسطي والثانوي ـ كانت اول نقابة مهنية تم تسجيلها في ديسمبر ١٩٤٩ ولم يكن طريق النقابيين المعلمين مفروشا بالورود بل لقي اولئك النقابيون عنتا شديدا ومطاردة وملاحقة من وزارة المعارف آنذاك فقد كانت مطالب المعلمين لا تقتصر على تعديل شروط الخدمة وشئون المعلمين الذاتية بل تعدتها للمطالبة بتعديل سياسة الوزارة التعليمية في المذكرة الضافية التي ارسلتها النقابة الى مدير وزارة المعارف عام ١٩٥٢ بعد سلسلة اجتماعات مع ادارة المعارف ما يؤكد تلك الحقيقة اذ حوت المذكرة ٣١ بندا منها عشرون بندا مطالب عامة كالتوسع في التعليم وتعديل البرامج الدراسية وجعل اللغة العربية اللغة الاساسية في المدارس والاهتمام بالتعليم الفني والمهني ومجانية التعليم واسناد المدارس التبشيرية في الجنوب لوزارة المعارف وغيرها من المطالب ، زيادة على ما كانت تقوم به نقابات المعلمين في المشاركة الفعالة في الحركة الوطنية ومساهمتها في كل قضايا البلاد الملحة .

كانت نقابات المعلميـــن حقا اجهزة للبناء ولكن بالرغم من ذلــك وعندما قامت في البلاد اول حكومة وطنية ــ حكومة الوطني الاتحادي ــ أتسم موقفها بالعداء السافر للتنظيمات النقابية وتسخير وسائل الدولة واجهزتها لمحاربتها ولم تنج نقابات المعلمين من عداوة حكومة الوطنـــي الاتحادي ، الامر الذي حمل نقابة مدرسي المدارس فوق الاولية الى رفع استقالات جماعية في عام ١٩٥٥ ثم سحبت هذه الاستقالات بعد ان تــم الاتفاق على اجابة بعض من المطالب .

وكذلك لم يكـــن موقف الحكومات الحزبية الاخرى او المؤتلفة بأحسن مـــن موقف حكومة الوطني الاتحادي فقد كانت جميعهـــا تناصب الحركة النقابية العداء ولو استطاعت سبيلا لألغت التنظيمـــات النقابيـــة ولكـــن بالرغم مـــن كل ذلك سارت الحركة النقابية في قوتها وتماسكهـــا .

عبّر شعبنا عـــن رغبته في التقدم والانعتاق من قيـــود الماضـــي والانعطاف الواضح نحـــو الاشتراكية تعبيرا اكدته ثورة اكتوبر فقد ادرك الشعب بخبرته وتجاربه منـــذ الاستقلال السياسي ان الطريـــق الذي سار عليـــه لم يعد يؤدي به الى تطلعاته وما ينشده من تجديـــد وتبديل وما يصبو اليه من رخاء مادي وفكري ــ لقـــد ادرك شعبنـــا ان الاثني عشر عاما التي قضاها منذ ان حقق استقلاله السياسي لم تقوده الا الى مزيد مـــن البؤس والتخلف وهو يرى ان كثيرا مـــن البـــلاد المجاورة التي فاتها وسبقها في تحقيق الاستقلال السياسي اخذت تمسك باسباب التطور وتسيـــر خطوة نحو الرفاهية والحياة الكريمة . ومن هنـــا برزت ثورة اكتوبـــر كمعلم رئيسي في تاريخ شعبنا الحديـــث وطرحت بعنف شديد امام الاحزاب قضية الاشتراكية ورفض الطريق القديـــم العتيق المدمر الذي ساقته عليه ذلك الطريق الذي يقوده الى الفخ الكبير الذي ينصبه الاستعمار حتى يقع من يسير عليه فريسة في

قبضته والخضوع لمؤسساته .

تركت ثورة اكتوبر اثرا بليغا في مختلف الهيئات والفئات واحدثت تحولات كبـرى دفعت بها نحو مواقع اليسار والاشتراكية ومن ضمن هذه الفئات وربما على رأسها المعلمون فقد كان ومـا زال الفكـر الاشتراكي عميقا بين المعلمين السودانيين وقـد اسهموا بأوفر نصيب في نشر الوعي وكانوا وما زالوا يحملون مشاعـل النور والتقدم في كـل بقاع السودان ملتصقين بالشعب دون تعال أو صلف يقاسمونه اتراحه وآلامه ويبشرونه بالامال العريضة نحو المستقبل المنشود . ظل المعلمون السودانيـون يبثون الافكار الاشتراكيـة ويقربونها لفهم مواطنيهم اذ ان طبيعة عملهم تقريب الفكر الى العقول ولم يعد المعلم معلم الصبيـة الذي روى الجاحظ قولا لاحدهم ذات مرة

كيـف يرجى العقـل والـرأي عنـد
من يروح على انثى ويغدو على طفل

كانت الحاجة ملحة اذا لتكويـن تنظيم يلائم التحول الـذي حدث وسط المعلمـين وليستوعب الاتجاه العام بينهم نحو اليسـار والرغبة في تطور البلاد عن طريق الاشتراكية ولتجميعهم من اجل تجديد حيـاة الشعب مـن الناحيـة الثقافيـة بشكلها العام ووضـع اسس جديدة لثقافة وطنية تستمـد جذورها مـن تاريخ واصالـة الشعب السوداني مسترشدة بمبادىء ثورة اكتوبر .

كان لا بد مـن نظرة جديدة لدور العلـم والمناهج التعليميـة ووضع اسس وقواعد رئيسية كبرى لواجبات واهداف التعليم لتحـل محل ما بذره وخلفه المستعمـر فقد ظل التعليم منـذ فجر التاريـخ والى يومنا هذا متأثرا بالنظام السائد في المجتمع وبعلائقه الاجتماعيـة وهو لذلك سلاح حاد في يد الفئة الحاكمة توجهه وفـق حاجياتهـا

واهـــدافهـــــا .

في المجتمعات البدائية الاولى لم يكن الاطفال في حاجة الى تربية وتعليـــم الا بقدر ما يكفي حاجياتهم في اكتساب القوت والجري وراء الرزق فقد كانوا يقلدون اباءهم في خطواتهم وحياتهم اليوميـــة ولكن وعندما ارتقى الانسان مدرجة اخرى وانقسم المجتمع الى طبقتين ظهرت فئة مـــن الناس فرضت سيادتها الروحيـــة تدعيما لسيادتها المادية وكان لا بد للطبقة السائدة ان تنظم نفسها وملكيتها فكان ان تكوّنت النواة الاولى للادارة والتنظيـــم والتعليـــم وحلت الكتابة بالحروف والاعداد محل الرموز والنقوش واصبحت القراءة والكتابة مـــن الاعمال المقدسة التي لا يباشرها الا اناس مخصصون انحدروا من الطبقة السائدة كما تدل النقوش في المعابد والهياكل القديمة واصبح للكهان شأن أي شأن ومنذ ذلك الوقت وضع حد فاصل بين التعليم في العهـــود البربريـــة البدائيـــة وفي مجتمع الحضارات الاولى التي ظهرت في ضفاف الانهار كالهند والعـــراق ووادي النيل واصبح التعليـــم مرآة للتفاوت الطبقي.

وبقيام المسيحيـــة اقتصر التعليـــم ايضا على الكنيسة وكان كل المعلمين مـــن القسس ورجال الدين واصبحت الكنيسة هي الوحدة التعليميـــة حتى عهد الاصلاح الديني في القرن السادس عشر بل وحتى الجامعات العريقة في اوروبا الان يرجع تاريخها الى الكنيسة وارتباطها بهـــا .

وعندما جاء الاسلام اصبح المسجد بطبيعة الحال الوحدة التعليمية منـــذ عهد النبي صلعم وخلفائه حيث اتخذ المسجد في مكة والمدينـــة مركزا لتدريس الديـــن الاسلامي واصوله ثم انتقل الحـــال للبـــلاد الاسلاميـــة الاخرى فيما بعد وكما كانت اللغة اللاتينية هي لغة التعليم المسيحي اصبحت اللغة العربية التيورد بها القرآن لغةالتعليم الاسلامي.

ونجد نفس أسس التعليم وقواعده التي ذكرناها آنفا تنطبق ايضا في السودان الشمالي في عهوده الاولى فقد عرف الهيروغلوفية بحكم صلاته الوطيدة بمصر وعندما انقطعت صلته بمصر في فترة حرجة من تريخه بحكم تعاقب الاسر الاجنبية على مصر اخترعت طبقته الحاكمة نوعا من الحروف وعرف القراءة والكتابة وقد اقتصر التعليم على طبقة خاصة ايضا هي الطبقة الحاكمة حيث سجلت انتصاراتها واعمالها في المعابد والهياكل في القرن الاول قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي .

وبدخول المسيحية في السودان انتقل التعليم الى ذلك العدد المحدود من الكنائس في المدن وحظيت الطبقة الارستقراطية الحاكمة بالتعليم حيث كانت تتناقله من الكهان الاقباط ومن السودانيين الذين استطاعوا فيما بعد ترجمة بعض اجزاء الكتاب المقدس الى اللغة النوبية وكتبت بالحروف القبطية او اللاتينية الى ان اخذت القبائل العربية تتسرب رويدا رويدا على مر السنين وتتزاوج من السكان المحليين في السودان عدة قرون واخذ الاسلام ينمو ويزدهر في هذه البقاع واصبحت الخلوة (من اختلاء) والجامع وحدات تعليمية يدرس فيها القرآن والعلوم الدينية وكانت تلك الوحدات التعليمية تضطلع بمهمتها حيث كان الناس يفدون من مختلف الاماكن للتعليم وكان السلاطين والملوك يغدقون على العلماء وعلى تلك الخلاوي ويعطونها اقطاعيات واسعة تساعد في استقرار تلك الخلاوي كما وان هجرة كثير من السودانيين الى الازهر الشريف في مصر ووفود كثيرة من العلماء من مصر والبلاد الاسلامية الاخرى في السودان ساعد في نقل بعض العلوم الحديثة كالحساب والادب والتاريخ .

وفي عهد الحكم التركي على السودان ادخل ما يسمى بالتعليم النظامي جنبا الى جنب مع التعليم الديني . وفتحت بعض المدارس درست فيها اللغتان التركية والعربية والعلوم الحديثة وكانت هذه

المدارس تؤدي خدمات للادارة التركية في البلاد فمدتها بالكتبة والمحاسبين وعمال التلغراف والفنيين .

وبقيام المهديه عطلت تلك المدارس وتغير مفهوم التعليم واقتصر على القرآن والسنه وراتب الامام المهدي ، حتى اذا دانت البلاد للحكم الاستعماري البريطاني حفظ القدر اليسير من التعليم ليخدم غرضا واحدا وهو ان يمد الجهاز الحكومي بمواطنين يشغلون المناصب الدنيا فيه من كتبة ومحاسبين وعمال صناعيين ذوي مقدرة محدودة من المهارة اليدوية كما واخذ يعمل المستعمر في نشاط وهمة للقضاء على التراث القومي للبلاد وثقافتها العربية .

ولذلك وضح جليا ان التعليم عملية اجتماعية تختلف باختلاف الزمان ومتطلبات المجتمع والسودان منذ ان نال استقلاله السياسي اصبح في حاجة ماسة لمراجعة موقف التعليم ونظامه ومناهجه فالمدرسة كما هو معروف تضطلع بمهمة تكوين الاجيال وتسهم بأوفر نصيب في بلورة شخصية المواطن واصبح لا بد من تحديد اهداف ومناهج تربوية جديدة على اسس اشتراكية ديمقراطية لتكون تلك المناهج والقواعد في خدمة النظام الاشتراكي في البلاد وتنظيم حياة المدرسة مع روح الاشتراكية وقيمها ومثلها حتى يشب الاطفال مهيئين لهذا المجتمع الاشتراكي الجديد وليكونوا عنصرا فعّالا منتجا وايجابيا .

كانت الحاجة تلح في ايجاد تنظيم اشتراكي وسط المعلمين ليقوم برسالته الجديدة في ميدان التعليم وليعمل من اجل تدعيم وتقوية روح الاشتراكية العلمية والديمقراطية في حياة المواطنين في كل الجوانب باعتبارها الاسلوب الانشائي الافضل لترقية الحياة والعمل الايجابي مع كل الفصائل الاشتراكية في المجالات الاخرى وفي اجتماع تمهيدي مساء ٢٩ يناير عام ١٩٦٥ ولدت رابطة المعلمين الاشتراكيين .

انتخابات الجمعية التأسيسية

اخذت القوى الرجعية منذ اول يوم لنجاح ثورة اكتوبر تعمل على عزل الشيوعيين والقوى الثورية التي فجرت الثورة واتخذت مخططها ذلك في حملة مسعورة مليئة بالافتراءات والاكاذيب وجلبت الاتباع ولجأت الى اسلوب !التهديد والوعيد حتى اتت تلك الحملة أكلها باستقالة رئيس الحكومة الانتقالية تلك الحكومة بالرغم من انها لم تكن تمثل روح الثورة الحقيقي اذ اسهمت في اختيارها نفس القوى المعادية للثورة الا انها كانت حكومة وطنية ديمقراطية كان المؤمل ان تأتي بالكثير . وكسبت القوى الرجعية الجولة الاولى وأتت بحكومة الاغلبية فيها لتلك القوى حيث فرضت انتخابات الجمعية التأسيسية دون ادنى اعتبار لما حل بالبلاد من تغيير ودون اعتبار للقوى التي فجّرت ثورة اكتوبر .

وكان النائب [1] العام قد اصدر فتوى بناء على طلب السيد رئيس مجلس الوزراء يؤكد فيها ان اي انتخابات جزئية في البلاد لا يمكن ان تتمخّض عنها جمعية تأسيسية تملك سلطة وضع واقرار دستور دائم للبلاد . وكذلك اصدرت نقابة المحامين [2] بيانا تهاجم فيه قرار مجلس السيادة باجراء الانتخابات وتفند الاسس التي ارتكزت الفتوى القانونية التي وجهت بها هيئة مستشاري المجلس .

وجرت الانتخابات وفق احصاء ٥٦ وتحت قانون ١٩٥٨ الذي اتى

---

١ ــ ملحق رقم (١) .
٢ ــ ملحق رقم (٢) .

ببرلمان ١٩٥٨ ذلك البرلمان الذي ثبت عجزه عن التعبير الحقيقي لارادة الشعب ، تم توزيع الدوائر في ظل ذلك القانون حيث خصصب دوائـر اكثر في المناطق الواقعة تحت نفوذ الطائفية والادارة الاهلية في وقت كان من اهم نداءات ثورة اكتوبر تصفية تلك الادارة .

كان توزيع الدوائـر كالآتي : —

٣٦ دائرة	مديرية كردفان
٢٤ دائرة	مديرية دارفور
٢٣ دائرة	مديرية كسلا
٤٥ دائرة	مديرية النيل الازرق
١٣ دائرة	مديرية الخرطوم
١٧ دائرة	المديرية الشمالية
٦٠ دائرة	المديريات الجنوبية
١٥ دائرة	الخريجين
٢٣٣	المجموع

ايدت ثلاثة احزاب اجراء الانتخابات الجزئية في السودان وهي الامة والوطني الاتحادي والاخوان المسلمون وعارض اجراءها حزبان حزب الشعب الديمقراطي والحزب الشيوعي غير ان الحزب الشيوعي لم يقاطع الانتخابات كما قاطعها حزب الشعب الديمقراطي وقد اصدرت السكرتارية المركزية للحزب الشيوعي بيانا بعنوان « لمـاذا قررنا [٣] دخول الانتخابات » كما اصدر حزب الشعب الديمقراطي بيانا بعنوان « فتوى النائب العام [٤] سلاح في يد الشعب » .

ارجو ان لا يفوتني بعد ان وضحت شيئا يسيرا عن انتخابـات

---

٣ — ملحق رقم (٣) .
٤ —ملحق رقم (٤).

الجمعية التأسيسية المزعومة ان اشير الى التصريح الخطير الذي ادلى به السيد صالح محمود اسماعيل قطب الوطني الاتحادي ووزير الاستعلامات في الحكومة الانتقالية الثانية بخصوص تمويل المعركة الانتخابية حيث قال سيادته في ام درمان مساء الخميس ٤ نوفمبر ١٩٦٥ في اجتماع سياسي لصالح السيد طيفور الشايب احد المرشحين في الدائرة الجنوبية قال سيادته ان السيد اسماعيل الازهري قال في اجتماع للوطني الاتحادي في عهد الحكومة الانتقالية الثانية ان ابراهيم جبريل بالاتفاق مع الشركات الاجنبية ودوائر اجنبية اخرى قد وصل الى اتفاق لتمويل المعركة الانتخابية بمبلغ نصف مليون جنيه مناصفة بين الوطني الاتحادي والامة وقال سيادته انه كان يعترض مع زملائه على اجراء الانتخابات .

واتصلت صحيفة الميدان الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوداني بالسيد صالح محمود اسماعيل طالبة اليه اعطاء المزيد من التفاصيل حول تصريحه الخطير حيث قال سيادته :

« حدثت هذه [٥] القصة قبل اجراء الانتخابات بفترة وقال اننا كنا نعترض على اجراء الانتخابات لعدم الاستعداد المالي للحزب ولكن عندما اصبح اجراء الانتخابات امرا واقعا كان لا بد ان نجتمع لنناقش الاستعداد لها وكانت مناقشة الجانب المالي في مقدمة المشاكل .

وفي احدى الاجتماعات طرحت مسألة تمويل المعركة الانتخابية واقترحنا من جانبنا فتح حملة تبرعات وسط جماهير الحزب . وهنا تحدث السيد اسماعيل الازهري قائلا : ــ

« ان مفاوضات تجري الان بين السيد ابراهيم جبريل وبعض الشركات الاجنبية لتمويل المعركة الانتخابية ــ وقال ان الاتفاق قد تم

٥ ــ الميدان العدد ٦٢١ تاريخ ١٩٦٥/١١/٧ .

على ان تدفع هذه الشركات نصف مليون جنيه توزع مناصفة بين حزب الامة والحزب الوطني الاتحادي . وقال السيد اسماعيل الازهـري ان التصريحات التي ادلى بها حول «لا تحالف ولا تنسيق مع حزب الامة» قد جعلت الشركات تؤجل صرف المبلغ في ذلك الوقت .

وهنا بهت المجتمعون لهذا الحديث الخطير وثرنا ثورة شعـواء وأكدنا اننا نرفض رفضا باتا تمويل الشركات الاجنبية وتتخلى تمـاما عن الامانة والرسالة الوطنية .

وفي نفس اللحظة وقعت شيكا بمبلغ ٣٠٠ جنيه تبرعا مني لتمويل الحملة الانتخابية رغم ضآلة رصيدي في البنك ولا تزال احوالي المالية متأثرة بهذا التبرع وتبرع السيد الحاج مضوي في نفس الاجتمـاع بمصاريف انتخابات دائرتين كما تبرع السيد الشريف الهندي بنفقات ثلاثة دوائر .

وقد طالب المجتمعون بتكوين لجنة تحقيق في ذلـك الموضوع الخطير ووقف اي اتصالات بالدوائر الاجنبية وطرد العضو المسئول عن ذلك العمل المشين ابراهيم جبريل ولكن التحقيق لم يتم حتى الان ولا يعرف احد كيف مولت الحملة الانتخابية .

لقد تحدثت كما تذكرون في الاحتفال الذي اقامه العمال في اول مايو الماضي وهاجمت الشركات الاجنبية هجوما عنيفا وأكدت انهـا سبب كل البلاوي في هذا البلد وبعد ايام قليلة من ادلائي بتلـك التصريحات صدر قرار بفصلي من الحزب الوطني الاتحادي ولا شك عندي ان هذا القرار قد اصدرته تلك الشركات نفسها وليس هذا امرا غريبا فاذا كانت الشركات الاجنبية هي التي تمول الحزب فكيف تقبل وجود وزير يهاجمها من وزراء الوطني الاتحادي » .

وكان الحزب الشيوعي قد ابدى اعتراضه في مذكرة ارسل بهـا لمجلس السيادة في ١٨/٣/٦٥ على اجراء الانتخابات ونادى بتأجيلها

وكان مما جاء في تلك المذكرة بالحرف الواحد :

« ثالثا ــ ان اجراء الانتخابات خلال فترة قصيرة مليئة بالتوتر ومزدحمة بالاحداث يعرض بلادنا لخطر التدخل الاجنبي في الانتخابات خاصة ونحن نعلم ان معظم الاحزاب في بلادنا فقيرة وربما لجأ بعضها الى العون المالي من دوائر اجنبية بينما تأجيل الانتخابات يعطي هذه الاحزاب فرصة كافية للاستعداد ماديا » .

وكان الحزب الشيوعي قد وزع في كروت صغيرة اسماء مرشحيه وعلى تلك الكروت فقرات من برنامجه جاء فيها : ــ

« ان الثورة الديمقراطية تفتح آفاقا جديدة لخلق ثقافة سودانية مناهضة للاستعمار تستند الى الفكر الانساني العلمي وتستمد جذورها من التراث العربي الاسلامي في الشمال والتراث الافريقي في الجنوب» .

« ان الدولة الديمقراطية استنادا على الديمقراطية السياسية والاقتصادية تشرع في بناء المجتمع الوطني الديمقراطي الذي يمهد الطريق لانتقال بلادنا للاشتراكية .

رشح الحزب الشيوعي عشرة اشخاص وأيد ترشيح خمسة .

وفي صباح التاسع من شهر يونيه ظهرت نتائج دوائر الخريجين وكانت كالآتي : ــ

	الاسم	عدد الاصوات	الحزب
١	ــ حسن عبد الله الترابي	٧١٩١	جبهة ميثاق
٢	ــ صالح محمود اسماعيل	٦٣٤٦	الوطني الاتحادي
٣	ــ فاطمة احمد ابراهيم	٥٩١٨	صوت المرأة ايدها الحزب الشيوعي
٤	ــ حسن الطاهر زروق	٥٥١٠	الحزب الشيوعي

الاسم	عدد الاصوات	الحزب
٥ ــ محجوب محمد صالح	٥٠٩٨	المؤتمر الاشتراكي ايده الحزب الشيوعي
٦ ــ جوزيف قرنق	٤٧٨٩	الحزب الشيوعي
٧ ــ د. عز الدين علي عامر	٤٤١١	الحزب الشيوعي
٨ ــ محمد توفيق	٤٣٠٢	الوطني الاتحادي
٩ ــ عبد الرحمن الوسيله	٤٢٩٧	الحزب الشيوعي
١٠ ــ الرشيد نايل	٣٩٩٠	الحزب الشيوعي
١١ ــ عمر مصطفى المكي	٣٩٥٨	الحزب الشيوعي
١٢ ــ د. الطاهر عبد الباسط	٣٩٠٨	الحزب الشيوعي
١٣ ــ محمد ابراهيم نقد	٣٨٦٧	الحزب الشيوعي
١٤ ــ محمد سليمان	٣٨٤٤	رابطة المعلمين الاشتراكيين ايده الحزب الشيوعي
١٥ ــ محمد يوسف محمد	٣٨٤١	جبهة الميثاق الاسلامي

وفاز ثمانية من اعضاء الحزب الشيوعي وثلاثة من المرشحين الذين ايدهم الحزب وكان الخريجون على عهدنا بهم فهم الذين فجَّروا ثورة اكتوبر وهم الذين منحونا تأييدهم معبرين تعبيرا صادقا عن رغبة شعبنا نحو الاشتراكية . ودخلت المرأة السودانية البرلمان تمثلها القائدة النسوية السيدة فاطمة احمد ابراهيم وكان ذلك كسبا عظيما ونصرا مؤزرا لها ولقضيتها . كما فاز لأول مرة عضو جنوبي بثقة اخوانه الشماليين ذلك كان المناضل الجنوبي جوزيف قرنق .

وكان رد الفعل عنيفا لدى الاحزاب التقليدية فلم تكن راضية على تلك النتيجة التي اكدت وقوف المثقفين بشكل واضح مع اليسار والتجديد .

الجلسة الاولى

في لهفة للحكم هرع الوطني الاتحادي للتعاون مع حزب الامة ذلك التعاون الذي ظل امرا نكرا وما زال تصريح السيد اسماعيل الأزهري بألا" تعاون ولا تنسيق مع حزب الامة يتردد صداه .

ولكن بعد اعلان نتيجة الانتخابات اصبحنا نصحو على نغم جديد بأن تعاون الحزبين الكبيرين وائتلافهما امر تقتضيه الضرورة الوطنية ويمليه واجب الاستقرار .

ويبدو ان نغمة التعاون تلك لم تكن لتجد استجابة عند هيئة الوطني الاتحادي البرلمانية في بادىء الامر فقد ظلت الهيئة البرلمانية منعقدة حتى الساعات الاولى من صباح الخميس العاشر من شهر ونيو حيث حدد للجمعية التأسيسية ان تعقد جلستها الاولى ولما لم تصل الهيئة البرلمانية الى نتيجة فوضت رئيسها السيد اسماعيل الازهري للاتصال بقيادة الامة .

وظهرت صحف الصباح تحمل نبأ الاتفاق وكانت مفاجأة لكثير من اعضاء الهيئة البرلمانية للوطني الاتحادي .

ثم وضع ميثاق التعاون بين الحزبين وفي صباح الخميس وقاعة الجمعية وشرفاتها تكتظ بالنواب والمدعوين جلس كل نائب حيثما اتفق ولم يكن قد خصص لكل نائب مقعدا باسمه وكان ان جلست في مقعد الصف الاخير وبجانبي الاستاذان عبد الرحمن الوسيله (شيوعي) وعبد الرحمن النور (امة) وبالقرب منا جلس السيدان عبد الله جاد الله

(امة) وبشري السيد حامد (امة) وهما من كبار الانصار في منطقة النيل الابيض ولهم وشيج القربى بعائلة المهدي وقبل بدء الجلسة انسجمنا في الحديث جميعا وقد زال عني ما كنت اعانيه من تهيب للموقف فانني بطبعي امقت الاضواء ومثل تلك المحافل التي يلبس فيها المرء لبوسا غير لبوسه ويظهر في جو من التصنع المقيت وتعمدت ان اقدم للسيدين احمد جاد الله وبشرى السيد حامد الاستاذ عبد الرحمن الوسيله وقلت لهما الاستاذ من اقطاب الحزب الشيوعي وكانت الاحزاب آنذاك وطيلة الستة شهور بعد ثورة اكتوبر قد ملأت الدنيا ضجيجا وأفكا وأتهمت الشيوعيين بكل ما هو قبيح وقصدت ان اشير لهما بان من تتحدثا معه هو من تلك الزمرة التي يصب عليها قادتكم جام غضبهم ولكنهما قالا بصوت رزين واحد « اليسوا سودانيين ؟ » .

تلك صورة بسيطة ولكنها تكشف عن مدى الشقة بين قادة حزب الامة وجماهيره وانني لا اخفي اعجابي وعاطفتي نحو الانصار ربما لسبب تربيتي او ربما لانها جماهير طيبة بسيطة تتسم بصفات البداوة حيث النخوة والشهامة والوفاء وتاريخها تاريخ نضال في الثورة المهدية وربما للسببين معا .

لقد كانت كلمة الانصار تطلق على السودانيين جميعهم في عهد الثورة الوطنية بقيادة المهدي وعند حكم الثورة برئاسة الخليفة عبد الله ولكن اليوم تطلق على مؤيدي بيت المهدي والذين استطاع السيد عبد الرحمن المهدي ان يجمع شتاتهم في عهد الحكم الثنائي ويقوي بهم من نفوذه ويجعلهم طوع اشارته . بل انه باشارة من سيادته ردم الانصار في دقائق خور الجاسر في الجهة الشرقية واقاموا جسرا مرت عليه عربات البعثة الزراعية المصرية في زيارتها للجزيرة ابا عام ١٩٣٥ عندما كانت الحكومة البريطانية تساوم الاقطاعيين والبرجوازية المصرية والحكم النازي يهيمن على اوروبا ويقف جنوده في افريقيا على حدود

مصر والسودان والذي شاهد تلك البقعة ورأى قوة الجاسر واتساعه في زمن الفيضان يستطيع ان يقدر ان ذلك العمل بلغ حد الاعجاز وقد سجل الشاعر ذلك العمل في قصيدة مـدح بها السيد عبد الرحمـن حيث قال :

الجاسر ختاك حين صحت يالمفدى
سريع ردم البحر ومر بي الوفد

واستغلت تلك القوى ذات البأس الكبير فيما بعد في تأييد حزب الامة وهكذا باسم المهدية تحول ذلك التراث العظيم الـذي يفخر به السودان في خدمة المآرب الشخصية لاسرة المهدي وظل حبيسا في اسار الجهل والشعوذة ورهن اشارة هذا السيد او ذلك من بيت المهدي .

وعندما اقول التراث العظيم فانني انظر الى تلك الثورة الوطنية بمثابة البعث الذي ايقظ الشعب السوداني وصهر معدنه واجلى نفائسه بعد حكم ظل ستين عاما ينيخ بكلكله على البلاد ولا استمع الـى ما يقوله البعض بان الثورة المهدية كانت رجعة الى الوراء لما اصاب البلاد من خراب وزوال ما كان يقوم به الحكم التركي من اسباب العمران والانشاء والمدارس النظامية . وليس الموضوع موضوع عمران او بناء ولكن الموضوع هو عزة الامة وروحها وكيانها وكرامتها ذلـك هو ما اعادته لنا الثورة الوطنية وما حفظناه ونحفظه لها في كثير من الاعزاز .

ومعذرة ان شردت مع الانصار والثورة الوطنية ولا عود الى تلك القاعة ورغم حر شهـر يونيو وسمومه اللافح الا ان تكييف الهواء قد احال القاعة الى جو رطب منعش كثيرا ما كنت اغالب فيه النعاس طيلة عضويتي في الجمعية ولكنني لم افلح فاستسلـم الى تعسيلة ظريفة وسيبك مما كان يقوله كثير من الاعضاء من سخف القول وسفسطـة الآراء .

وقرع الجرس ايذانا ببدء الجلسة .

ونادى فينا الامين العام السيد علي محمد احمد بعد ان حيانا ورحب بنا ان نقف قليلا اجلالا لشهداء ثورة اكتوبر الذين وهبوا ارواحهم من اجل الديمقراطية .

وامتثلنا لطلب الامين العام .

وقلت لنفسي ما لهذه القاعة ولثورة اكتوبر وما شأنها وهي تضم تسعين عضوا من حزب الامة الحزب الذي مهد وخطط لواد الديمقراطية وخان الامانة عندما سلم الحكم لقيادة الجيش لتنكل بالشعب وعندما كانت مظاهرات ثورة اكتوبر تملأ الشوارع والطرقات لم نر تنظيمات الحزب تسهم مع الاخرين بل وقبلها وعندما هجم الحكم العسكري على الانصار وهم يؤدون شعائرهم الدينية في ساحة المولد الشريف مساء ٦١/٨/٢١ وقتل رصاصه اثني عشر من المواطنين صمتوا صمت القبور وبعد وفاة المغفور له الامام الصديق والزعماء السياسيون في معتقل جوبا كان اول بيان اصدره الامام الهادي هو : ـ

« احبائي في الدين والوطن ،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

سلام يكافيء شعوركم الفياض واستقبالكم العظيم . لقد كنت في الجزيرة أبا مهد اندلاع دعوة الامام المهدي التي الفت بين جميع قبائل السودان وطوائفهم وجمعت كلمتهم لاحياء الدين وتحرير الوطن ولقد لاقينا فيها اخوانكم من سكان النيل الابيض والازرق معزين في فقيدنا الامام الصديق قائد الثورة وحاميها ومجددين العهد للحفاظ على العقيدة والمبدأ فبلادنا على تلك الاسس توحدت اهدافها وانعقدت اطرافها ولذا فقد كان للتصريح الذي جاء في خطاب السيد الفريق

ابراهيم عبود رنة تفاؤل وامل في وجدانها وان اعـلان السيد الفريـق ابراهيم عبود عن قيام لجنة قومية لوضع دستور لنظام الحكم يتضمن جميع الحقوق والمبادىء الاساسية لقيام حياة نيابية صحيحة بعد اجراء انتخابات عامة جاء موافقا لمبادىء الامام الصديق وبارا لذكراه ومتجاوبا مع الاماني الوطنيـة اننا نتطلع ان يكون تكوين تلك اللجنة عن طريق الشورى ليكتمل بها سند الرأي العام ولنتمكـن من وضـع الاسس الصحيحة لحياة ديمقراطية متجنبة اخطاء الماضي محققة اهداف الشعب معبرة عن مقدرة السودانيين في اجتياز الازمات بالالتفاف الاجماعـي حول المصلحة الوطنية مسجلة للسيد الرئيس الفريق ابراهيم عبـود وصحبه عملا تاريخيا خالدا .

واننا نضرع الى الله العلي القدير ان يوفقنا جميعا لاجتياز فترة الانتقال المحددة في زمـن وجيز عامر بالتعاون المثمر بـين الحكومـة والشعب حافل بالثقة التي يحققها ويـدل عليها القضاء علـى رواسب الخلاف ورفع حالة الطوارىء واننا نعبر عن سرورنا لالتفاف السودانيين حكومة وشعبا حول الهدف الوطني الاكبر ونحث انفسنا جميعا للحفاظ على الوحدة القومية وتوحيد الكلمة لنمشي معا بقوة نحـو الهـدف المشتـرك ونسألك اللهم التوفيق ليجمع ابناء هذه الامة الكريمة لما فيه سعادتها واستقرارها وسلامتها ووحدة صفها وتحقيق اهدافها الوطنية الساميـة .

ربنا احفظ سوداننا وأرض اجدادنا ايها الاحباب في الدين والوطن شكر الله سعيكم وجزاكم افضل الجزاء » .

هكذا كانوا يقولون ويفعلون :

ولكن ما ان اصبح الصبح كما يصدح الفنان وردي حتى رأينا قادتهم يجلبون الاشياع والاتباع في كل مناسبة ويسيرون مواكـب

ضخمة قفلوا بها الطرقات ، بضع سويعات وكان آخر تلك المواكب في منتصف شهر فبراير ١٩٦٥ استعراضا للعضلات وتهديدا لرئيس وزراء الحكومة الانتقالية حيث كان لهم ما ارادوا .

ثم بدأت المراسيم الاخرى

فانتخب الدكتور المبارك الفاضل شداد رئيسا للجمعية ثم انتخب اعضاء مجلس السيادة وكانت كتلتنا البرلمانية رشحت الاستاذ عابدين اسماعيل وفضيلة الشيخ حسن اليمني والسيد عبد اللـه السيد امين صندوق جبهة الهيئات وعندما فعلنا ذلك كنا نستلهم ثورة اكتوبر فقد لعب عابدين اسماعيل دورا لا ينكر كرئيس لنقابة المحامين وكان فضيلة الشيخ حسن اليمني اول من أمهر عريضة المحامين والقضاة بالرغم من منصبه الحساس كقاضي للقضاة وكنا نعلم منـذ البداية بأنهم سوف لا ينالون الا اصواتنا نحن الاحـد عشر كوكبا ولكننا كنا نسجل ذلـك للتاريـخ .

اقتسم حزب الامة والوطني الاتحادي مناصب مجلس السيادة فقد انتخبت الجمعية السادة : ـ

اسماعيل الازهري ، عبد الله الفاضل ، عبد الحليم محمد ، لويجي ادوك ، وخضر حمد .

ثم انتقلنا الى البند الاخر في جدول الاعمال وهو انتخاب رئيس الوزراء وكان المرشحين للرئاسة ثلاثة اعضاء هم السادة محمد احمـد محجوب وحسن الطاهر زروق والرشيد الطاهر بكر . وكانت النتيجة كالآتـي : ـ

السيد محمد احمد محجوب ١٤٣ صوتا

السيد حسن الطاهر زروق ١١ صوتا

السيد الرشيد الطاهر بكر ٩ اصوات

وبعد كلمات التهنئة على ما هو مألوف من السيدين حسن الطاهر زروق والرشيد الطاهر تقدم السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء المنتخب نحو المنصة يجر ذيل الخيلاء وقال : ــ

« قبل ان ارجع الى خطابي الذي اعددته لهذه المناسبة اسمح لي يا سيدي الرئيس ان اشكر زعيمي المعارضة على الكلمات الطيبة التي تفضلا بها تهنئة لشخصي الضعيف اولا وثانيا تحديدا لخطوط معارضتهما .... » .

وهنا تنبهت على صدى كلمتي « زعيمي المعارضة » وهل يمكن ان يكون في البرلمان زعيمان للمعارضة ؟ كشفت هذه التسمية التي ابتكرتها عبقرية السيد محمد احمد محجوب رأيه الحقيقي في الديمقراطية فهي فضلا عن انها تتنافى مع الذوق والعرف البرلماني تتنافى ايضا مع الدستور . لقد كان السيد محمد احمد محجوب يعبر تعبيرا واضحا عن رأي ذلك الجانب من المجلس بل عن الحزبين الحاكمين فقد كشف محجوب عن عدائهم السافر لكل ما هو جديد وبدأ تنكرهم منذ الجلسة الاولى حتى للديمقراطية الغربية التي يزعمون انهم تشبعوا بها وهتفوا لها فقد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر صدق الله العظيم .

وكان السيد رئيس الوزراء يواصل كلمته المكتوبة ويخاطب الرئيس واعضاء الجمعية .

« سيدي الرئيس

سادتي اعضاء الجمعية التأسيسية

اني لعاجز عن الشكر لما اوليتموني من ثقة انا فخور بها فاختياركم

لي لأكون رئيسا لاول مجلس وزراء في العهد الديمقراطي الذي اعقب حكما عسكريا دكتاتوريا جثم على صدر هذه البلاد وكتم الحريات خلال ستة سنوات تشريف ما بعده تشريف واختياركم لي لاحمل العبء ثقة من الشعب ومنكم لا تعادلها ثقة فالشعب انتم نوابه وسدنة حقه والمتحدثون باسمه وها انتم قد قلتم كلمتكم فلكم شكري وبالله التوفيق .... الخ » .

وتمثلت محجوبا الشاعر يهنىء محجوبا الرئيس بانه اول رئيس لمجلس الوزراء في العهد الديمقراطي ابا العتاهية يهنىء الخليفة المهدي العباسي في قصيدته المعروفة :

اتته الخلافة منقادة ... اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له ... ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها احد غيره ... لزلزلت الارض زلزالها

وانتهت الجلسة وخرجت اسأل نفسي هل صحيح سينفذ رئيس الوزراء ما وعد في تحقيق الديمقراطية كما ذكرها في خطابه وما تعرضه من حقوق اساسية للمواطنين في حرية الرأي والتعبير والتنظيم وغيرها . ولكنني لم اكن عظيم الثقة فيما يقوله سيادته وكنت اعود بذاكرتي قليلا للوراء واتصور موقفه ودفاعه الحار كوزير للخارجية في حكومة ١٩٥٨ الأئتلافية بين حزب الامة وحزب الشعب الديمقراطي عن المعونة الامريكية التي ما ان لقيت معارضة الشعب الشديدة حتى هرع حزب سيادته لتسليم الحكم لقيادة الجيش لتفرض المعونة الامريكية في اولى اجتماعاتها ولتضرب الشعب وتنكل بابنائه الشرفاء وتفتح لهم السجون وتعلق لهم المشانق واولئك ينامون ملء جفونهم .

شكر وعهد

عكفت كتلتنا البرلمانية للقيام بواجبها في الجمعية التأسيسية وكان للكتلة تنظيم دقيق ونظام متبع لم تحد عنه وفي يقيني فان ذلك النظام كان له كل الاثر في فعالية الكتلة ونشاطها وقد قسم العمل فيما بيننا حتى كان ميسورا لكل نائب ان يدرس موضوعه جيدا ويقوم باتصالاته التي يقتضيها عمله البرلماني .

وكنا نحاسب بعضنا البعض على اي تغيير في الواجبات ولم نكن كالهيئات البرلمانية الاخرى لا تجتمع الا لماما ولتأييد هذا الزعيم او ذاك.

وكان اول اجتماع لها بمكتب الهيئة الساعة ٨ مساء السبت ١٢/٦/٦٥ وكانت اجندة الاجتماع كالآتي :

١ ـ تقييم الجلسة الاولى والملاحظات حولها

٢ ـ معلومات جديدة لنشاط الكتل البرلمانية المختلفة وتشكيل الحكومة الجديدة

٣ ـ مؤتمر التجمع الديمقراطي الاشتراكي

٤ ـ رسالة للناخبين باسم المرشحين الذين فازوا

٥ ـ توزيع المسئوليات وتكوين لجان اختصاص (القانون ـ الدستور ـ الاقتصاد ـ المرأة والشباب والتعليم والثقافة ـ ـ الحريات الديمقراطية ـ المنظمات الجماهيرية ـ الجنوب ـ النقابات واتحادات المزارعين الخ)

٦ ـ اقتراح بتكوين حكومة ظل

٧ ــ تعديل الدستور
٨ ــ الاجتماعــات
٩ ــ اي مقترحات جديدة

هذه صورة مصغرة لما كانت تناقشه كتلتنا البرلمانية وقد حرصت ان اسجل اجندة الاجتماع الاول وهي تلقي ضوءا على خط سير الكتلة والمواضيع التي كانت تلقى اهتمامنا .

كان لزاما علينا ان نخاطب الخريجين والشعب السودانــي باسره بعد فوزنا في الانتخابات فاصدرنا الكلمة الاتية : ــ

« اليوم وبعد ان انتهت الحملة الانتخابية في دوائر الخريجين ثم بعد ان ظهرت نتائج تلك الانتخابات نود ان نخاطب مواطنينا المحترمين من ناخبي دوائر الخريجين الذين اولونا ثقتهم والذين لم يفعلوا ذلــك نحب بعد كل هذا ان نخاطب شعبنا من مثقفين وعمال ومزارعين ووطنيين على اختلاف وجهات نظرهم .

نحب ان نقول لكل هؤلاء اننا ما زلنا عند ولائنا لكم جميعا لكل الشعب السوداني اولا واخيرا ومصلحة هذا الشعب هي رائدنا ونحن سنظل دائما تحت تصرفه وفي خدمته باخلاص وان التزامنا بمبادئنــــا السياسية هو الذي حدد هذا الالتزام وفرض هذه المهمة .

نشكر من كل قلوبنا كل الذين صوتــوا بجانبنا وأولونا ثقتهــم وبذلك قد فرضوا علينا مسئولية كبرى ونرجو ان نظل باستمرار عند حسن ظنهم في مستوى المسئولية التي وضعوها على عواتقنا .

تقدمت للانتخابات في دوائر الخريجين اربعة قوائم وعشرات من المرشحين وقد حكمتم بتقديركم السليم ان تنال قائمتنا اكبــر قدر من الاصوات واكثر عدد من المرشحين الفائزين .

مرة اخرى شكرا لكم جميعا .

واسمحوا لنا بان نوجه شكرا خاصا للخريجين وغير الخريجين الذين كافحوا وسهروا لانجاح قائمتنا في داخل السودان وخارجه .

اما عملنا في هذه الهيئة المنتخبة فقد سبق ان حددنا برنامجا للعمل الذي تقدمنا به لكم اثناء الحملة الانتخابية وهو بين ايديكم الان ومن حقكم ان تناقشوه وتحاسبونا على كل حرف جاء في برنامجنا . اننا نعتقد ان صلتنا بكم لم تنته بانتخابنا بل انها بعد انتخابنا قد اخذت شكلا محددا قويا يربطنا بكم باستمرار وفي كل الظروف . وكما جاء في برنامجنا سنعمل على تحرير بلادنا اقتصاديا من شرور الاستعمار واحتكار رأس المال سندافع عن الديمقراطية كأساس للحياة السودانية. سنقف بجانب حقوق العاملين في المكاتب والمصانع والحقول ندعم ونطور من مكتسبات ثورة اكتوبر .

تحت راية الديمقراطية والاشتراكية والحياة المادية والروحية الكريمة نجدد العهد ونكرر الشكر .

فاطمه احمد ابراهيم	رئيسة تحرير صوت المرأة
حسن الطاهر زروق	
الرشيد نايل	
محجوب محمد صالح	حزب المؤتمر الاشتراكي
عمر مصطفى المكي	
محمد ابراهيم نقد	
جوزيف قرنق	
عبد الرحمن عبد الرحيم الوسيله	
د . الطاهر عبد الباسط	
د . عز الدين علي عامر	
محمد سليمان	رابطة المعلمين الاشتراكيين

بداية النهاية

تعديل الدستور

لانتخاب رئيس دائم لمجلس السيادة

بعد ان تم انتخاب رئيس الجمعيـة ومجلس السيادة ومجلس الوزراء في الجلسة الاولى بتاريخ ١٠/٦/٦٥ اتفق ان تكـون الجلسة الثانيـة صباح السبت ٢٦/٦/٦٥ حيث القى السيـد رئيس الوزراء خطاب الدورة وتقدم في نفس الجلسة السيد عبـد الماجد ابو حسبـو وزير الاشغال والثروة المعدنية آنذاك بمشروع قانون لتعديل المادة ١٤ من دستور السودان المؤقت (المعدل لسنـة ١٩٦٤) في مرحلـة القراءة الاولى وان تكون القراءة الثانية اي مناقشة الاقتراح صباح الاثنـين ٥/٧/٦٥ وقد جرت المناقشة السريعة التالية :

السيد حسن الطاهر زروق (زعيم المعارضة) بالطبـع لا اريد ان اناقش هذا الموضوع الان ولكنني اعترض على وضعه باجندة الجمعية التأسيسية .

السيد محمد احمد محجوب (رئيس الوزراء) ليس هنالك مجال للاعتراض في مرحلة القراءة الاولى .

السيد صالح محمود اسماعيل (خريجين) نقطة استيضاح ارجـو من السيد الرئيس ان يأتينا بفتوى من السيد المفتـي عما اذا كان هذا التعديل يتعارض مع قسمنا بدستور السودان المؤقت المعدل الذي اديناه قبل بضعة ايام .

السيد عبد الحميد صالح (وزير شئون الرئاسة) ان لهذه الجمعية كل الصلاحيات القانونية التي تمكنها من تعديل دستور ١٩٦٤ .

السيد احمد دهب حسنين (مدينة مدني) نقطة نظام ، يلاحظ اننا كثيرا ما نلجأ في نقاشنا الى اللوائح الداخلية وقد علمنا قبل لحظات باننا سنسير باللائحة السابقة لعام ١٩٥٦ وعليه ارجو ان توزع اللائحة قبل الاجتماع القادم .

ورفعت الجلسة بعد ذلك النقاش وخصصت الجلسات الثالثة والرابعة والخامسة لمناقشة خطاب الدورة الذي قدمه السيد رئيس الوزراء في جلسة الجمعية الثانية .

في صباح يوم ٥/٧/٦٥ وفي جلسة الجمعية السادسة تقدم السيد محمد ابراهيم خليل وزير العدل بمشروع قانون لتعديل الدستور وشرح سيادته ماهية الدستور وانه من الواجب رعاية الدستور بشيء من الحذر والحماية حتى لا يكون عرضة للتقلبات ثم دافع عن سبب التعديل فقال : ـ

« اتحدث عن الضرورة التي اقتضت هذا التعديل الذي يرمي الى ازالة وضع شاذ اقتضته طبيعة الانتقال من مرحلة الاستعمار الى الاستقلال واذا كان لنا ان نستسيغ ان تكون سيادة الدولة مكونة من خمسة بدلا من واحد فلا يمكن ان نستسيغ ان يكون رمز السيادة متنقلا من شخص الى اخر مطلع كل شهر مع ما في ذلك من شذوذ ومضايقات وحرج وهذا ما حدا بالحكومة ان تعمل على تعديل الدستور حتى يكون الرئيس دائما » .

السيد وزير العدل لجأ الى الباطل فالبسه ثوب الحق ان الحزبين المؤتلفين الامة والوطني الاتحادي اتفقا على تعديل الدستور ليكون السيد رئيس الوطني الاتحادي رئيسا دائما لمجلس السيادة وكان ذلك

اهم شرط في الائتلاف وليس ذلك بمستغرب فقيادة الحزبين الكبيرين كانت في لهفة للحكم وكانت نظرتهما لمثل ذلك الاجراء تمليها المصلحة المؤقتة وهي مصلحة الائتلاف الحزبي وبذلك اندفعا لاقتسام المناصب الكبرى بينهما هذا لرئاسة مجلس السيادة وذاك لرئاسة مجلس الوزراء .

كان موضوع تعديل الدستور مثار نقاش وجدل واخذ ورد واتصالات هنا وهناك وقد اكدت كتلتنا البرلمانية لنواب الوطني الاتحادي معارضتها المبدئية على تعديل الدستور وتحدث في هذه النقطة نيابة عنا السيد الرشيد نايل وجوزيف قرنق وعز الدين علي عامر وفاطمه احمد ابراهيم كما عارضه من حيث المبدأ السيد صالح محمود اسماعيل كما تحدث نواب الحكومة مدافعين عن التعديل بانه جاء وفقا للمصلحة الوطنية ولتصحيح وضع شاذ .

ومن الذين تحدثوا مدافعين عن التعديل السيد امين التوم قطب حزب الامة ووزير ما قبل الحكم العسكري وخصم الوطني الاتحادي اللدود ، ثم ختم حديثه : —

« ونسيت ونحن شعب كثير النسيان ان اقول ان شخصا معينا قد اشير اليه من جانب المعارضة اكثر من مرة وهو السيد اسماعيل الازهري رئيس الوطني الاتحادي وهذا التعديل وان لم يذكره صراحة ولكنه انما وضع اولا لضرورة التعديل وثانيا لان الرجل يستحق من الجمعية كل تقدير وثناء ... »

عجائب

ولكنا نحن في زمان أربت بالكلاب والثعالب

كان مقدم الاقتراح السيد محمد ابراهيم خليل وزير العدل ومن المدافعين عنه من حزب الامة امين التوم واسحق الخليفه شريف كما وان

الدكتور احمد بخاري وزير الصحة هو الذي اقترح في جلسة لاحقة ان ينتخب السيد اسماعيل الازهري رئيسا دائما لمجلس السيادة وكـــل هؤلاء النواب المتحمسون من جناح الصادق بعــد الشقاق المعروف في حزب الامة .

وقديما قال الشاعر :

لا يبلــغ الاعــداء مــن جاهل
مــا يبلغ الجاهــل من نفســه

وفي جانب معارضة التعديل كان المتحدث من كتلتنا في تلـــك الجلسة هو السيد عمر مصطفى المكي . قال سيادته : ــ

« اننا والله لا ندري ماذا نقول حول هذا الاقتراح الذي يراد لنا ان نوافق عليه والذي طرحه امامنا السيد وزير العدل للمداولة فلو كان هذا الاقتراح يتعلق بمطالب البلاد الوطنية العليا ولو كان للاقتراح صلة بالمصالح الحيوية للشعب ولو كان يتعلق بتوسيع الديمقراطية في جهاز الحكم لكنا اول المدافعين عنه ولكنا اول من رحب بطرحه للمداولة . ولكن لم يعد خافيا على احد بانه قد ظل موضوع جدال واسع في داخل الاحزاب والصحف لاكثر من شهر وقد اصبح واضحا الغرض مـــن الاقتراح وهو ان يصبح شخص معين رئيسا دائما لمجلس السيادة الموقر ــ هذه قصته ويحق لنا ان نتساءل كيف نشأت هـــذه القصة ــ هل نشأت بعد ٢١ اكتوبر وهل استشهد ابناء هذا الوطن في ساحة الشرف لكي يصبح شخص معين رئيسا دائما لمجلس السيادة الموقر ؟ ان هذه القضية لم تكن ضمن القضايا الشعبية ــ وهــل نشأت خــلال نضال الشعب من اجل توسيع الديمقراطية وهل كانت هذه القضية موضوع طموح من جانب المناضلين من اجــل الديمقراطية كلا ــ هي لم تنشأ خلال هذا ولا ذاك ومرة اخرى اقول ــ لم يعد خافيا ان هذه القضية

قد نشأت خلال التفاوض والمساومة بين الحزبين الحاكمين من اجل توزيع المناصب الرئيسية بالدولة ـ لم تنشأ هذه القضية لتصحيح وضع شاذ ولم تنشأ لان هناك حرج عالمي من الوضع الراهن بمجلس السيادة الموقر ولم يقل السيد وزير العدل ما هو ذلك الوضع الشاذ بل استطرد في شرح تفاصيل الاقتراح ـ نحن نعلم انه منذ ان تكون اول مجلس للسيادة في اول يناير عام ١٩٥٦ ظل يعمل ذلك المجلس متعاونا مع الاتفاق بالرئاسة الشهرية وذلك طوال الاعوام ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ و ١٩٥٨ وكان ذلك المجلس الجهة الوحيدة التي لم تنشأ بداخلها اية ازمة دستورية او قانونية .

وبعد ٢١ اكتوبر عام ١٩٦٤ تكون المجلس الجديد للسيادة وقد كان الانسجام ديدنه حتى يومنا هذا بالرغم من الاحداث والمناورات داخل المجلس ـ وقد رضي الحزبان الحاكمان لانفسهما بان يصبح الدستور محورا للمناورات ومحورا للمساومات حول تقسيم المناصب الرئيسية ـ ان الاتجاه الذي يفسر وراء هذا الاقتراح لاتجاه خطير بالغ الخطورة وان الحجج لتبرير هذا التعديل لحجج واهية لا تستند الى حقيقة ونحن نعلم ان الايام دول والحكم لن يدوم لحزب والائتلاف ليس خالدا اتساءل عن مستقبل الدستور والديمقراطية اذا ظل الدستور مطية للاهواء ـ اخشى ان ينشأ وضع لا نريده لهذه الجمعية ولا للبلاد ولا للديمقراطية لانه بذلك لا يصبح دستورا بل مجرد قصاصة ورق لا قيمة لها ولا هيبة ولا احترام ـ لقد فعل السيد وزير العدل حسنا عندما اعلن بان الدساتير بطبيعتها لا تعدل كثيرا وان قدسيتها مصانة وان حرمتها موضع الاكبار والاجلال ولكن الوضع الراهن اقتضى مزيدا من التعديلات ـ اذا سندخل في دوامة من التعديلات واذا نشأ تعديل واريد لهذا التعديل ان يعدل فلا مانع من ذلك ـ هل يمكن ان نتحدث للمواطنين عن حقوق وكرامة الدستور ، اننا نقبل لدستورنا هذا

الوضع ـ ثم لماذا يراد لنا ان نوافق على التعديل ـ اليكون شخص معين رئيسا للمجلس الموقر ؟ اقول انه ليس في بلادنا شخص واحد استطاع ان يجمع قلوب ابناء هذا الوطن من حوله ولم يظهر بعد في بلادنا شخص يستحق ان يكون رمزا مقبولا لجميع فئات الشعب ـ لقد رفض الرئيس جمال عبد الناصر تعديل الدستور وقال قولته الخالدة ـ لا يمكن ان يعدل الدستور من اجل شخص واحد لاننا معرضون للحياة والموت والدستور هو الباقي ـ كما رفض الرئيس اللبناني فؤاد شهاب ان يكون رئيسا دائما ، ونحن نعلم ان تعديل الدستور هو جزء من قضية الديمقراطية فاذا ما تم ذلك فلا بد ان ندق ناقوس الخطر ـ لقد علمنا ان لويس بونابرت الفرنسي ظل يعدل الدستور حتى يمنح نفسه مزيدا من السلطات فانهارت الديمقراطية آنذاك ـ ان السير في هذا الموضوع ليعتبر خطوة لسبق الحوادث » .

ذلك ما قاله عمر مصطفى

ولا اقول تلك نبؤة ولكنه التفكير العلمي المستقيم واستقراء للتاريخ الحديث والمعاصر وقد صدق عمر :

كل قوم خالقو نيرونهم
قيصر قيل له أم قيل كسرى

كانت تلك بداية لخرق الدستور وانتهت بالجمعية الى ما انتهت اليه وضاع حكم الدستور وكانت تلك الجلسة بداية النهاية .

ولعل السيد الصادق المهدي رئيس حزب الامة اذا افاق لنفسه لحظة سيذكر قول بايرون :

« ان الشوك الذي حصدت هو من الشجرة التي زرعت وقد جرحني وهانا ادمي وكان علي ان اعرف اي ثمرة تنبت من مثل هذه البذرة » .

تعديل الدستور
لحل الحزب الشيوعي وابعاد النواب

في مساء الاثنين ٨ نوفمبر ١٩٦٥ اقام طلاب معهد المعلمين العالي ندوة تحدثت فيها السيدة سعاد الفاتح وكان ضمن المشتركين في الحديث الطالب شوقي محمد علي الذي تحدث في كثير من الصفاقة والتحدي لشعور الحاضرين عن الاسلام وعرض النبي صلعم وكـان هذا الطالب قد اصدر بيانا صباح نفس اليوم في لوحة اعلانات المعهد هاجم فيـه الحزب الشيوعي السوداني وأكد بانه سيصدر مجلة حائطية اطلق عليها اسم المسيرة للهجوم على الحزب الشيوعي وسارع طلاب معهد المعلمين بمختلف اتجاهاتهم الى ادانة حديث الطالب شوقـي وطالبوا الادارة باتخاذ اجراءات صارمة ضده وتعهد اعضاء جبهة الميثاق الاسلامي من طلبة المعهد باعتبار هذا الحادث حادثا فرديا يعالج في نطاق المعهد .

ولكـن هل يمكـن ان تفوت تلك الفرصة دون الاستفادة منها وتحركت الافاعي تنسج حبائلها وتنفث سمومها .

وعقد قادة الحزب الشيوعي مؤتمرا صحفيا فضحوا فيه المؤامرة على الديمقراطية وان الطالب شوقي لا صلة له بالحزب الشيوعي .

وسارع الحزب الشيوعي ايضا فوزع بيانا[١] هاجم جماعة الاخوان المسلمين ونبه الى خطر المؤامرة التي تحاك .

وفي صباح الخميس ١١ــ١١ــ٦٥ اصـدرت جماعـة الاخوان

---

١ ــ ملحق رقم (٥)

المسلمين بياذ في معهد المعلمين تزعم فيه أن الطالب شوقي عضو في الحزب الشيوعي ونظمت جماعة جبهة الميثاق الاسلامي وسط طلاب المعاهد الدينية وبعض انصار حزب الامة مظاهرة كانت تهتف بالوعيد للحزب الشيوعي وتوعده بالويل والثبور وتنادي باهدار دم اعضائه وسار فريق ادعوا لنفسهم صفة العلماء على رأس مظاهرة الى رئاسة مجلس الوزراء وسلموا السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء عريضة احتجاج يطالبون بحل الحزب الشيوعي .

وبعو ظهر يوم الجمعة ١٢/١١/٦٥ اذاع من المذياع السيد احمد المهدي وزير الداخلية البيان التالي :

مواطني ... الاعزاء

« في هذا اليوم المبارك الذي يتوجه فيه المسلمون الى بيوت الله سبحانه وتعالى عاملين بأمره « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » ملبين قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ».

أود ان اتحدث اليكم في أمر يهمنا كأمة آمنت برسالة النبي عليه افضل الصلاة والسلام أمر يخص هذا الدين وكرامته وعزته في هذا البلد الامين ـ لقد حدث في مساء الاثنين الثامن من هذا الشهر ان تحدث متحدث وصف نفسه بانه شيوعي العقيدة وكان ذلك امام جمع كبير من المسلمين تحدث معبرا بالحاده ونكرانه لوجود الله سبحانه وتعالى باعثا بالتشكك والريبة في رسالة النبي الاعظم عليه افضل الصلاة والسلام متعرضا لذاته النبوية الكريمة بالسب والطعن في عرضه الشريف وذلك على اثر نقاش حول الدعارة وكان المتحدث هازئا بتعاليم الاسلام الحنيف التي جاءت لمعالجة هذه الرزيلة متناولا

حديث الافك المشهور بحجج الكفار المشركين امام الرسول عليه افضل الصلاة والسلام الحجج التي فصل الله تعالى فيها بقوله « اذ تقولون بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس بكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » وقوله تعالى « يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين .. » فاثار ذلك الحديث غضب الحاضرين مما دفعهم لتنظيم موكب مشروع في صباح اليوم التالي الى مجلس الوزراء متقدما بعريضة مطالبا فيها بحل الحزب الشيوعي واصفا افكاره بأنها فاسدة خارجة عن تقاليد هذه الامة ودينها مطالبا باتخاذ اجراءات حاسمة وفي مساء نفس اليوم تحركت جماهير من الشعب المسلم بام درمان في مظاهرة معبرة عن ذلك الشعور وقد حدث ان مرت المظاهرات بدار الحزب الشيوعي ببيت المال فبدأ اصحاب الدار بقذف المتظاهرين بالحجارة مما زاد من ثورة المتظاهرين فاقتحموا الدار وحدث بعض التخريب للاثاثات ولما بلغ الامر لقوات الامن خفت الى مكان الحادث واعادت الامور الى نصابها .

وعلينا فاننا اذ نستنكر ما ادلى به ذلك الشخص الذي وصف نفسه بانه شيوعي نعتبر قوله قولا فاحشا مردودا قال تعالى « ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا » واننا نعتبر ذلك القول اساءة وتعريضا باقدس مقدسات هذه الامة وان كان ذلك المتحدث يعتز بالحاده فان الاغلبية العظمى لابناء هذا الشعب لتفتخر وتعتز برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتفديها وتحميها بالغالي والنفيس كما ان الدعارة التي تكلم عنها المتحدث لهي فاحشة خبيثة لا تنتشر الا في مجتمع فقد التعاليم الاسلامية والقيم الانسانية النبيلة وان الحكومة كما جاء في تصريحات السيد رئيس الوزراء تعمل جاهدة لدراسة وتنفيذ المشاريع الناجحة لمحاربة هذه الفاحشة واجتثاث جذورها من مجتمعنا السوداني

الاصيل بالطريقة العملية النافذة المفعول وثانيا نود ان تؤكد ان الحكومة لن تسمح لهذا العبث والتعريض بالعقيدة الاسلامية الخالدة وانها ستتخذ الاجراءات الكفيلة لحماية الدين وكرامته من افتراء واكاذيب الملحدين والفجرة وذلك تقديرا لمشاعر المواطنين الاسلامية واحتراما لعقائدهم الدينية الصادقة .

والحكومة تؤكد انها عن طريق القانون سوف توقف كل هذا العبث تجنبا لاثارة الفتنة وحفاظا على حرية العقائد والاديان واننا اذ نؤكد ان في القانون القائم كل ما يصون ويحمي حقوق المواطنين وعقائدهم نهيب بهم ان يحترموا سيادة القانون ويلزموا الهدوء التام ويقفوا الى جانب الامن والنظام ولا يجنحوا الى اساليب الشغب والتخريب والتعدي والخروج عن القانون لأن ذلك أمر لا يليق بشعب آمن بالديمقراطية وثار من اجلها وضحّى في سبيلها وآمن بها طريقا سليما للحكم الصالح ولتحقيق امانيه وامائله السامية وعلينا ان نعمل يدا واحدة لمحاربة الضلال والفساد بكل انواعه وذلك في نطاق القانون والنظام الديمقراطي الذي ارتضيناه جميعا ، وفقنا الله لما فيه خير هذه الامة ... والسلام عليكم ورحمة الله » .

واصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ردا على بيان الوزير وسلمته له .

« السيد المحترم وزير الداخلية

بعد التحية

استمعنا اليوم الى بيان سيادتكم حول ما دار في الندوة التي اقيمت بالمعهد العالي للمعلمين مساء الثامن من هذا الشهر ونرجو ان نبدي التالي :ـ

اولا : ان الطالب الذي تحدى مشاعر المواطنين في تلك النـدوة ليس عضوا في الحزب الشيوعي.

ثانيا : ان ما جاء على لسان الطالب يقابل من جانبنا بالاستنكار التام والاشمئزاز .

ثالثا : ان الحزب الشيوعي السوداني يحترم عقائد السودانيـين ويحترم الدين الاسلامي بصفة خاصة ولا يمكن للحزب الشيوعـي ان يسمح بالاساءة اليه فهو الدين الحنيف الذي تؤمن به اغلبية شعبنـا وهذه الحقيقة ثابتة في دستور الحزب الشيوعي الذي صدر قبل ستـة شهور مـن هذا التاريخ ويود الحزب الشيوعي ان يؤكد ان صفوفـه تمتلىء بالمسلميـن وباصحاب الديانات الاخرى .

سيـادة الوزيـر ،

دفعنا لارسال هذا الخطاب اليك حرصنا علـى سيـادة النظام والقانون ومصالح بلادنا العليا التي يجب ان توضع فوق كل اعتبارات حزبيـة أو سيـاسيـة ونتنهز هذه الفرصة لنتوجه الى كل القـوى الشعبيـة الملتفة حول الحزب الشيوعي ان تحافظ على الهدوء والامن وتتحلى بضبط الاعصاب وحفظ الله السودان المستقل الديمقراطي ».

وكان ان تم الاتفاق بيـن السادة عبد الخالق محجوب واحمـد سليـمان مـن جهة والسادة محمـد احمد محجوب رئيس الـوزراء واحمـد المهدي وزيـر الداخليـة وعبد الحميـد صالح وزير شئون الرئاسة على اذاعة ذلك الخطاب الموجه للسيـد وزير الداخلية .

ولكـن شيـئا مـن ذلك لم يتم فقد ثبت ان الاتصال مع اولئك السادة الوزراء كشكوى الجريح الى الغربان والرخم .

وكان يوما مشئومـا

وخطب السيد الصادق المهدي في جمهور من المصلين في جامع الامام عبد الرحمن المهدي .

وخطب السيد اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة في المتظاهرين وقال اننا لا نرضى ان يطعن في عرض احد منا فما بال الطعن في عرض الرسول صلعم وقال اننا طعنا في عقيدتنا ولا بد من ازالة هذا الفساد وقال انتظروا ساعات قليلة فان لم تضع الحكومة والجمعية التأسيسية حدا لهذا الفساد، فسأنزل معكم واقود مظاهراتكم لتطهير هذا البلد .

وتحركت الجموع الى دار فرع الحزب الشيوعي ببيت المال ، فكسروا الحائط واحرقوا جميع الاوراق والاثاثات واصطدموا باعضاء الحزب الذين اتفق ان كانوا موجودين هناك والذين دافعوا دفاعا مستميتا رغم الفارق الكبير في العدد والاسلحة واصيب في المعركة ٨ من الارهابيين و ٢٩ من الشيوعيين .

ثم اصدرت التجمعات الطلابية في معهد المعلمين البيان التالي :ـ

من اجل توضيح الحقائق للرأي العام السوداني ، حول ما حدث فيالندوة المقامة مساء الاثنين ٨/١١/٦٥ نود نحن ممثلي الجبهات الموقعة ادناه ، ان نبين ان الذي حدث كان عبارة عن تصرف فردي طائش يجافي المثل والاخلاق السودانية ، وقد ادان جميع الطلاب ذلك التصرف بجميع اتجاهاتهم المختلفة وطالبوا الادارة باتخاذ اجراءات صارمة ضده ، ولقد تعهد اعضاء تنظيم الاخوان المسلمين باعتبار هذا الحادث حادثا فرديا يعالج في نطاق المعهد .

واقرارا للحق فقط نؤكد ان رابطة الطلبة الشيوعيين بالمعهد اصدرت بيانا في صبيحة اليومالتالي اعلنت فيه ان الطالب المعني ليس عضوا بها وادانت تصرفه . ومما يثبت عدم صلة هذا الطالب بالشيوعيين

انه اعلن كتابة عن اصدار جريدة بعنوان (المسيرة) يهاجم فيها الحزب الشيوعي السوداني .

يا جماهير شعبنا .لم يحترم اعضاء الاتجاه الاسلامي كلمتهم باعتبار الحادث فرديا تجب معالجته في نطاق المعهد ، بل سعوا الى نشره واستغلاله سياسيا ، الامر الذي اساء الى سمعة المعهد كمؤسسة تربوية كما ادى الى خلق جو من الفوضى والارهاب داخل مدينة ام درمان ان هذا من شأنه ان يخلق نوعا من عدم الاستقرار في الوقت الذي يجب ان يبذل فيه كل جهد لتدعيم الاستقرار حتى تتمكن من اجتياز هذه المرحلة التي تحدق فيها ببلادنا المحن والاخطار والمؤامرات .

يا جماهير شعبنا اننا ندين الاسلوب الارهابي الذي سلكته مظاهرات الاخوان المسلمين وما قامت به من حرق وضرب وارهاب مما يهدد الحياة الديموقراطية في البلاد . كما ندين بيان الاخوان المسلمين بالمعهد وجاء فيه بالحرف الواحد . (وان لم يحم القانون عقائد الناس فهم اقدر على حمايتها والذود عنها) يا جماهير شعبنا اننا بنفس القدر والقوة التي ادنّا بها سلوك الطالب ندين سلوك تلك الجماعة التي سعت لاستغلال الحادث ممهدة الطريق لخلق جو فاشستي ارهابي متناسية قوله تعالى (وادعو الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (وجادلهم بالتي هي احسن) وقول الرسول الكريم الا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى) .

التاج كرداوي : عن الجبهة المستقلة
السر محجوب : عن الجبهة الديمقراطية الحرة
عبد الباقي عبدالغني : عن الجبهة العربية الاشتراكية
ادريس عوض الكريم : عن الجبهة الديمقراطية
ام درمان في ١٢/١١/١٩٦٥

وشن راديو صوت امريكا هجوماً عنيفا من اذاعة له مساء الجمعة ١٢ نوفمبر وصباح السبت ١٣ نوفمبر على الحزب الشيوعي السوداني لأنه كما قال الراديو اساء الى المعتقدات الدينية للشعب السوداني واشاد الراديو في تعليقه بالجهات التي تعمل على وقف نشاط الحزب الشيوعي في السودان وكان ذلك تعليقا على ما يجري في السودان .

واسرعت كل القوى الديمقراطية تدين المؤامرة ــ اتحاد النقابات وطلاب جامعة القاهرة فرع الخرطوم والحزب الجمهوري ورؤساء تحرير الصحف واساتذة الجامعة واتحاد الموظفين وكثير غيرها .

ولتتم فصول الرواية تقدّم ستة من النواب بالاقتراح التالي :ــ

« انه من رأي هذه الجمعية التأسيسية بالنسبة للاحداث التي جرت اخيرا في العاصمة والاقاليم بالنسبة لتجربة الحكم الديمقراطي في هذه البلاد وفقدانه للحماية اللازمة لنموه وتطوره انه من رأي هذه الجمعية التأسيسية ان تكلف الحكومة للتقدم بمشروع قانون يحل بموجبه الحزب الشيوعي السوداني ويحرم بموجبه قيام أي احزاب شيوعية أو احزاب أو منظمات تنطوي مبادؤها على الالحاد او الاستهتار بمعتقدات الناس او ممارسة الاساليب الدكتاتورية .

الامضاء :

١ ــ عبد الله الطيب جدو	الدائرة ٣٧ الفاشر الغربية	وطني اتحادي
٢ ــ عبدالرحمن احمد عديل	الدائرة ٢.٣ حمر الشرقية	امة
٣ ــ عبد القادر اوكير	الدائرة ١٧٣ اروما	مؤتمر البجا
٤ ــ محمد كرار كجر	١٧٧ الاوليب	مؤتمر البجا
٥ ــ مضوي محمد احمد	الدائرة٦٧ المسيد	وطني اتحادي
٦ ــ محمد يوسف محمد	دوائر الخريجين	جبهة الميثاق

وحدد صباح الاثنين ١٥/١١/٦٥ اي بعد سبعة ايام من حادث الطلب المأفون لمناقشة الاقتراح وحشدت الحشود لتهتف لا شيوعية في الجمعية الخ واطلق عليها ثورة رجب ولكنها في الحق لم تكن الا كغوغاء الجراد .

وفي الساعة العاشرة صباح يوم الاثنين ١٥/١١/٦٥ افتتح الرئيس الدكتور المبارك شداد جلسة الجمعية العشرين ووقف السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء وزعيم الجمعية واقترح ان تكون المدة المحددة للاسئلة في تلك الجلسة نصف ساعة وان ترفع المادة ٢٥ (٨) من اللائحة الداخلية لان هناك مسألة عاجلة .

والغريب ان الرئيس وافق على الشق الثاني من الاقتراح برفع اللائحة وقد كان سيادته قد رفض اقتراحا برفع اللائحة تقدم به السيد احمد مختار جبرة نائب الدائرة ٣٦ دنقلا الوسط في الجلسة رقم ١١ عند ازمة فك الائتلاف بين حزبي الحكومة اذ قال بالحرف الواحد : ـ

« اما عن رفع اللائحة فهذا ما لا اعرف عنه شيئا ولا يوجد ما ينص عليه في اللائحة ولا في التقاليد البرلمانية ولذلك لا يطرح للنقاش» ولكن سيادته في هذه الجلسة العشرين وافق على رفع اللائحة الامر الذي حمل السيد احمد مختار ان يذكره بسابقة في رفضه لرفع اللائحة .

وتحدث كثيرون من مدافعين عن الاقتراح ومنادين بحل الحزب الشيوعي وتباروا في الافك والتضليل والهراء وقال صلعم ان الله يبغض البليغ الذي يتحلل بلسانه كما تحلل الباقرة بلسانها .

وكان كل وقت واخر يخرج بعض النواب يخطبون في الغوغاء التي جلبوها وهي لا تعلم من امرها شيئا . كان النائب عثمان جاد الله (نائب سنار الشمالية الشرقية ـ أمة) اكثرهم خروجا وحماسا واثارة لتلك الحشود التي جلبوها وكانت تهتف لا شيوعية في الجمعية .

وتذكرت حابي في رواية مصرع كليوباتره لشوقي يخاطب ديون وكانت جموع العامة خارج قصر الملكة تهتف وتردد الاناشيد .

اسمع الشعب ديون　　كيف يوحون اليه
ملأ الجو هتافا　　بحياتي قاتليه
اثر البهتان فيه　　وانطلى الزور عليه

ولا اقول مع حابي :

يا له من ببغاء　　عقله في اذنيه

ولكني اردد قول سقراط حين ذكر قاتلوه ساعة موته : ـ
« سامحوهم فانهم لا يعرفون ما يفعلون » .ـ

واستمرت الجلسة صاخبة حتى استدعى الدكتور عبد الحميد صالح (وزير الدفاع بالانابة) بقفل باب النقاش وطرح الموضوع لاخذ الرأي وكانت الساعة قد بلغت الرابعة والنصف مساء .

ثم اقترح السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء وزعيم المجلس بان يكون التصويت بطريقة الوقوف . ايد التعديل ١٥١ وعارضه ١٢ وامتنع عن التصويت ٩ .

وبعد سبعة ايام وبعد ان عبر الشعب في مظاهرة كبرى معارضة لتعديل الدستور وانتهاك الحريات الاساسية فيه عرض السيد محمد ابراهيم خليل مشروع قانون بتعديل الدستور السوداني المؤقت رقم(٢) في مرحلة القراءة الثانية واللجنة والثالثة في جلسة واحدة هي الجلسة الرابعة والعشرون .

وهكذا تعديل وراء تعديل وقانون اثر قانون حتى اخرج النواب الشيوعيون وخلا الجو واصبحت الجمعية كالشن البالي .

وكان السيد احمد حسين الرفاعي مندوب السيد رئيس الوطني الاتحادي يحضر تلك الجلسات ويجلس في الشرفة الشرقية وعيناه ترقبان نواب حزبه ويخصهم بنظرات فيها الوعد والوعيد .

كان الهجوم مركزا على الحزب الشيوعي ونوابه ووصفهم ب« اللا اخلاقيين » وغيرها من الاتهامات الزائفة وقد تبرعت طائفة منهم لكيل السباب للحزب الشيوعي واتخذتها مهنة ومصدرا للرزق وكما قال لقمان الحكيم يعظ ابنه «لكل قوم كلب ولا تكون كلب اصحابك» .

ولكن اشد ايلاما على نفسي كان هجوم بعض من كنت اظنهم اصدقاء ــ اليس ظلم ذوي القربى اشد مرارة ــ وكنا نلتقي بهم في سنوات الحكم العسكري وسمعنا من بعضهم من اعلن يأسه في العمل السياسي ومنهم من اتى يهاجم رئيس حزبه ومنهم قطب انتقل الى جوار ربه اتى فرحا جزلانا بعد مقابلته للفريق عبود وكيف استقبله الفريق بالحضن .

لقد وضح لي ان العلاقة العاطفية التي لم تكن لتستند على رأي او فكر سرعان ما تزول واني لاعترف بان فترة الجمعية التأسيسية تلك جعلتني انظر بكثير من الاستخفاف والسخرية لبعض هؤلاء السادة الذين يصدق عليهم قول الشاعر : ــ

وكنت كذئب السوء لما رأى دما
بصاحبه يوما احال على الدم

اعود لاتحدّث عن مؤامرة حل الحزب الشيوعي حين اتاح حادث معهد المعلمين العالي الفرصة السانحة لتنفيذها فقد التقيت ذات مرة وانا خارج من الجمعية التأسيسية بالقرب من جامع الخرطوم التقيت باحد وزراء الحكومة الانتقالية الاولى وهو من المواطنين النابهين وبعد

ان حييته وتحادثت معه قال لي بالحرف الواحد وانا اهم بالانصراف لشأني « شدوا حيلكم الجماعـة بجهزوا ضدكم مؤامـرة زي بتاعة اندونيسيا » وودعته شاكرا وظننت ان حديثه ذلك من قبيل الاشفـاق وما كنت ادري ان القول ما قالت حزام .

كان ذلك قبل حوالي شهر واحد من قصة معهد المعلمين العالـي وما تبعها من اجراءات رسمية وحزبية .

وانني هنا اسجل ايضا ما قاله لي احد الصحفيين السودانيـين المرموقين بانه في اليوم الثاني لحادث معهـد المعلمين العالي ان زاره بمكتبه في صحيفة الزمان الغراء السيد (س) مدير احـدى وكالات الانباء الاجنبية وجرت بينهما المحادثة الاتيـة على مسمع من بعـض الصحفيين الاخرين : ــ

مدير الوكالة : هل سمعت بالحادث الذي وقع مساء امس في ندوة معهد المعلمين العالي بامدرمان ؟

ــ نعـم .
ــ هل تعتقد ان الحادث سيقف عند هذا الحد ؟
ــ ربما استمر سياسيا لصالح بعض الجهات .
ــ هل في السودان مكتب للمخابرات الامريكية في الخرطوم ؟
ــ لا استبعد ذلك .

ــ انني سمعت بأن بعض شخصيات المخابرات الامريكية سيجتمع مساء اليوم (الثلاثاء ٩/١١/٦٥) في منزل المستر ماك الموظف بالمركز الثقافي الامريكي بقيادة جماعة الاخوان المسلمين وظاهر الاجتماع هو الاحتفال بزواج احد اعضاء المكتب السياسي للجماعة ولكـن الهدف الحقيقي هو استثمار الموقف الذي نشأ في الندوة ضد الحزب الشيوعي السوداني وأن كبيرا من جماعة الاخوان المسلمين سيغادر الخرطوم الى

سنجة لكي لا يحضر هذا الاجتماع وانني لا اعرف الحكمة من وراء سفر ذلك الاخ المسلم .

واكد لي الصديق الصحفي بان العشاء قد اقيم فعلا بمنزل المستر مالك وان زعماء الاخوان حضروه ثم غادر الكبير الى سنجة ثم حدث بعد ذلك ما حدث بعد ثلاثة ايام .

وتمت المؤامرة بعد ان تآمر الابالسة وقوى الظلم والظلام على الحزب الشيوعي وظنوا انهم بذلك سيدفعونه الى الاستكانة وقبول الضيم مثل ما فعل بهم الحكم العسكري ومثل ما تهافت البعض منهم نحو بيوت اللواءات يدخلونها من غير ابوابها المفتوحة يتملقونهم ويسترضونهم وقديما قيل اذا اردت ان تطاع فسل ما يستطاع وكما قال عمر مصطفى في معرض دفاعه « بان الحوت ما بخوفوه بالماء » فلم يكن الحزب الشيوعي يعمل في العلن الا بضعة شهور ومع ذلك كان قوة مؤثرة فعالة في مجريات السياسة في البلاد .

كان واضحا منذ البداية وثورة اكتوبر يشتعل اوارها ان الصراع اخذ في الحدة والعنف بين قوى الثورة وخصومها وان كتب للقوى الرجعية كسب الجولة الاولى فما ذلك الا الى حين فالقوى المتفرقة ستتجمع مرة ثانية حول زعامة ملهمة وستكون الطامة الكبرى عليهم والرجفة التي تزلزل الارض وتنقل التاريخ الى فصل اخر من فصوله .

وقبل قيام الجمعية التأسيسية نشرت صحيفة العلم الناطقة بلسان الحزب الوطني الاتحادي في عددها التسعين بتاريخ الجمعة ٨ مايو عام ١٩٦٥ تحت عنوان نصائح :

« الى الاستاذ عبد الماجد ابو حسبو

اسوق هذه النصائح

الواجب الوطني يحتم على كل مواطن صالح تهمه سمعة واستقرار وتطور هذا البلد ان ينادي بالآتي . ـ وذلك عند افتتاح الجمعية التأسيسية :

١ ـ الغاء الاعتراف بالشيوعية في هذا البلد الاسلامي لانها جريمة لا تغتفر .

٢ ـ الغاء سن الـ ١٨ للمواطنين حتى يستكمل سن الرشد ٢١ من العمر ليتمكن من الادلاء بصوته في حالة رشده .

٣ ـ الغاء النقابات في الوقت الحاضر بالنسبة لحالة البلد الاقتصادية لان وجودها يشكل خطرا على اقتصاديات البلاد لان اضرابهم لا يعني المصلحة العامة بقدر ما يعني الفوضى فانصرافهم للانتاج وحده هو الواجب لتنمية وتطور الاقتصاد الوطني في هذا الظرف بالذات لانقاذ ما يمكن انقاذه .

٤ ـ سن قانون بالغاء الاضراب وخاصة المرضين لان اضرابهم يعتبر من ابشع الجرائم الانسانية .

٥ ـ كل هذه الاعمال عملت بواسطة الشيوعيين وليس لحزب اخر دخل فيها » .

الامضاء مواطن

طبعا لا مواطن ولا يحزنون ولكنها سياسة الوطني الاتحادي التي درج عليها في معاداتها للحزب الشيوعي واني هنا اشير الى الاجتماع السري الذي هيأ له احد الشبان السودانيين وزوجته الاجنبية في منزلهما بالخرطوم حيث عقد اجتماع حضره كيران من السفارة الامريكية وبعض من اقطاب الوطني الاتحادي اتفق فيه على ان يتعهد الوطني الاتحادي اذا كسب الانتخابات (١) ان ينتهج سياسة تقارب مع

السعودية والا يندفع نحو السياسة التحررية التي تقودها مصر[٢] حل الحزب الشيوعي مقابل ان يقوم الطرف الاخر بتمويل المعركة الانتخابية.

اما السيد الصادق المهدي رئيس حزب الامة فقد اعلن في مؤتمره الصحفي عشية اعلان نتيجة دوائر الخريجين ، بان على حزب الامة واجب هام بعد ان فاز ما اسماهم بالشباب الطائش بعضوية الجمعية التأسيسية .

ومسألة الطيش هذه فيها نظر لان اصغر عضو من الثمانية اعضاء الشيوعيين اكبر منه سنا واعظم تجربة في الميدان السياسي والاجتماعي وربما اكثر علما .

ثم فتوى [٢] من اسموا انفسهم بعلماء الاسلام والحادبين عليه وقديما قال ابو العلاء :

فكم شيوخ غدوا بيضا مفارقهم
يسبحون وباتوا في الخنا سبحا

وليس عندهم دين ولا نسك
فلا تغرك ايد تحمل السبحا

تعرض الحزب الشيوعي لمثل هذا الاتهام في الماضي في وزارة الوطني الاتحادي حيث دس منشور يسب النبي ويطعن في الاسلام ويمجد الشيوعية وارسل ذلك المنشور الى شيخ العلماء وبعض الطوائف الدينية وخرجت كلاب الصيد تعوي في الجوامع وتحرض الناس على الفتنة. وتصدى الاستاذ عبد الخالق محجوب الامين العام للحزب الشيوعي فرد في مقال نشرته صحيفة الايام [٣] الغراء تحت عنوان

---

٢ ــ الراي العام بتاريخ ١٩٦٥/١١/١٧
٣ ــ الايام العدد ٣٠٦ بتاريخ ١٩٥٤/١٠/٥

« لماذا اصبحت شيوعيا » رد فيه ردا شافيا مدافعا عن الشيوعية كما نشرت الميدان الكلمة الاتية بعنوان « السيد عبد الرحمن [4] المهدي يحذر من الفتنة » :

« في صلاة الجمعة بمسجد السيد عبد الرحمن المهدي بود نوباوي وقف شخص اسمه الغبشاوي وخاض في حديث الافك واعاد على المصلين منشور شيخ العلماء وحرض الناس واثار الخواطر ودعا للفتنة بصورة عمياء وكان في الصلاة عدد كبير من الانصار من العاصمة ووفود من دارفور وغيرها وبسبب هذه الاثارة هاج الناس واصبحوا في حالة توحي بأي شيء وكان السيد الامام عبد الرحمن المهدي حاضرا كعادته في كل صلاة جمعة فلما رأى التحفز البادي على الوجوه لم يطق صبرا على هذا الامر الذي كان مفاجئا له فنهض وخطب في الناس وقال انه حسب ما يعلم فان المصدر الحقيقي للمنشور المشار اليه تحيطه الشكوك والريب ولم يثبت انه من عمل الشيوعيين واضاف الى انه قرأ في الصحف ان احد الشيوعيين قد نفى انهم يحاربون الدين وهذا يكفينا كمسلمين وفوق هذا فان الاسلام لا يأخذ الناس بالشبهات . ثم نبه السيد الامام الى حقيقة اخرى وهي ان ذلك المنشور لم يصل الى كل الهيئات الدينية فلم يصل الى طائفة الانصار وانه اتصل بطائفة الاسماعيلية فقالوا انه لم يرسل لهم ومن هذا يفهم انه قصد به جهة خاصة وحدها ولو كانت المسألة دينية بحتة لارسل لكل الهيئات الدينية بغير استثناء . وحذر السيد عبد الرحمن المهدي من هذه الفتنة التي قد يثار اتباعه للاندفاع فيها بحماسهم فيصبحوا ضحية في مسألة لا تخصهم ولا مصلحة لهم فيها . وختم قوله بالتوجه الى اتباعه بالا يخوضوا في هذا الامر وان يتجنبوا هذه الفتنة وقال انه لا توجد سلطات للمسلمين

---

٤ ـ الميدان العدد ١٢ بتاريخ ١٤/١٠/١٩٥٤

في هذا البلد اليوم وليس من حق احد ان يهدر دماء الناس .

نشر هذا الحديث تسجيلا للموقف ونحن كما يعلم الناس لسنا من طائفة السيد عبد الرحمن ولا من الحزب الذي يشمله برعايته ولكن رغم هذا فان الامانة تقتضي ان نوضح هذا الموقف لكل السودانيين » .

ذلك كان احد مواقف السيد عبد الرحمن النبيلة عملا بقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وكانت صحيفة الايام الغراء قد نشرت في باب يوميات العاصمة بعنوان «سمعت» : «ان منشورات قد وزعت في العاصمة وارسلت الى بعض الناس بالبريد تهاجم الدين الاسلامي وتنادي بحياة الشيوعية . ويقول الذين قرؤها انها مقلب غير ناضج وطريقة جديدة مبتكرة في محاربة الشيوعية تقوم بها بعض الهيئات » .

ولم يفت الرأي العام [٥] الغراء انتعلق تحت «هذهالهيئة الموقرة» بقولها : ــ «لا اعرف بيانا احدث ضجة مثل هذا البيان الذي اصدرته هيئة كبار العلماء وقد خشيت ان اقول استنكارا بدل ضجة فاغضب قوما اجلهم واكبرهم .

وليس مصدر هذه الضجة الشيوعية وانصار الشيوعية وحدهم بل فئات اخرى من الناس اعاد البيان اليها ذكريات الامس القريب الذي لم يسه النسيان بعد . وذلك عندما وقف الشعب يناضل لنيل حريته وسقط المؤمنون الذين (يوادون من حاد الله ورسوله) صرعى وسارت المواكب الحزينة الصامتة تواري الشهداء بين مقابر المسلمين الوطنية تستنكر ما فعلته القوة (الغاشمة) الا صوت واحد افتقدناه آنذاك كان

---

٥ ــ الراي العام بتاريخ ١٢/١٠/١٩٥٤

يجب ان يكون اعلى الاصوات واقواها فهل تذكر هيئة العلماء انه صوت من ؟

واذكر مرة اخرى وما امر الذكريات احيانا كيف اراد بعض المسلمين المؤمنين بحرية بلادهم وبجلاء الاستعمار الذي يطلب منا الدين ان نجاهده كيف اراد هذا النفر الكريم ان تقام صلاة الغائب في مساجد العاصمة المثلثة على ارواح شهداء عطبرة وبورتسودان وليعفني القارىء ان اسرد عليه الدور الذي وقفه بعض السادة العلماء الاجلاء من هذه الصلوات ويكفي انها لم تتم وان بعضهم افتى انها لا تجوز وان .... وان .... عفا الله عما سلف .

قلت انني اجل هذه الهيئة الموقرة واكبرها واريد ان تكون مشاركتها لاحداث المجتمع مشاركة جديرة بها فلا تصمت في الملمات ونسمع صوتها عندما تأمن من العثرات وهذا ما اخذه عليها الناس » .

وسارعت الصحف المحلية هذه المرة ايضا تسجل اعتراضها على ما كان يجري من مؤامرة لحل الحزب الشيوعي اقتطف منها مقالين وكلمة صغيرة كتبها حسن بابكر المهندس نائب مروى .

اراء حرة بقلم الفاتح التيجاني

امام التحدي الاعظم للمصير اما ان يقف الانسان في شجاعة لمواجهة المصيبة واما ان يخرس ومسئوليتنا ان نكون شجعانا لأننا اخترنا الحكم الديمقراطي سبيلا لمواجهة الشعب ولاننا باختيارنا رضينا ان نكون في موضع المعلم والمرشد عندما طرقنا باب الصحافة .

وليس اشد علينا رزءا مما نمر به اليوم وليس ادعى للنكاية مما

---

٦ ـ الراي العام بتاريخ ١٩٦٥/١١/١٣

نحن فيه بعد عام كامل من عمر الثورة الشعبية الديمقراطية .

وليس اعسر علينا امتحانا مما نواجهه في هذه المرحلة من تاريخنا فلترشدنا عناية الله للطريق السوي ولينزع عن بصيرتنا حجب الغشاوة والجهل لنقول الكلمة الصريحة وننطق بالحكم في زمن بلغت فيه الجهالة المتعصبة والعصبية الجاهلة .

وضع متأزم في الجنوب مؤامرات استعمارية تحاك في الظلام لتقطيع اوصال بلادنا ونهب مقدراتها وضع نحن ادرى من غيرنا لاننا نعيش فيه كل يوم بمشاعرنا واحاسيسنا وبحكم عملنا .

وضع اقتصادي ينذر بالسوء والدمار تتبع القروض ولا حل للأزمة الا بمزيد من القروض . ازمة حكم عصبية قيادة مترددة لا ندري متى تنفض لتترك الذيل بلا دليل او متى تعلن الالتقاء ليرتاح الذيل قليلا مما هو فيه من حيرة وقد مررنا في الاسبوعين الماضيين باسوأ ما يمكن ان نمر به من فوضى سياسية وازمة في الحكم .

الديمقراطية التي بذلنا من اجلها النفس والنفيس وسالت دماء شهدائنا فداء لها تتعرض لأبشع هزة ولانكر امتحان .. حتى الثقة في نجاحها اهتزت عند جماهير الشعب فاهتزت معها الثقة في الحكام والثقة في التاريخ والثقة في المصير فيا للمصيبة .

وقد كنا دائما نناشد حكامنا ان يستجيبوا لنداء الحكمة وليتجاوزوا صغائر الامور وسفاسفها ليلتفتوا الى مصالح البلاد ويعملوا من اجل ايجاد الاستقرار فيصلحوا المعوج ويقوموا ما ساء من احوالنا وما فسد منها .

ولكن المصيبة لنا بالمرصاد والشر يتربص بنا والهلاك فاغر فاه ينتظر .

لا ابالغ ولكنني لا ارضى بتخفيف الرزء بالمسكنات واسكانه بمعسول الحديث وحلو الكلام هكذا ان شئنا ان نصلح فلنواجه الامر في شجاعة ولنحزم امرنا في جرأة ولنبادر وان لم نشأ فعلى سوداننا العفاء .

اكتب هذا وفي مخيلتي مظاهرات الامس العنيفة التي جابت شوارع العاصمة صاخبة تنادي بحل الحزب الشيوعي السوداني وتستنفر الجماهير لتحطيم دوره والتعرض لاعضائه بالهجوم بشتى انواعه والعربات التي طافت الاحياء وهي تحمل للجماهير هذه المعاني وتهيب بها ان تتجمع لسحق الشيوعية وابادة الشيوعيين .

وما كنت اصدق حتى المساء ان هذه الدعوة يمكن ان تجد اذانا صاغية حتى طفت على احياء ام درمان فشاهدت بعيني نذير الكارثة ، شاهدت النساء وهن يقفن على ابواب المنازل في ذعر وقلق . شاهدت فلذات الاكباد وقد سال الغضب من جوانبها وتكون جنينا اخطبوطيا يهدد بنشر اياديه على كل شيء .

شاهدت دار الحزب الشيوعي ببيت المال وقد تحطمت تماما وانتشرت الاوراق الخاصة بها على الطريق حتى مواسير المياه تحطمت لتسمح للمياه بالسيل في الشوارع كما سال الغضب .

رأيت كل هذا وتمزق قلبي ولم انم كيف بدأت الازمة وكيف نشأت ؟

كيف هذا في يوم واحد تبدد حالنا الى ما نحن فيه ؟

ان الطالب الذي وقف في معهد المعلمين العالي ليستبيح تقاليدنا ويسيء الى ديننا ويتهم رسلنا ويمارس فجور اخلاقه علنا يستحق ما لقي من الجماهير الثائرة فهو شاب مستهتر لا خلق له ولا دين وهو

عربيد كان يجب ان يصفع الف مرة قبل ان يبرح المنصة التي كان ينشر فساده ويمارس خلقه الفاجر ـ والحديث الذي ادلى به لن يرتفع عن مواطىء اخلاقه القذرة ولن يمس من عظمة الاسلام وقداسته وقد سلم الى البوليس الذي بدأ يباشر تحقيقه معه وتتمنى ان يلقى جزاءا وفاقا لما نطق به وبئس ما نطق .

ولكن ......

هل كان من العدل ان يؤخذ الحزب الشيوعي بجريرة هذا الشاب المنكر ، وهل يمثل هذا المستهتر الحزب الشيوعي .

وهل هكذا وبهذه الصورة نثأر لانفسنا لقد انكر الحزب الشيوعي ان هذا الطالب ينتمي اليه وانكر ذلك ايضا اتحاد طلاب معهد المعلمين العالي وثبت بالظاهر على الاقل ان هذا الدعي لا صلة له بالحزب الشيوعي السوداني . ولكن رغم ذلك سارت المظاهرات وتفاقم الامر وتأزم الحال .

وبدا جليا ان الشعور قد عبىء عمدا وعن قصد ضد الحزب الشيوعي وان الحملة ستمتد وتزداد لانه اريد لها ذلك .

وهكذا تضيع منا فرص الاستقرار وتتردى البلاد مرة اخرى في هاوية القلق والفزع والفوضى .

لقد حضرت استقبال السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء للوفد الذي سلمه العرائض التي جاء ذكرها في انباء الامس وسمعت كلماته التي قال فيها ان كل شيء بيد القانون وانه سينظر في الامر بعد التحقيق . وسيوليه كل العناية .

ولكن كل ذلك لم يجد فتيلا ولم يهدىء الخواطر الثائرة والقلوب المنفعلة .

وكانت بداية الكارثة التي نبتهل الى الله الا تذهب بالاخضر واليابس .

ان ما حدث امس الاول هو شيء جديد علينا وغريب على بلادنا فالفكرة لا تحارب بالخنجر والكلمة لا تغير بالسلاح وانما تقرع الحجة بالحجة وتهزم الكلمة بالكلمة . وفقنا الله لما فيه الخير .

حرية او لا حرية (٧)

اهابت الايام في بداية الازمة التي نشأت اثر ندوة معهد المعلمين العالي بالمواطنين ان يحكموا العقل والا يسمحوا للموقف بان يتدهور وبالارهاب ان يسود ومن المؤسف ان تقع احداث الجمعة الماضية وان يفلت زمام الامن من الايدي المسئولة مما يؤدي الى اصطدام دموي .

لقد قلنا وما زلنا نكرر ان ذلك الحادث كان حادثا فرديا وان الخطأ الذي ارتكبه ذلك الطالب خطأ مستهين شنيع يجب ان يعاقب عليه عقابا يتساوى مع جرمه لاستهانته بمعتقدات الناس .

اما كل ما حدث بعد ذلك ليس اكثر من استغلال سياسي للازمة ومحاولة واضحة لمحاربة الحزب الشيوعي وتجنيد القوى واستنفار لعواطف الناس الدينية للحصول على مكاسب سياسية ولمحاربة الخصوم السياسيين وهو وضع يسيء الى الاحزاب والهيئات التيتقوم به ويدينها ادانة بالغة ويكشف تنكرها للديمقراطية التي ضحى من اجلها الشعب السوداني ويفسح الطرق لحكم فاشي يحاول القضاء على الخصوم السياسيين بالقوانين والسجون والمعتقلات وهو بعد هذا لن يؤثر على الحزب الشيوعي فهو حزب جم النشاط ودقيق التنظيم اعتاد الحياة تحت

---

٧ ـ افتتاحية الايام العدد ٧٤٢٨ بتاريخ ١٩٦٥/١١/١٤

الارض وكان اقوى الاحزاب في محاربة الحكم العسكري البائد وضحى اعضاؤه في سبيل القضاء على تضحيات لا يستطيع احد ان ينكرها .

ان بلادنا تجابه اليوم مشكلات عديدة ضخمة وكنا وما زلنا نرى بأن السبيل لمجابهتها هو المزيد من الديمقراطية والحرية ووحدة الغرض ومما يؤسف ان تطل هذه البوادر الارهابية برأسها لتزيد حدة الخلافات والافكار لا تحارب بالحرائق والصدام المسلح ولا تحارب بالقوانين والسجون ولكن تواجه بالافكار والعمل الدائب .

وقد تحسس بعض الاحزاب الكبيرة ان تنظيم الحزب الشيوعي ومقدرته ونجاحه كل ذلك يهددها بخطر عظيم فتسير في ركب الدعوة لحل الحزب الشيوعي ولكنها حين تفعل ذلك تتقوض دعائم الديمقراطية وتفتح الباب للحكم الفاشي الغاشم وتصم نفسها بوصمة تلاحقها ابد الدهر لانها حين فشلت في مواجهة الرأي بالرأي لجأت الى العنف والقانون تكم به الافواه وتلك سمات الحكم الديكتاتوري .

اما الهيئات والاحزاب الصغيرة التي تسير في هذا الطريق فهي تخطىء خطأ عظيما يهدد حياتها هي قبل غيرها لانه لو اصبح حل الاحزاب سنة تلجأ اليها فسيطبق في الغد القريب عليها اولا ولن يعدم الناس السبب وستؤكل يوم اكل الثور الابيض .

ان القضية قضية مبدأ حرية او لا حرية والذين يقفون بجانب حل الاحزاب انما يحفرون اليوم لا غدا قبرا للديمقراطية .

وما زلنا نكرر الخطأ الذي ارتكبه الطالب خطأ عظيم وهو خطأ فردي سينال عليه الطالب العقاب الذي يحدده القانون اما الخلط بين هذا وبين حل الحزب الشيوعي فليس سوى وسيلة لغاية سياسية .

كلمة : اين وقفت (٨)

بقلم السيد حسن بابكر المهندس نائب مروى

« وقفت بالامس في الجمعية التأسيسية ضد قرار تعديل الدستور وحل الحزب الشيوعي لا دفاعا عن الشيوعية ولكن دفاعا عن الوطني الاتحادي وجماهيره وقفت دفاعا عن الحرية والديمقراطية وقفت بجانب اساتذة الجامعات وهم منارات العلم وطلابها رجال الغد المشرق وقفت بجانب الصحفيين والمحامين وهم الذين دافعوا عن حرية هذا البلد المنكوب في احلك الظروف وقفت بجانب العمال والمزارعين والكادحين الذين وقفوا في الماضي وسيقفون في المستقبل دفاعا عن حقهم في الحياة وهو حق هذا الشعب وقفت بجانب الموظفين وهم الطبقة المستنيرة في هذا القطر ولا يستطيع مكابر ان ينكر دورهم العظيم في معركة الحرية الاولى ومعركة الحرية الثانية وسيقفون في معركة الحرية القادمة .

وقفت بالامس بجانب كل من له ضمير في هذا البلد وخارج السودان وقفت بجانب كل من نظر الى مستقبل هذا البلد بعقل لم تطمسه الاغراض وتحول بينه وبين الرؤية الصادقة وقفت مع كل هؤلاء لكي لا اسجل في تاريخ حياتي اني كنت يوما حربا على الحرية والديمقراطية .

عاشت الحرية وعاشت الديمقراطية

وعاشت ذكرى شهداء اكتوبر

وعاش الاحرار في كل مكان »

وهكذا نفس الاسلوب ونفس المؤامرة سواء كان منشورا دس بليل او حديث افك ردده صبي مافون ثم بيان العلماء ثم استغلال منابر اللـه .

---

٨ ـ الايام العدد ٤٥٢٤ بتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٣

مكر سواس علـى الدهـاء جاز
ورعـــاة بالرعايـا يلعبـــون
جعلـوا الحـق لبغـى سلمـا
فهـو كالسيف لهم والتـرس
وقديمـا باسمـــه قـد ظلمـا
كـل ذي مئزنـــة او جـرس

وعجبت من السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء وزعيم الجمعية التي اتخذت قرار حل الحزب الشيوعي وابعاد نوابه عجبت له وهو الذي كان يصرخ بحرية الرأي ويهزج بمحاسنها ويكتب في كتابه موت دنيا عن حرية الفكر ومؤامرة الرجعية وقد خبرها واكتوى بنارها اليس هو القائل :

« وتطلع [٩] بعض اعضاء لجنـــة النادي التنفيذية الى لوحـة الاعلانات فرأوا ما لم يعجبهم في الظاهر وان اثلج صدورهم في الباطن ووجدوا الفرصة سانحة لينصبوا الفخ لهذا الجيل من الشباب . الـم يحاول ذلك الجيل ادخال آراء جديدة على مجتمعهم ويتندر ببساطـــة عقولهم وعزوفهم عن حياة الفكر والعلم ويكشف النقاب عـن سطحية شعرائهم وكتابهم ويحتقر مجتمعاتهم وما يدور فيها من احاديث المكاتب وترقيات الموظفين وتنقلاتهم وتجريح الناس .

الم يقتحم ذلك الجيل حماهم العتيد ويشاركهم في مباهجه بل وفي ادارته ؟ لقد سنحت الفرصة للانتقام ويجب الا تفلت منهم .

وللرجعية اساليبها في اثارة المسائل وخلق جو بغيض حولهـا وقد وجه الاتهام الى نفر معين بذاته وتقولوا عليه ما لم يقلـه واشاعوا ان

---

٩ ـ موت دنيا : محمد احمد محجوب وعبد الحليم محمد صفحـة ٩٧ / ٩٨

الحادث بلغ السلطات الحكومية وانه موضع اهتمامها واذا لم يثبت ان الحادث فردي ولا يعبر عن رأي النادي فسيكون النادي عرضة للخطر وربما اغلقت ابوابه .

وانعقدت لجنة النادي وبدأ التحقيق وماذا يقصد به ؟ ومثـــل المتهمون امام لجنة النادي ودافعوا عن انفسهم بعدم اختصاص اللجنـــة اولا وبأن حرية الفكر يجب ان تحترم ولكل فرد ان يعبر عن رضائه او امتعاضه بالطرق التي يراها وليس لاحد كائنا من كان او لهيئة مهما كان نفوذها ان تتعرض او تسأل .

ولكن هذه الاراء وامثالها لا ترضي الرجعية فكانت مشادة تراشق الناس فيها بسهام الالفاظ الجارحة وفصل احد اعضاء النــادي وانتهت المعركة داخل النادي ولكن الى حين .

لجأت الرجعية الى سلاحها المسموم واطلقت الاشاعات هنا وهناك بين الاستاذ وتلامذته ويفرقون بين الصديق والصديق ويوشون بالولد عند ابيه . يصورون من الحوادث ما لم يقع وينسجون من شراك السوء ما يفترس الابرياء وغير الابرياء .

انها الفتنة العمياء .

انها الشرارة الاولى التي اشعلت النار في الهشيم وها نحن نشهد فصول الرواية ونكتوي بنار الفتنة ونشفق مما هو آت فان الرواية لم تتم فصولها ... » هذا رأي محمد احمد محجوب قبل اكثر من ثلاثـــين عاما فما باله اليوم ينكص على عقبيه ؟ »

وترك امر تنفيذ قرار حل الحزب الشيوعي للسيد احمد المهـــدي وزير داخلية الحزبين المؤتلفين وابعد النواب الثمانية وانهى هذا الفصل.

برأي صحيفة [١٠] الايكونومست اللندنية في تلك المسرحية : ـ

« اليوم يتعرض الحزب الشيوعي السوداني للحل بعد وجـوده القانوني لاكثر من عام ولقد اصبح الحزب الشيوعي قانونيا بعد ثـورة اكتوبر في العام الماضي .

ومنذ ذلك الوقت تمتع بصفة فريدة وذلك بان صار الحـزب الشيوعي القانوني الوحيد في العالم المسلم فاذا ما حـل اليوم كبقية احزاب ذلك العالم فان الحل سيسبب بعضا من المتاعب .. متاعب ليست متعلقة بقرار حل الحزب بل تتعلق بالاسلوب والطريقة التي يتم بهـا الحل فهذه الاساليب والطرق قد يظن انها ستكون الطرف الرقيـق لاسفين القضاء على الاحزاب المعارضة الاخرى وللتعدي على مكسب الديمقراطية الذي اكتسب في السنة الماضية .

والضغط الرامي الى حل الحزب الشيوعي ارتفع اخـيرا بعد ان قارن احد الطلبة من معهـد المعلمين بين ماركس ولينـين وبين الرسول محمد وبعد ان تفوه بالفاظ قبيحة ضد زوجة الرسول واعلن الحـزب الشيوعي للرأي العام عدم علاقته بحديث ذلك الطالب وانه ليس عضوا في الحزب الشيوعي ولا تجمعه به صلة ولكن جماعة اليمين المتطرفة من الاخوان المسلمين ومن حزب الامة ارادوا الاسترزاق من الحادث بهدف حل الحزب الشيوعي .

وامام المعارضة الواسعة في الصحافة حاولوا ان يجدوا تشريعـا يسمح لهم بحل كل الاحزاب «المعارضة للدين» ولكـن الكثير من سكان المدن مقتنعون بان مثل هذا التشريع عمل غير ديمقراطي فوقعت اضطرابات كبيرة في ٢١ نوفمبر في الخرطوم بعد ان منعت السلطـات

١٠ـ الايكونومست اللندنية بتاريخ ١٩٦٥/١٢/٤

اليساريين واليمينيين من تسيير المظاهرات وفرقت بعض الالاف من المشتركين في تلك الاضطرابات بالقنابل المسيلة للدموع وبالعصي الغليظة بعد ان اقامت تلك الالاف المتاريس في شوارع الخرطوم ورجمت البوليس بالحجارة ونتيجة لذلك حجز ٣٦ شخصا في المستشفى وسألت احدى المتظاهرات مراسلنا عما اذا كانت القنابل المسيلة للدموع امريكية الصنع ؟ فالعلامة على العلبة تحمل الكلمات الاتية : « صنعت في الولايات المتحدة الامريكية » .

وفي اليوم الثاني عدلت الجمعية التأسيسية الدستور باغلبية ١٤٢ ضد ١٧ صوتا المادة الخامسة من الدستور التي تكفل الحريات العامة وقيام الجمعيات وهذه المادة عدلت للتخلص من الحزب الشيوعي او اي حزب يدعو للالحاد .

وهكذا فتح الباب لتقديم مشروع قانون بحل الحزب الشيوعي يتوقع ان يصبح ساري المفعول في وقت قريب طالما ان حزبي الأئتلاف الامة والوطني الاتحادي باستثناء مجموعة بسيطة من نواب الحزب الاخير قد وافقا على حل الحزب .

وسيكون الاثر المباشر للتشريع مثل هذا اسقاط عضوية النواب الشيوعيين في الجمعية وطالما كان عددهم ١١ فقد لا يكون هذا سبب ازعاج كبير ولكن حقيقة ان المقاعد التي يحتلونها وهي ١١ من ١٥ مقعدا لدوائر خاصة لخريجي الجامعات سيزيد من عداء المثقفين السودانيين لأئتلاف الامة ـ الوطني الاتحادي والمثقفون المهنيون هم الذين دعوا لانقلاب السنة الماضية ضد نظام الجنرال عبود العسكري .

وقد نجحت الاحزاب اليمينية في اثارة الشعور المعادي للشيوعية بمخاطبتها لمعتقدات السودانيين الدينية ولكن عددا كبيرا من الناس يرى ان التعديل سابقة قد تستغل ضد احزاب اخرى .

وقد يكون ما يراه هؤلاء انذارا للاخوان المسلمين بالذات والذين كانوا اكثر المتحمسين صراخا لحل الحزب الشيوعي فالاخوان المسلمون باعتبارهم حزبا صغيرا قد يصبحون اول هدف للضغط لسحب المرونـة الدستورية الجديدة لتطبق على المتطرفين من اي نوع » .

ابعاد نواب الحزب الشيوعي

في الجلسة رقم ٣٩ المنعقدة بتاريخ ١٦/١٢/١٩٦٥ تقدم الدكتور حسن الترابي امين عام جبهة الميثاق الاسلامي باثارة مسألة عاجلة مقترحا : ـ

ارجو ان اقترح انه من رأي هذه الجمعية ان : ـ

١ ـ تقرر انه بحكم الدستور والقانون قد سقطت العضوية عن السادة:
حسن الطاهر زروق
عز الدين علي عامر
محمد ابراهيم نقد
عمر مصطفى المكي
الرشيد نايل
عبد الرحمن عبد الرحيم الوسيلة
الطاهر عبد الباسط
جوزيف قرنق

٢ ـ وان تكلف رئيسها بحفظ النظام في الجلسات بابعاد اولئك الافراد.

سيدي الرئيس هذا الموضوع خضنا فيه مرات ولا اريد ان اخوض في جوهره وارجو من الاعضاء ان لا يخوضوا فيه حتى ننصرف للاعمال الاخرى ، فالامر لا يعدو ان يكون تنفيذا شكليا للرغبة التي ظهرت في تعديل الدستور واكدها القانون لتسقط احقية استمرار عضوية من ساندهم الحزب الشيوعي وبقي عضوان آخران لهما علاقة ولكنهما لم

تتضح بعد .لم يتضح انهما يدعوان الى الشيوعية اما الثمانية المذكورون فالقانون صريح في ابعادهم وعملية رفع الاسماء ما هي الا شكل اجرائي وعرف برلماني حتى ولو سقطت العضوية بطريقة الموت ينبغي ان يصدر قرار شكلي حتى يبعدوا جسميا من مقاعد الجلسة ويستطيع رئيس الجمعية ان يحفظ النظام وقائمة الاسماء بالطريقة الجديدة .

السيد عبد الله الطيب جدو (الدائرة ١٣٧ الفاشر الغربية) : ــ
انني عندما اوافق على هذا الاقتراح الشكلي .
السيد الدكتور عز الدين علي عامر (دوائر الخريجين) : ــ

نقطة نظام ــ طالما تحدث العضو الاول اعتقد انه من ناحية الاجراءات لا يجوز التداول في هذا الاقتراح في هذه الجلسة للاسباب الاتية : ــ

اولا ــ يتنافى مع المادة ٣٣ (٨) من لائحة الجمعية التي تنص على عدم جواز مناقشة اي موضوع قيد النظر امام المحكمة وان هناك قضية امام المحكمة العليا وقد حدد موعدها واخطرت الجمعية ولدي شهادة تثبت ذلك .

ثانيا ــ ان اسقاط العضوية ليس من حق المجلس وهو يتعارض مع المادة (٤٩) من الدستور .

ثالثا ــ انه حسب الاجراءات العتيقة في كتاب ارسكين في صفحة ١٠٥ ــ ١٠٨ يجب اخطار العضو الغائب ليحضر حتى يتمكن من الدفاع عن نفسه ولم تصل ورقة الاستدعاء لبعض الاعضاء .

رابعا ــ هذه الجمعية لها حق التشريع وليس من حقها التنفيذ وهذا فيه خرق لمبدأ استقلال السلطات .

السيد رئيس الجمعية ــ ارجو ان ارد على النقاط الاربعة :

١ ــ المادة ٣٣ (٨) لا يجوز ان تعرض للمداولــة اي مسألة امام القضاء ، هذا لا ينطبق على المسائل الداخلية للجمعية وكما اعلم فــان الجمعية لها الحق في ان تقصي من عضويتها اي عضو اذا رأت ذلــك مناسبا .

٢ ــ وفيما يختص بالمادة ٤٩ من الدستور فرئيس الجمعية مسئول عن تنفيذ اللائحة وليس الدستور والهيئة القضائية هي حارسة الدستور فاذا اقرت الجمعية اي شيء فالذي يضار منه يمكنه ان يلجأ للمحكمة العليا لتحكم لصالحه .

٣ ــ اشار العضو لارسكين ... ففي بعــض الحالات يصح ان لا تقدم مثل هذه الاخطارات وهذه مسألة مستعجلة وقد كتبنا لنخطــر الاعضاء بعد ان اجاز المجلس الاذن لمناقشتها وما ندري انه سيجيز المناقشة او لا ولا استطيع ان اؤكد ان كانت هذه الاخطارات قــد وصلتهم او لم تصلهم واذا لم تصل يحق للعضو ان يشتكي .

٤ ــ النقطة الرابعة فصل السلطات فيما يختــص بهذه اللوائح فالضابط التنفيذي هو رئيس الجمعية وليس الهيئــة القضائية ولا البوليس .

اذا نستمر في النقاش .

السيد عبد الله الطيب جدو : ــ اؤيد هذا الاقتراح الشكلــي لاتمام البقية الباقية من الاجراءات .

السيد الدكتور عز الدين علي عامر : ــ انني غير مقتنع بهــذه الاجراءات وعليه انسحب واقول بخيتة وسعيدة عليكم .

السيد رئيس الجمعية :ــ انسحابهم لا ينهي عضويتهم من الجمعية.

السيد مضوي محمد احمد : ــ يبدو ان الموضوع اخذ الشكل

الاخير واعتقد ان الامر واضح والشاهد ان العضو الخارج قد خرج قبل ان يرى المصير المحتوم ولولا اللوائح لكان لنا موقف اخر من التحدي الذي حدث من الاخ الاحمر ـ ان الذين يشكون في اعمال هذه الجمعية ليسوا جديرين بعضويتها لانها تملك كل شيء فقط لا تحول الرجل الى امرأة اما ما عدا ذلك فاننا نمثل الشعب السوداني بأسره ولذا ارى ان الاقتراح المعروض امام الجمعية الان لا بد ان نوافق عليه بالاجماع .

الانسة فاطمة احمد ابراهيم (خريجين) : لقد كثر الكلام في هذا الموضوع وتعرض كثير من الاعضاء بكلمات جارحة فان كان هناك اصرار على خروجهم فليست هذه ارادة الشعب لان صفوة هذا الشعب قد اختارتهم لهذه الجمعية وما اختيروا عن طريق الاشارة والاساليب الفاسدة. لقد اختارهم الخريجون الذين يمثلون صفوة البلاد ـ تحدث عضو عن النساء والرجال وقال بانه هنا لا يمكن ان يحول النساء الى رجال او الرجال الى نساء ـ نعم لا يمكنهم ذلك وهذا التحول لا يتم الا بالاعمال ـ ففي وقت الازمات تتحول اعمال الرجال الى النساء وفي وقت الشدة يظهر ذلك خصوصا في عهد الحكم العسكري حينما كانت تجلجل الاصوات فلم نسمع ان ارتفعت اصوات غير اصوات النساء واختفى الرجال وانني اؤكد للسيد المحترم ان الرجال قد دخلوا السجون ساعة الحارة وتعرضوا لانواع المحاكمات . ان هذا يعرفه جيدا ويعرفه كل الشعب السوداني وتعرفه الصفحات السابعة من الصحف ومضابط المحاكم ـ اقول ان النساء تحدين الرجال ولم يظهر اولئك الرجال الا عندما كان الحكم العسكري يحتضر فبدأوا يتهافتون ويعقدون الندوات لانه لا خوف من الاسد المحتضر .

السيد عثمان جاد الله الذير : ـ الحديث عن هذا الموضوع ينبغي الا يطول لاننا تحدثنا في هذا المجلس عن الاسباب التي حدت بالامة

جمعاء في الطرقات وفي قمتها بهذه الجمعية لن تقول كلمة لا وجود ولا بقاء لمن يدعو للشيوعية وقد تقرر ذلك في تعديل الدستور لاخراجهم لانه يتنافى مع ارادة الامة ـ اما الحديث عن نساء يتحولن الى رجال ورجال الى نساء كما اثارته هذه القارورة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول رفقا بالقوارير ونحن لا نحط من قدرها لان في ديننا ان النسوة قد شاركن في خلق الامة وقد خرجن مع الامام المهدي ورفعن راية الجهاد وانتصرنا . نحن لا ننكر جهاد النسوة ـ اما الحديث عن معارك الحكم العسكري فقد تحدثنا عنها من قبل واميط اللثام عن كثير منها حينما كانوا يساندون اللواء عبود انهم يقفون ضد الحكم العسكري ولم يقفوا وقفة واحدة مع الجماعة ـ حينما قابلناهم في الجبهة الموحدة اختلفوا معنا في ميثاق الامام الراحل الصديق وقد وضعه بغية ان تلتقي جميع الاحزاب في نقطة واحدة اختلفوا معنا وخرجوا يرددون الحكم العسكري خير لنا من هذا الصراع وخرجوا ليسيروا المواكب تهتف بعبود ـ ثم الاعضاء الذين تعرض لهم المتحدث الاخير كان ينبغي ان لا يتعرض لهم لانهم اقاموا الندوات وهم يعلمون ان الحكم العسكري يقودهم الى الموت انني اتشرف الان بالحديث عن هذا العهد لانني لم اكن اصفق لعبود وانما كنت بين الذين قادوا الصراع من اجل ثورة اكتوبر .

يا سيدي ـ عندما وضع نعش الشهيد القرشي وصلى عليه الامام الهادي وحضرة السيد الصادق الذي لوح براية الثورة لقيادة معركة فاصلة ـ اين كان الشيوعيون بميدان عبد المنعم لقد خرج الشيوعيون كالخفافيش ـ لقد طمأنني المتحدث الاخير من ان النساء لن يستطعن ان يكن رجالا وان النساء لا يكن الا نسوة ارجو يا سيدي الرئيس قفل باب النقاش .

السيد محمد احمد محجوب (زعيم الجمعية) : لا بد لي ان اشرح

التعبير الذي ورد عن لسان احد الاعضاء ورردده من بعـد بعضهم وهو ان الجمعية لن تجعل الرجل جسمانيا امرأة ولا المرأة رجلا هـذا الذي عناه العضو نائب المسيد يعني بذلك ان المرأة حينما تقدم خدمة تكون خير من الرجل (ولو لطمتني ذلت سوار) .

السيد رئيس الجمعية : الذين يوافقون على قفـل باب النقاش يجاوبون بنعم ، نعم اغلبية ، والان الذين يوافقـون على الاقتـراح يجاوبون بنعم «نعم بالاجماع» .

انني نقلت ما جرى في تلك الجلسة من حديث لا لطرافته ولكـن ليدرك القارىء الكريم كيف ينزلق اللسان ويأتي بالكذب والافك على رؤوس الاشهاد وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا . انني ارجـو ايضا ان يتأمل جيدا نقطة النظام ورد الرئيس عليها : ـــ

المادة ٤٩ من دستور السودان المؤقت تقـول عن خلو المقاعد : يخلو مقعد العضو في المجلس :

« أ ـــ عند وفاته .

ب ـــ اذا تغيب بدون اذن المجلس عن حضور ٢٥ جلسة متتالية.

جـ ـــ اذا فقد اي شرط من الشروط الموضحة في المادة السابعة .

د ـــ اذا ادين اي شخص في تهم تنطوي على الاساليب الفاسدة وارتكابها نيابة عن العضو او بعلمه او بالتغاضي عنه فيمـا يختص بالانتخابات التي تم فيها انتخابه .

هـ ـــ اذا اصبح عضوا في المجلس الاخر .

و ـــ اذا قدم للرئيس إخطارا كتابيا باستقالته من العضوية » .

هذا ما حدده الدستور لخلو مقعد العضو ولم يعط المجلس الحق لفصل اي عضو لغير تلك الاسباب .

ابعد النواب الخريجين الذين رشحهم الحزب الشيوعي وكان وقع ذلك اليما على نفسي وكنت ارجو ان ابعد كما ابعدوا فلم يكن يطيب لي الجلوس في تلك القاعة التي خذل فيها الحق وارتفع فيها كل صوت خافت متهافت ــ لقد ابعدت الاغلبية الميكانيكية ٨ اصوات لا تساوي شيئا في عداد التصويت ولكن كان قول اي منهم كقول هاملت «سيكون حديثي مثل طعن الخناجر رغم انني لن استخدم خنجرا» ولا اقول ذلك عاطفة وارجعوا الى مداولات الجمعية التأسيسية لتروا كيف كان قولهم حقا وحديثهم صدقا وحججهم ملزمة مفحمة وصح ما قاله النائب محمد توفيق عندما كان احدهم يتكلم ولعله محمد ابراهيم لقد قال وهو يخرج من القاعة « هذه مدرسة » .

لقد كانت مدرسة فعلا ارهبت الوزراء والمستوزرين وكل ذي نزوة رعناء ومرضى الاهواء والثراء .

خاض الحزب الشيوعي السوداني الانتخابات لا ايمانا بما تأتي به من جمعية تأسيسية ولكن ليتخذوا منها منبرا للمساجلة السياسية وميدانا لمقارعة الحجة بالحجة ليرى الشعب ويسمع ولكن الاحزاب التقليدية لم تكن لتقبل هزيمتها المؤكدة فهاجوا وماجوا واستغلوا عبث الصبي المافون ونسجوا الاحابيل والاكاذيب وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

وصدقا ما قاله محمد احمد محجوب ذات يوم :

هـذا زمانك يـا مهازل فامرحي
قد عدت كلب الصيد في الفرسان

كان رأي الحزب الشيوعي واضحا في الانتخابات ولما سقط كل مرشحيه في الدوائر لم يفقدوا اعصابهم بل قابلوها بسخرية .

سقط عبد الخالق محجوب الذي تنقل في معتقلات الحكم العسكري في كوبر وجوبا وزالنجي فوق الثلاثين شهرا وقدم للمحاكمة ولكنه فاجأها بدفاع سياسي لم تكن لتتوقعه فتراجعت وسحبت القضية فقد قال لها : ـ

« انا شخصيا معروف رأيي في الحكومة الراهنة قبل ميلادها بشهر كامل في ليلة سياسية في ميدان عبد المنعم اذ اعلنت ان السيد عبد الله خليل يدبر مع نفر من كبار ضباط الجيش والسفارة الامريكية انقلابا في هذه البلاد وانا حسب معرفتي لهذه البلاد سيأتي اليوم الذي تكون فيه حرية الرأي مكفولة » .

وسقط الشفيع احمد الشيخ سكرتير اتحاد العمال ووزير حكومة اكتوبر وكان اول من شكل له ولرفاقه محكمة عسكرية وحوكم فيها بخمسة سنوات سجنا وقد خاطب المحكمة بقوله :

« ان الفكر لا يمكن ان يحارب بالقانون وان الصراع الفكري العالمي الدائر اليوم شيء كبير اكبر من هذه المحكمة وليس اوضح على عظمته وخطورته من انه اليوم اخترق الفضاء وارسل الكواكب لتدور حول الشمس وهذا ما لا يمكن ان يحارب بقانون ... »

وعلى مستوى الوزارة سقط احمد سليمان وزير الزراعة والغابات وهو الذي سيق للاعتقال ولم يبرأ جراحه من عملية خطيرة الى ناقشوط ورومبيك وواو حتى بلغت حالته درجة الخطورة واتى به الى الخرطوم ولم يسمح له برؤية ساره بنته الصغيرة ولم تبلغ الثالثة من عمرها واعتقل مرة اخرى مع الزعماء السياسيين في جوبا ثم حكم عليه بالسجن في كوبر .

وفاز محمد ابراهيم خليل وزير الحكومة المحلية آنذاك في احدى دوائر سنار وعندما كان اولئك الرفاق يدخلون معتقلات وسجون

الحكم العسكري كان محمد ابراهيم خليل أثيرا لدى الطغمةالعسكرية فقد اخذوه من مكتب محامي الى وظيفة حكومية كبرى يتسامى لها رجال الخدمة المدنية ثم ارسل في بعثة دراسية طويلة في لندن وعندما عاد ولم ترق له الوظيفة آثر ان يلتحق بالجامعة فكان له ما اراد وعين عميدا بكلية الحقوق .

وهناك كثير من مثل هذا .

كانت كتلتنا البرلمانية تمثل مدرسة فكرية هي المدرسة الاشتراكية وعندما خرج النواب الشيوعيون لم تكن هناك معارضة في منهاج الحكم فالكتل البرلمانية كلها بما فيها جبهة الميثاق الاسلامي تنطلق في حلبة سباق واحدة ومن هنا كان حزبا الحكومة الامة والوطني الاتحادي وجبهة الميثاق الاسلامي تقف كتلة واحدة ضد الكتلة الاشتراكية والتقت جميعها في استغلال اغلبيتها في الجمعية التأسيسية لحل الحزب الشيوعي واخراج النوابضاربة مسمارا في نعش الديمقراطية اللبرالية التيبالرغم مما فيها من عيوب الا اننا كنا ننادي بها لما تدعو له من الحقوقالاساسية التي تكفل حرية التنظيم والتعبير الخ وهكذا استطاع المواطنون ان يفرضوا تنظيماتهم السياسية وتقاباتهم المهنية .

ولكن بعد فترة الحكم الذاتي والاستقلال ظهر جليا ان للاحزاب السياسية في بلادنا مفهوما اخر عن الديمقراطية التي تحدثوا عن محاسنها والفوا فيها الكتب ودبجوا المقالات . ذلك المفهوم هو ان الديمقراطية هي وسيلة لهم للسلطة والتسلط .

ألم يرفض وزير العدل في حكومة الوطني الاتحادي قرار البرلمان بالغاء القوانين المقيدة للحريات ؟.

وعندما اشتد ساعد النقابات واتسعت المعارضة ضد حكومة السيدين كما كانوا يطلقون على حكومة الامة وحزب الشعب

الديمقراطي سلم رئيس الوزراء وسكرتير حزب الامة الحكم لقيادة الجيش السوداني لتعطيل النشاط النقابي وتحريم الحقوق الاساسية التي فرضها الشعب بعرقه ودمه .

وبعد ثورة اكتوبر ولاول مرة في تاريخنا السياسي المعاصر يأتلف حزب الامة والوطني الاتحادي وهما يشكلان القوى الكبرى في البلاد فقد فرضت ثورة اكتوبر على الاعداء الالداء ان يرفعوا راية السلام وان يقفوا مع بعضهم البعض واسموا القيادة للسيد الصادق المهدي الذي وجدوا فيه وجها جديدا لهم وهكذا عاد الحزبان اللذان عبثا بالديمقراطية عادا لممارسة لعبتهم القديمة .

ظلت الاحزاب السياسية تحكم البلاد منذ الاستقلال وبعد ثورة اكتوبر باسم الديمقراطية وبقوة النفوذ الطائفي والقبلي ولذلك كانت تلك الحكومات بالرغم من نجاحها في الانتخابات حكومات اقلية كحكومات اسبارطه واثينا في الزمن القديم لانها لم تكن تمثل رأي الاغلبية بل حكم الافراد ـ زعماء الطائفية والعشائر واني لاذكر ان السيد محمد ابراهيم خليل وزير الحكومة المحلية في الوزارة الانتقالية الثانية عندما رشح نفسه في دائرة سنار كان كل ما يحمله من برنامج انتخابي هو صوت الامام الهادي يزكيه نائبا للدائرة سجل في مسجل كان ينقله للناخبين وبذلك فاز في الانتخابات ليكون وزيرا للخارجية والعدل في حكومة الحزبين المؤتلفين وكثير غير السيد محمد ابراهيم ومن نشر صورته بجانب صورة السيد الامام كجواز للنجاح في الانتخابات .

واتى اولئك القوم يعبثون بالديمقراطية الغربية التي كانوا يبشرون بها واتخذوها مدرسة لهم طيلة حياتهم السياسية عادوا ليستغلوا الاغلبية الميكانيكية في الجمعية التأسيسية ويعلنوا حل الحزب الشيوعي وابعاد

النواب الثمانية . وكذلك اتضح لكل ذي عينين ان البلاد لا يمكن ان تحقق رخاءها وامنها وتطورها في ظل الديمقراطية اللبرالية التي يأتـي جل نوابها بأشارة ومباركة من هذا السيد او ذاك .

يسوسون الامـور بغـير عقـل
وينفـذ امرهم فيقـال ساسـه
فـأف مـن الحيـاة واف منى
ومن زمـن رئاستـه خساسـه

وخرج النواب الشيوعيون .

واصبحت الجمعية التأسيسية جسدا بلا روح فهي تجتمع وتناقش ثم تنفض وتجتمع مرة اخرى لتمارس مهمتها التي من اجلها انتخبت وهي القضاء على مكتسبات ثورة اكتوبر وليجلس بواسطتها كل طالب صيد من السياسيين وكانت اغلبية النواب على عهد الناس بهم صـم بكم الا من رفع الاشارة للتصويت « وان شر الدواب عند الله الصم البكـم الذين لا يعقلون » .

لم يكن يطيب لي البقاء في تلك القاعة الخاوية الخالية وقد كنت افكر جديا في الاستقالة منها فغبت من جلساتها ما يقارب العشريـن جلسة من الجلسة رقم ٣٥ الى ٥٣ ولم اعد اليها الا بعـد ان عادت للانعقاد في اوائل فبراير عام ١٩٦٦ ولم يرض الرفاق الاعزاء عن تغيبي من الجمعية واصروا عليّ ان اعود وان ابقى فيها وقد علم السيد محمد احمد محجوب بنيتي تلك فارسل لي من يبلغني رجاءه بان اعود الـى الجمعية وعندما عدت بالحاح منه ومن اصدقائي النـواب المبعدين — قابلني سيادته وطيب خاطري كما يقولون .

كانت مهمتنا نحن الثلاثة شاقة جدا فلم تكن لنا هيئة برلمانية منظمة تتدارس فيها ومعها ما يدور في الجمعية . محجوب محمد صالح لم يكن

كثير الاهتمام بالجمعية وله عذره في ذلك فلقد كان سيادته وعدد كبير من الاعضاء الاخرين يحضرون في الصباح (ليتمموا) كما يقول داود عبد اللطيف ويتفرقوا الى شئونهم وكنت والسيدة فاطمه نعاني كثيرا في حضور الجلسات والمساهمة في المناقشة والمداولة كما كنا نود وكنا نعامل ضمن النواب المستقيلين الاخر لا ككتلة اشتراكية بالرغم من ذلك كان كثير من الرفاق والعاطفين علينا يتوقعون منا ان نكون كما كان النواب الثمانية في قوة عارضتهم ونشاطهم وهذا بالطبع ما لم يكن زيادة على ان كتلتنا البرلمانية قبل خروج الشيوعيين كانت تشكل المعارضة الرئيسية ولذلك كانت تعطى الفرص في المناقشة والمداولة .

بقي ثلاثتنا في الجمعية نعمل جهدا مستطاعا وانضم الينا احمد سليمان في مستهل شهر يونيو ١٩٦٧ وظللنا نجاهر بآرائنا في ثبات وصدق حتى قضي الامر . وبالرغم مما كان يجري في قاعة الجمعية من قبل القادة السياسيين الا اننا كنا نلتقي باولئك النواب البسطاء في البوفيه او في فناء الجمعية وكنت شخصيا اجد طرافة ومتعة في الاتصال بهم كان اغلبهم لا يعرف من امره رشدا وظلوا فريسة الجهل والشعوذة وحجب عنهم نور العلم والمعرفة وكل عين حجب الليل ضؤها عمياء ولأذكر ما قاله لي احد الاصدقاء من الوطني الاتحادي في انتخابات ١٩٥٤ حينما تنافس اثنان من حزبه في دائرة واحدة وارسل المرحوم مبارك زروق ليحسم النزاع لصالح احدهما وكان جاهلا وعندما اعترض الاخرون قال لهم زروق «الا يستطع ان يرفع اصبعه عندما نريد منه ذلك ؟ هذا كل ما نريده من النواب » ذلك كان التقليد الذي سار عليه الوطني الاتحادي اما نواب الامة فامرهم اعجب .

ولا اريد ان اشبه اكثرية النواب وجهلهم وموقفنا في الجمعية منهم بقول الشاعر الساخر :

وعصبة لما توسطتهم
سارت على الارض كالخاتم
كأنهم من سوء افهامهم
لم يخرجوا بعد الى العالم
يضحك ابليس اذا رءاهم
لانهم عار على ادم

خصومه حول السلطة

بعد ان تم للحزبين ما ارادا وخرج النواب الشيوعيون وانتهى الفصل الاول من المسرحية رفعت الستارة ليكون بطل الرواية القادمة الحزب الوطني الاتحادي فيمثل للنظارة دوره الميكافيلي في براعة وحذق .

ورجعة قليلة الى الوراء عقب وفاة الامام الصديق مباشرة حيث ظهرت بوادر الخلاف في بيت المهدي وكان هناك فريقان احدهما يرشح السيد الهادي اماما للانصار والاخر السيد الصادق واوشك جناح السيد الصادق ان يكسب الجولة الا ان احدهم اشار الى ان السيد عبدالله الفاضل المهدي غائب في مصر وطلب الا تتم عملية الانتخاب الا بعد حضور سيادته في صبيحة اليوم الثاني وعند عودته وتأثيره الشخصي المباشر انتخب السيد الهادي اماما للانصار .

ومنذ تلك اللحظة اعترى النفوس ما اعتراها فاصبحت مثل الزجاجة كسرها لا يجبر .

وضاعت زعامة الانصار على السيد الصادق وكان الحكم العسكري يشدد من قبضته والزعماء السياسيون في المعتقل ولم يكن للمنظمات السياسية وجود وكأن السيد الصادق يتمثل بقول الشريف الرضى وهو يخاطب الخليفة في موقفه من عمه الامام .

عطفا امير المؤمنين فاننا
في دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يــوم الفخــار تفــاوت
ابــدا كــلانــا في المعالي معــرق
ألا خلافــة ميـــزتــك فانتــي
انا عاطــل منــها وانــت مطــوق

وقامت ثورة اكتوبر وعادت التشكيلات السياسية الى الظهور في المسرح ولعب السيد الصادق المهدي دورا كبيرا فيما آلت اليه الثــورة وما اصابها مــن اجهاض فاخذ يجمع حوله بعض الشبان وطفق يعمــل في نشاط دافق وجهد متواصل واستطاع ان يبعث في هيكل حزب الامة الحياة وانتخب رئيسا لحزب الامة وهكذا وزع منصبا الامامة ورئاسة حزب الامة على شخصين وكان السيد الصديق يجمع بينهمــا الاثنين .

وفي الجلسة رقم ٤٨ المنعقــدة صباح الخميس ٢٣/١٢/١٩٦٥ تقدم السيــد محمــد احمــد محجوب بان تقبل الجمعية استقالـــة العضو احمــد عبدالله جادالله وان تخطر لجنة الانتخابات بذلـــك واستقال العضو المحترم ليفسح الطريق للسيد الصادق المهدي فيصبح عضوا في الجمعيــة التأسيسيــة ويعلــن فوزه .

واتسع الخرق في بيت المهدي ومشى بينهم الظربان كما يقول المثل العربي فانقسموا وتفرقوا وكالوا السباب والقدح لبعضهم البعض وكأن ابا تمام كان يعنيهم على بعد الزمان والمكان وهو يشير الى خروج ثعلب على عمرو التغلبي .

ما لــي رأيــت شراكــم ببســالــة
مالــي ارى اطــوادكــم تتهــدم
مــا هذه القربى التــي لا تتقـــي
ما هذه الرحــم التي لا تــرحــم

كان السيد الصادق منذ ان اتخذ لنفسه مقعدا في الجمعية التأسيسية ينفي ان له رغبة في تولّي الحكم وكان الجو السياسي ينذر بالانفجار وشهدت تلك الفترة منذ اول ١٩٦٦ الى شهر مايو من الحوادث وتصريحات المسئولين ما زعزع الثقة في هذا وذاك من المعسكرين المتنازعين وتبرع السيد احمد المهدي وزير الداخلية ، فاعلن ان الحكومة ستحل اتحاد النقابات واتحاد الشباب السوداني والاتحاد النسائي أو أي هيئة أو رابطة اخرى يسير خلفها الحزب الشيوعي كما اعلن سيادته تصريحه المشئوم بانه سيتبع سياسة جز الرؤوس .

ومن قبلها عطل صحيفتي الزمان والجماهير .

وكان الوطني الاتحادي يلعب دور الميكيافيلي وكانت ثمة اتصالات في الخفاء بين الطرفين المتنافرين من بيت المهدي يقوم بها بعض اقطاب الوطني الاتحادي بل وكان منهم من يصرح « بان هناك صدعا في بيت المهدي خلونا نتابعه » .

وكان السيد احمد المهدي (جناح الامام آنذاك) يعلن ان حزبه يرى في الوطني الاتحادي شريكه الامين والسيد الصادق يعبر عن قلقه على الوضع السياسي ويدعو العناصر السياسية لدراسة اساس عدم الاستقرار وينادي بان الحل الوحيد لايجاد الحلول هو الجمعية التأسيسية ويقول بأن على نواب البلاد مسئولية البحث عن ايجاد الحلول وهو بذلك ينادي بالتعاون مع الوطني الاتحادي .

وفي جو مشحون بالتوتر والتصريحات المتناقضة بين طرفي بيت المهدي المتنازعين في داخل البرلمان تقدم السيد فاروق على البرير (نائب الدائرة ١٦٥ القضارف شمال) بالاقتراح التالي : ـ

« انه من رأى هذه الجمعية ان تسحب ثقتها من السيد رئيس الوزراء وان تعبر في الوقت ذاته عن شكرها له » .

وحددت الجلسة رقم ١٠٢ في يوم الاثنين ٦٦/٧/٢٥ لمناقشة اقتراح سحب الثقة من السيد محمد احمد محجوب حيث تقدم النائب فاروق علي البرير باقتراحه واشفعه بقوله .

« ان هذا الاقتراح ليس اقتراحا فرديا ولا هو صادر من رغبة شخصية وانما هو يعبر عن اراء نواب هذه الجمعية ونحن نعلم ان هذه الحكومة جاءت بعد ثورة اكتوبر ومعنى الثورات لا تكفي بما تعطينا اياه من نظم ودستور وتشريعات ورغبات بل معنى الثورة اعمق من كل ذلك .

ولذا فنحن عندما نتقدم بهذا الاقتراح نعتقد ان السيد رئيس الوزراء وهو احد ثوار اكتوبر وكان يقف معنا في موكب القضائية ومن قادة ذلك الموكب ومن صناع تلك الثورة ولكن الثورة ليست شكلا دستوريا بل هي اعمال تترجم لخدمة الشعب من اقتصاد وتخطيط والسيد رئيس الوزراء لم يوفق في ذلك وكان من المتوقع ان يوفق .

نعم فنحن نعتبر هذه الفترة فترة انطلاقة بالنسبة للشعب لتحقيق امانيه فالشعوب المجاورة الافريقية والعربية كانت تنظر الى استقلال السودان عندما حصل على استقلاله وتتمنى له الكثير وتعتبره خطوة نحو الانطلاق .

وتحمل السيد رئيس الوزراء مسئولية عدم التجاوب مع ثورة اكتوبر اذ كان ينبغي له ان يسير في الطريق التي اختطه الشعب وقد قال في هذا المكان ان الديمقراطية تأتي بمزيد من الديمقراطية ونحن نعتقد انه لم يقصد ذلك بل استعمل اسلوبا دكتاتوريا في فصل احد وزرائه دون الرجوع الى حزبه فالمعركة معركة ديمقراطية في سبيل الديمقراطية وكنا نأمل ان يكون السيد رئيس الوزراء احد حماتها فلم ينصاع لها ولم ينسجم مع التخطيط العام لحزبه بل اضطررنا لكل

هذا فنلجأ الى الجمعية ولم يكن ديمقراطيا في الخضوع لرأي الاغلبية»
وتحدث ايضا الدكتور حســن الترابي .

ثم وقف السيد محمد احمــد محجوب وهو الخطيب المصقــع والاديب البليغ وتعود معرفتي للسيــد محمــد احمــد محجوب لعام ١٩٤٦ حيــث كان سيادته يعمل قاضيا في ودمدني وكنا نلتف حولــه لنستمع اليــه وكلنا آذان مرهفة مأخوذيــن بلسانه البليغ وقلبه الطيب وسمته الرشيقه وكنت مــن قبل استمعت اليه لاول مرة في المهــرجان الادبي في ام درمان عام ١٩٤٣ ــ وعندما يمسك المؤرخ الامين قلمــه ليكتب عــن الحركة الادبية في السودان فانه لا شك سيفرد صفحــة خاصة في كتاب الادب للمحجوب فقد اتسمت كتاباته في كثير من الاحيان ببعد الرؤيا وبالنظرة العلميــة في المجالين الادبي والاجتمــاعي فهــو الشاعر المطبوع المرهف الحس المنفعل القلب والكاتب القدير المبدع ولن انسى ليلته تلك ونحن في واد مــدني تنطلق حناجرنا بالهتاف ضــد الاستعمــار وقفز الى المنصة السيــد محجوب وكان قاضيا والحديث في السيــاسة محظور على القضاة انذاك واخذ يتكلم وسمعنا عجبا من بلاغة اللسان وجرأة القلب وقوة المنطق .

ولكــن اشهد بانني لم ار المحجوب في قوة خطابه وانفعاله مثــل ما رأيتــه وهو يرد على صوت الثقة ذلك فقد «هبشوه في اللحم الحي» كمــا يقولون .

وقال سيــادته بعد البسملة .

« ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بــين الناس ان تحكموا بالعدل » .

سيـــدي ،

ليس هذا الذي قدم صوت ثقة ولا هو اقتراح لسحـــب الثقـــة انما هو بدعة في عالم الديمقراطية والحكم لم يسمع بها احد وهـــو تفويض للديمقراطية لأن الـــذي يتقدم بصوت سحب ثقة ينبغـــي ان يقـــدم الاسباب كاملة ويراجع اعمـــال الحكومة ويقول اين أخطأت ؟ والمسألة ليست كذلك والذي قدم ليس بصوت ثقـــة لكنها محنـــة في الديمقراطية ومحنه في الاخلاق انه محنة في الديمقراطية من داخـــــل الحكومة لان بعض وزرائها ظلوا يعملون فيها وهم في الواقع ضدهاحتى هذه اللحظة التي اقف فيها امامـــك يا سيـــدي الرئيس فاذا كـــانت المسئولية الوزاريـــة مسئولية تضامنية ينبغي ان يعلم الوزراء الذيـــن ابوا الا ان يكونوا كذلك ان مـــن واجبهم ان يتحملوها مع رئيـــس الوزراء سواء بسواء ولكنها محنة في الديمقراطية ومحنة في الاخـــلاق وهذه المحنة ايضا في داخل الاحزاب لان الاحزاب عادة تعمل يدا واحدة وتتفاهم وتناقش كل شيء ولكنها لا تجتمع سرا ولا تتخذ قرارات من وراء ستار وتمليها على الناس وهذا هو محنة الديمقراطية ومحنـــــة الاخـــلاق ...

الذيـــن يتحدثون عن الديمقراطية لا يدركون معناها وهي ليست تحاك مـــن وراء ستار بالسر والغدر وعدم الوفاء فهي تحتـــاج الـــى الخلق الرصيـــن والوفاء والعلنيـــة ولا تتوارى وراء الحجـــرات ان الذيـــن يناوئونك مـــن وراء الحجرات اكثرهم لا يفعلون ...

اني اختتم حديثي فاقول ان هذا الاقتراح يدل على محنة فـــي الاخلاق وفي الديمقراطية ويدل على عدم الوفاء وعلى الجحود وكان في وسعي ان اقدم استقالتي قبل شهر ولكن الجمعية كانتقد حملتني امانة كبيرة اعتز بها ومـــن واجبي الا اضع هذه الامانة الا في يد من تختاره

بعد ان تسحب ثقتها مني لان في هذا مسئولية ولا اريد ان اكون مسئولا عما يحدث .

اما من يتحدثون عن الديمقراطية انما هم في الواقع الذين يسعون الى الفاشية والديكتاتورية فيحلمون بحل الجمعية ليحكموا بما لا يتفق والديمقراطية والحرية .

بهذا يا سيدي الرئيس اردت ان يكون هذا الامر من داخل الجمعية وتكون هي صاحبة الكلمة وسواء اكنت داخل الحكم او خارجه سأستمر في اداء رسالتي وسأقوم بكل ما يمكن من اجل رفعة وطني اما اولئك الذين خانوا العهد وارتضوه بالجحود وعدم الوفاء فاسمح لي يا سيدي الرئيس ان اقول فيهم :

ان الالى قد كنت ارمي دونهم
غلوا يدي وحطموا اقواسي
واستبدلوا سيفي الجزاز بأسيف
خشب وباعوا عسجدي بنحاس »

حقا لكانت هناك محنة في الديمقراطية ومحنة في الاخلاق فقد وقف وزراء الحزب الوطني الاتحاد يمتنعون عن التصويت ووزراء الامة (جناح الصادق) يصوتون ضد رئيسهم وحكومتهم وسحبت الجمعية الثقة من السيد محمد احمد محجوب فقد صوت ضده ١٢٦ نائبا ومعه ٣٠ نائبا و ١٥ امتنعوا عن التصويت .

ولكن كان حريا بالسيد محجوب وقد كان زعيما للجمعية ان يسأل نفسه هل هذه اول محنة في الديمقراطية ومحنة في الاخلاق تمارسها الجمعية التأسيسية ؟

لم يكن السيد محمد احمد محجوب يعرف سلفا موقف

الوطني الاتحادي منه فقد ظل ذلك الموقف سرا مغلقا وحقا ان اكبر الاعداء اخفاهم مكيدة وظل الوطني الاتحادي يعطي هذا وجها وذاك وجها اخرا بل لم يكن سيادته يدرك ان اغلبية نواب الامة ستقف ضده .

وقد شهد الامام الهادي المهدي تلك الجلسة واخذت جموع الانصار التي استجلبت وكثيرا ما تستجلب لمثل هذه المواقف تعود الى الاقاليم بعد ان وضع كل شيء .

وازاء ذلك الموقف اصدرت والسيدة فاطمة احمد ابراهيم البيان التالي توضيحا لموقفنا في امتناعنا عن التصويت عند سحب الثقة من السيد محمد احمد محجوب . ـ

« الى جماهير الشعب السوداني :

لماذا امتنعنا عن التصويت ؟

ظل المواطنون في كل ارجاء البلاد يتتبعون طوال الاسابيع الماضية الصراع الدائر داخل حزب الامة والذي انتهى باسقاط حكومة السيد محمد احمد محجوب في الجمعية التأسيسية يوم الاثنين الماضي.

وقد ظلت طوائف الشعب تبحث عن الاهداف والمبادىء من وراء ذلك الصراع ولكنها لم تجد سوى حديث مبهم لا يقدم ولا يؤخر عما يسمى بازالة الثنائية في حزب الامة وكأن ازالة الثنائية في حزب الامة قد اصبحت اليوم المنقذ لبلادنا من حالة التخلف او امل جماهير الشعب في تجديد حياتها .

لقد كان رأينا ولا يزال في هذا الصراع انه صراع يدور بعيدا عن المبادىء والاهداف التي اختطها لنفسه بعد ثورته الظافرة بوصف تحقيقها هو الطريق الوحيد الذي ما من طريق سواه للسير ببلادنا

نحـو افاق الديمقراطيـة والاشتراكيـة .

والذيـن ينادون بازالة الثنائيـة لم يقدموا لنا برنامجا محـدد الاهداف ليحكم الشعب لهم او عليـهم مما جعل الصراع في جوهـره وتفصيلاته صراعا غيـر مبدئي ونحـن لا يمكـن ان نقحم انفسنـا في مثل هذا الصراع الا اذا رأينا ان في هذا مصلحة لشعبنا وحتى الان فاننا لم نجد اي منفعة تعود على شعبنا مـن الصراع الدائر في حـزب الامـة .

ان الاهداف التي اختطها شعبنا بعد ثورة اكتوبر واضحة لا لبس فيها ولا غمـوض فقد نادى شعبنا بتأمـين الديمقراطيـة وتحريـر حيـاة البلاد الاقتصادية مـن التبعيـة والتخلف وتأميم المصالـح الاقتصادية الاجنبيـة وتطهيـر جهاز الدولة وتصفية الادارات الاهلية وتأميم المشاريع الزراعيـة وسلوك سياسة خارجيـة معادية للاستعمار ومؤازرة لحركات التحرر الخ فهل يدور الصراع في حزب الامة حول هـذه الاهداف ؟.

كلا . انه مع الأسف لم يزد عـن كونه نزاعا داخليا حول رئاسة الحكومة في ظل الاوضاع القائمة اليوم . وطالما ظلت المسألة في هـذه الصورة فنحـن نرى ان مشاكل البلاد لا يمكـن ان يحلها بتغيير وجه بوجـه في رئاسة الحكومة وان الحل الوحيد هو تغيير هذه الاوضاع باكمـلها بعد ان اثبتت عجزها التام عـن مسايرة امال واماني شعبنا في الديمقراطيـة والاشتراكيـة والتقدم .

لكل هذه الاسباب فقد امتنعنـا عـن التصويت عن طـرح الثقـة بحكومة السيـد محمـد احمد محجوب ايمانا منا بان بقاء المحجوب او ذهابه في الظروف التي شرحناها لا يقدم ولا يؤخر مـن الامـر شيـئا .

حفيد المهدي في كرسي الحكم

في صبيحة الاربعاء وفي الجلسة رقم ١٠٣ رشح السيد احمد دهب (وطني اتحادي)السيد الصادق المهدي رئيسا للوزراء وثناه السيد عبد الرحمن صالح (امه) كما رشح السيدان محمد احمد محجوب والدكتور حسن الترابي وقد نال السيد الصادق المهدي ١٣٨ صوتا والسيد محمد احمد محجوب ٢٩ صوتا والدكتور حسن الترابي ٧ اصوات .

ولم يصوّت مع السيد محمد احمد محجوب الا وزيران فقط هما السيدان احمد المهدي والدكتور عبد الحميد صالح وامتنع ثلاثتنا .

وتحدث السيد الصادق المهدي عن الاطارات العامة لسياسته لخصها في الاطار الاسلامي واقامة مجتمع الكفاية والعدل والعلم والديمقراطية ورفع راية المصالحة الوطنية وتدعيم وتقوية شعبية الحكم وسيادة الاقتصاد السوداني وذاتية السودان الخارجية .

وخرجنا من القاعة .

والتقيت باحد اصدقائي من اقطاب الوطني الاتحادي وكان وزيرا ذات مرة وتحدثنا عن الموقف السياسي ثم جرت بيني وبينه المناقشة الاتية :ــ

قلت :

ان الناس ما زالوا محتارين لتعاونكم مع حزب الامة وانتم الذين كنتم تؤكدون على لسان رئيسكم الا تنسيق او تعاون مع حزب

الامة فما بالكم اليوم تنتخبون فردا من بيت المهدي رئيسا للوزراء ؟.

قال: اسألني بعد اربعة شهـور .

قلت : ولماذا لا يكون سؤالي وردك عليه الان ؟

قال : قلت لك اسألني بعد اربعة شهور .

وعندما لاحظ اصراري وتجهمي قال :

« نحـن فكرنا طويلا في موضوع الولد ده ورأينا انه سيكـون مصدر ازعاج لنا وهو خارج الحكم وقلنا نجيبه ونحمله مسئولية الحكم ويشيـل شيلته ونخلص منه » .

لم يكن كلام قطب الاتحادي غريبا على مسمعي فهكذا كانت وما زالت عقلية الكثير من اقطاب ذلك الحزب تتسم بالدهاء والمكر والخديعة والنظرة الميكافيلية ففي سبيل الوصول الى كراسي الحكم والقضاء على الخصوم السياسيين طوع الوطني الاتحادي كل طاقاته وامكانياته وكل منهم كان يمثل دور كاسيوس مدبر مقتل قيصر ذلك النموذج للسياسي المراوغ الماكر في رواية شكسبير يوليوس قيصر .

لم اكن اكتفي بما قاله القطب الاتحادي الكبير وصادف ان التقيت بنائب من نواب الوطني الاتحادي ظل نائبا عدة مرات عرف بالرزانـة واعتماده على الواقع اكثر من الخيال كما عرف بانه اثير لدى السيـد رئيس الوطني الاتحادي. وبعد الحديث والحديث ذو الشجون تطرقنا الى السياسة فسألته نفس السؤال عن موقف الوطني الاتحادي مـن تأييده وانتخابه للسيد الصادق المهدي فقال لي « طيب .. وصلني الى القصر » .

وركبنا في سيارتي وفي الطريق ألححت عليه في الاجابة فقال :

ــ انتم الحاجات دي ما بتعرفوها خليكم في غباكم .

ـ بالله فهمني كيف تواجهون الناس وقد انتخبتم حفيد المهدي رئيسا للوزراء .

ـ فكرنا طويلا في موضوع حزب الامة وقلنا طالما السيد الصادق بعيد من الحكم فلا راحة لنا معه خصوصا بعد ثورة اكتوبر فقد كسا حزب الامة رداء جديدا واكسبه مكانة وقلنا احسن يأتي رئيسا للوزراء ويسهل علينا الخلاص منه اولا ونكون ضربنا مسمارا في بيت المهدي ثانيا » .

ونزل الرجل في القصر الجمهوري وذهبت في شأني ورأسي يدور ويلف وذهبت توا لبعض من اصدقائي ونقلت لهم ما دار بيني وبين قطبي الوطني الاتحادي ليكونوا شاهدين على ذلك .

ثم قابلت السيد يوسف العجب وقلت له « الاتحاديون عملوها والسيد الصادق في نشوة من الانتصار لم يكن يعرف ما يبيته له الاتحاديون » .

فقال لي انني تحدثت مع السيد الصادق من قبل وقلت له ارجو ان تبتعد من الحكم في هذه الفترة فالعبء ثقيل والمسئولية لا يقوى امرؤ على حملها والمستقبل لك دون سواك فما زلت شابا .

قد رشحوك لامر ان فطنت له
فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

واصبح السيد الصادق المهدي رئيسا للوزراء وتمثلته وليم بيت الذي اصبح رئيسا لوزراء بريطانيا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو دون الخامسة والعشرين والذي كان يسعى للقيام باصلاحات برلمانية واقتصادية استمدها من نظريات آدم سميث للقضاء على الفساد ولكنه في الواقع كان محافظا شديدا فاضحى حربا على الحريات العامة

التي حققها الشعب البريطاني خوفا من نشاط ثوري كـان ينتظم البلاد تأثرا بالثورة الفرنسية .

كان السيد الصادق المهدي رئيس حزب الامة مسئولا مسئوليـة كبرى عن كل اعمال حكومة محجوب فلم يكن محجـوب ووزراؤه ينفردون بالعمل وحدهم دون الاتفاق مع هيئتهم البرلمانيـة وبالرغم من الاغلبية الضخمة التي تكاد تكون اغلبية مطلقة لم تكن حكومة حزبي الائتلاف لتحقق الاستقرار المنشود فلم تكن بطبيعة الحال قادرة على ان تلبي مطالب الشعب وثوار اكتوبر فهرعت الى ما هرعت اليه مـن حرب على الحريات وتعطيل للصحف بل وقف وزير داخليتها وعلى مسمع من رئيس الوزراء يعلن سياسة جز الرؤوس وحينما بلغت تلك الحكومة ذلك الدرك ظهر السيد الصادق المهدي كالمسيح اتى ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا وبعد ان حمل السيد محمد احمد محجوب اوزار تلك الحكومة .

والسيد الصادق المهدي كغيره من ابناء المهدي ربوا مع ابنـاء الشعب وفي ود نوباوي ودخلوا مدارس السودان كغيرهـم مع الاسر الفقيرة لا يميزهم شيء عن هؤلاء ولكنهم تدرجوا الى التعليم الجامعي في الخارج وقد ظهر سيادته على مسرح السياسة عقب ثورة اكتوبر حيث كان عزوف الجماهير من الوجوه القديمة عزوفا ظاهرا ولكنها وجدت في السيد الصادق وجها جديدا شابا والشبـاب يستجيب لكل ما هـو جديـد .

لقد شاخ حزب الامة وتصلبت شرايينه وقد مات السيدان الامامان عبد الرحمن المهدي والصديق واخذ بعض الناس من اصحاب المصالح الدنيوية ينفضون من حول البيت الكبير وكان الحكم العسكري التي اتوا به ليحقق لهم مآربهم السياسية قد قلب لهم ظهر المجن وكما قـال ابو الطيب :

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده

تصيده الضرغام فيما تصيدا

فضيق عليهم الخناق بعد ان مكنوه بالتأييد والتعضيد في بادىء الامـــر .

ولد حزب الامة في مستهل عام ١٩٤٥ وقد لقي ذلك الحـــزب هجوما من خصومه السياسيين بل وصفوه بانه كون في مكتب السكرتير الاداري البريطاني ترياقا للحركة الوطنية وانه جثة بدون رأس اذ لم يعين له رئيس بل سكرتير عام هو السيد عبد الله خليل .

تعاون حزب الامة مع الادارة الاستعمارية وقد اثبت ذلك السيد عبد الرحمن المهدي امام طائفة الانصار وراعي حزب الامة في كثير من شجاعة الرأي في مذكراته التي اشرف على اعدادها السيـــد الصادق المهدي فقد قال : ـــ

« ... تعاونت مع الانجليز [١] على اساس واضح ارتضيته سياسة لي منذ البداية وهو استخلاص حقوق الشعب السوداني عن طريق السياسة لا الثورة ولم يتزعزع ايماني قط بصواب هذه السياسة رغم العواصف التي ثارت حولها .. »

وحزب الامة يضم تحت لوائه كبار الاقطاعيين من اسرة المهـــدي وموظفي الحكومة الكبار المتقاعدين والذين كان لهم تاريخ في الحركة الوطنية ومعاداة الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى ولكن اصابهم اليأس بعد ان خاب ظنهم في الساسة المصريين الذين كانـــوا يساومون بالسودان مع البريطانيين ووجـــدوا كل اغراء من الادارة

---

١ ـ جهاد في سبيل الاستقلال صفحة ٢٥ ـ اشرف على اعداده السيد الصادق المهدي .

البريطانية فهيئوا لهم الوظائف والدرجـــات الكبرى في دواويـــن الحكومـــة .

اتبع البريطانيون في السودان نفس الاسلوب الذي وجهوا بـه دفة الحكم في مصر وقد كان اللورد كرومر يحكم قبضته عليها منذ اخر القرن التاسع عشر وهو ينحدر من عائلة بيرنج ذات الثـــراء العريض واصحاب البنوك وقد بلغت من القوة والنفوذ ان لقبت بالسلطة الرابعة في اوروبا . وزع كرومر الاراضي والاقطاعيات على المصريين بدلا من الاتراك وغيرهم من الجاليات الاخرى ليخلق منهم طبقة تأتمر بامـــره وتكون طوع بنانه يحركها عند اللزوم وفعـــلا عندمـــا ظهرت في مصر بوادر حركة وطنية مناوئة للانجليز تحرك كرومر فتحركت الدمى التـــي صنعها وكون منهم حزبا سياسيا سمي حزب الامة ، ينادي بشعار مصر للمصريين وانشأوا صحيفة سموها الجريدة وكان كما قال رئيسه لطفي السيد يتكون من سراة البلاد واعيانها ويقول الحزب في جريدته « لسنا نطلب [٢] الاعتراف باستقلال حكومتنا المصرية لان استقلالهـــا ثابت ومعترف به في المعاهدات الدولية ولكن الذي نطالب به هو استرداد حقوق الامة الطبيعية بان تكون لها في مصر كل السلطة التشريعيـــة تدريجيـــا اما الاحتلال الانجليزي فانه قوة اتت بها ظروف سياسيـــة مرتبة وتذهب في ظروف سياسية مرتبة كذلك ...»

« ... ان الامة لا تتكون من الافراد بل تتكون من العائـــلات والاعيان هم رؤساء الامة الطبيعيون لانهم رؤساء العائلات .... »

وكان اللورد كرومر يشبه قادة حزب الامة المصري بالجير ونـــد الحزب اليميني في الثورة الفرنسية .

---

٢ ـ تطور الحركة الوطنية المصرية . صفحة ١٧ ـ شهدي عطية .

وفي السودان وعندما اتجهت الحركة الوطنية نحو نوع من الاتحاد مع مصر طبق البريطانيون في السودان سياسة كرومر بالحرف وبنفس الاسلوب فمنحوهم اقطاعيات كبرى وكونوا حزبا سياسيا سموه حزب الامة وشعاره السودان للسودانيين وانشأوا صحيفة سميت بالامة ولقبوهم بالمعقولين Reasonable وهكذا اثمرت سياسة كرومر فتعاون حزب الامة السوداني تعاونا مطلقا مع الادارة البريطانية وكما قال المصريون اعضاء حزب الامة المصري في الجريدة عام ١٩٠٨ : —

« اما التطرف من جانب الجماهير فالحزب لا يوافق عليه لانه يؤدي الى العناد والقسوة من جانب الاحتلال القوي ولاننا نظلم الانجليز اذا لم نعترف بالتحسين المادي والاداري الذي وصل الى مصر في عهد الاحتلال » .

فقد ردد سادة حزب الامة وبعد اربعين عاما نفس النعوت وكالوا الثناء للادارة البريطانية وقالوا ان الانجليز عاشرونا فاحسنوا العشرة وحكمونا فاجادوا الحكم واننا لا ولم ولن نتخلى عنهم لانهم افادوا البلد .... »

نفس الاسم والاسلوب والعقلية والطبقة مع اختلاف الظروف وكما لفي حزب الامة المصري مثقفين نابهين امثال لطفي السيد وطه حسين وآخرين وجد حزب الامة ايضا مثقفين ومواطنين نابهين ايضا مثل عبد الرحمن علي طه وعبد الله عبد الرحمن نقد الله ويوسف التني وعبد الرحيم الامين ومحمد احمد محجوب مؤخرا وغيرهم .

وظل حزب الامة يتعاون مع الادارة الاستعمارية ودخل مؤسساتها حتى عام ١٩٥٣ ثم امضيت اتفاقية القاهرة والتي جرت وفقا لها انتخابات عامة اتت بالوطني الاتحادي الى الحكم الذاتي ثم اعلان الاستقلال ثم كان ما كان من شقاق بين الوطني الاتحادي وطائفة الختمية ذلك الشقاق

الذي املته دوافع صبيانية شخصية ونزوة رعناء مما دفع بالبلاد الى اتون من الخصومات والقذع والسباب ووجد حزب الامة الفرصة سانحة فاشترك في الوزارة الائتلافية الاولى برئاسة السيد اسماعيل الازهري ثم اسقطت تلك الوزارة وقامت محلها وزارة ائتلافية اخرى بين حزب الشعب الديمقراطي والامة تولى رئاستها السيد عبد الله خليل سكرتير عام حزب الامة واجرت تلك الحكومة انتخابات عامة بعد ان اتت بقانون انتخابات وتوزيع للدوائر كفل لها العودة الى الحكم مرة اخرى وظهر انعطاف تلك الحكومة واضحا نحو الغرب وقبلت المعونة الامريكية التي عارضها الشعب ولما تكاتفت قوى الشعب لاسقاط الحكومة الطائفية الضالعة مع الغرب دبر حزب الامة مؤامرته وتسليمه الحكم لقادة الجيش السوداني مبررا ذلك بان التيارات الفكرية التي تجنح نحو الاتحاد مع مصر والتي تتطرف [٣] نحو اليسار اثارت دويا زعزع اركان المسرح السياسي في السودان .

وفي ١٧ نوفمبر اعلن قيام الحكم العسكري في البلاد واعلن السيدان مباركتهما له . نسوق تأييد [٤] السيد عبد الرحمن المهدي والذي اذاعه نيابة عنه السيد عبد الرحمن علي طه وزير الحكومة المحلية قبل الانقلاب .

« ابنائي السودانيين

لقد عملنا كلنا بجهد وجد لنحصل على استقلال بلادنا فانعم الله علينا بفضله وايمان شعبنا واصرار القادة المخلصين من ابنائه باستقلال السودان الذي كنا ننشده صادقين ونعمل من اجله صابرين وكلكم

---

٣ ــ مقدمة جهاد في سبيل الديمقراطية . اشرف على اعداده السيد الصادق المهدي .

٤ ــ النيل ــ بتاريخ ١٩٥٨/١١/٢١ .

تعلمون ان الاستقلال في ذاته ليس غاية ولكنه وسيلة فعالة لاسعاد الشعب والعمل المخلص لرفع مستواه والاستقلال اداة فعالة وضعت في ايدي بعض الاحزاب السودانية التي تعاقبت واشتركت في حكم السودان منذ ان استقل حتى اليوم ويؤسفني جدا ان اقول ان الساسة من قادة تلك الاحزاب جميعا قد فشلوا حكومة تلو الاخرى ولم تنجح واحدة من تلك الحكومات الاربع التي تعاقبت على كراسي الحكم منذ الاستقلال حتى الان والشعب الذي جاهد وصبر في عهد الاستعمار وتطلع طويلا ليظفر بتحقيق ما جاهد وصبر من اجله ولكن مع الاسف لم يظفر بشيء حتى خشي المخلصون للسودان والحادبون على استقلاله خشوا ان يكفر الشعب بمعاني الاستقلال فيتهاون في الدفاع عنه والذود عن حياض الوطن بنفس العزيمة والصرامة التي دافع بها اباؤنا من قبل وخشوا ان يفلت الاستقلال من ايدي هذه الامة المخلصة بسبب فشل القادة السياسيين المتعاقبين على كراسي الحكم ـ ولذلك كلكم تطلعتم جميعا في الاشهر الاخيرة الى المنقذ الذي يحمي الاستقلال ويحقق للمواطنين المكاسب المرجوة وها هو اليوم قد اتى الفرج اذ تقدم رجال الجيش السوداني وقبضوا على زمام الامور بيد الشعب القوية العاتية التي لن تسمح للتردد ولا الفساد والفوضى بان تعبث على ارض الوطن بعد اليوم . اليوم قد آن لي ولكم ايها السودانيون جميعا ان نفرح ونسعد اذ هيأ الله لنا من ابنائنا البررة قادة الجيش وجنوده من يتولى زمام الحكم بحق وحزم ليحقق لهذا الشعب ما كان يصبو اليه وما عجز عنه القادة من السياسيين .

فلتطمئنوا جميعا ولتغتبط نفوسكم بهذه الثورة المباركة التي قام بها جيشكم المظفر وليذهب كل منكم الى عمله هادىء البال قرير العين ليعين رجال الثورة السودانية بولائه وباتناجه وباستعداده التام لحماية الوطن واستقلاله . ايدوا يا ابنائي هذه الثورة وادعوا لها بالتوفيق

والسداد واعينوها بان يكون كل منكم عينا ساهرة وعزما قويا لتحقيق ما قامت من اجله ثورتكم وما تقدم اليه جيشكم المظفر من حمل امانة الاستقلال والعمل الجاد المثمر من اجل الشعب وبالشعب مخلصين لله وللوطن ولينصرن الله من ينصره ان الله القوي العزيز ».

كان ذلك هو موقف الساسة الذين افسدوا الحياة السياسية ولكن الشعب وضباطه وجنوده الاحرار لم يستكينوا لحكم اللواءات فتمردوا على الضيم وجابهوا الحكم الغشوم وبدأت المعركة منذ اليوم الاول للانقلاب العسكري فسيق ابناء بررة من صلب الشعب الى المعتقلات والسجون والمشانق ممهدين لثورة فريدة في التاريخ هي ثورة اكتوبر ولكن هب الذين سلموا روما لتحترق هبوا ليقتسموا الغنائم والاسلاب فهتف الثوار في وجوههم لا زعامة للقدامى .

ظهر السيد الصادق المهدي شابا نضرا ووجها جديدا وتولى مقود حزب الامة يسنده حسبه ونسبه وعادت الاعناق تشرئب لرؤيته واخذ يجمع حوله نفر من الشباب منهم المخلص الصادق ومنهم من يصدق عليه قوله تعالى : —

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » .

وانبرى السيد الصادق المهدي منذ اول يوم نجحت فيه الثورة يؤدي دوره في اجهاضها ساعده على ذلك في بدايتها ان قيادة الجيش كانت عند بعض الضباط الموالين لطائفته .

واعاد الروح الى هيكل حزب الامة وبعثها من مرقدها فاسلموه القيادة وكان سيادته يوما ما ناطقا باسم حزبي الامة والوطني الاتحادي عندما ذهب وفد من جبهة الهيئات يعرض عليه نقاط الاتفاق .

وعكف سيادته يخط ولأول مرة برنامجا سياسيا ويؤلف الكتيبات ويدبج المقالات ويردد شعارات يسارية وينادي بالاشتراكية وتصفية الادارة الاهلية واقام الندوات مشيدا بالديمقراطية ومؤيدا لثوار ارتريا ومساندا قضية الصومال وطاف كثيرا من البلدان خاصة العربية يعرفها بحزبه ويتعرف لاحزابها وتنظيماتها ثم اخذ يصوغ ميثاقا للائتلاف مع الحزب الوطني الاتحادي .

وكان السيد الصادق ينادي في برنامجه بما اسماه بالمصالحة الوطنية وهو بذلك كان يهدف الى جمع القوى التقليدية في وجه القوى الحديثة التي فجرت ثورة اكتوبر والتي ابتدعت جبهة الهيئات .

وفي خطابه الذي القاه امام الجمعية عن سياسة حكومته لم يخرج سيادته في الشئون المالية مما كنا نسمعه من قبل من رؤساء الحكومات ولم يأت بجديد عن مفهوم الاحزاب الديمقراطية وكفالتها بل كان سيادته حربا عليها وكرس جل وقته لمطاردة الشيوعيين والهجوم عليهم ووصفهم باقذع السباب ثم اتى بالسيد احمد المهدي وزيرا لوزارتي الدفاع والاعلام وهو الوزير الذي اعلن سياسة جز الرؤوس ثم تطرق الى الحركة النقابية حيث قال بالحرف الواحد : ـ

« سنسعى لاقناعها بمبادىء المصالحة بعد ان نوحدها لتعمل وفق القانون وتتعاون معنا في نوع من المصالحة الفئوية بعد ان نبعد عنها عوامل التخريب ... » وعوامل التخريب هذه هي الماركة الجاهزة التي تصبغ على كل نقابي نشط .

قضى السيد الصادق المهدي اسبوعا كاملا رئيسا للوزراء دون ان يفلح في تشكيل وزارته حيث اخذوا يفرشون له الشوك ويضعون له المعوقات وفرض عليه بعض الوزراء فرضا وكان الناس يتوقعون من السيد الصادق المهدي ان يأتي الى الجمعية التأسيسية التي انتخبته رئيسا

للوزراء ويعلن كل ما اعترض سبيله في تشكيل الوزارة ويلقي التبعة على حلفائه الالداء ووقع سيادته في الفخ وشغل بالهيل والهيلمان وأبهة السلطة وتبخر شعار محاربة الثنائية وغيرها وتأكد للمواطنين صدق ما ذهبنا اليه في البيان الذي اصدرته والسيدة فاطمة احمد ابراهيم تشرح امتناعنا عن التصويت في اقتراح سحب الثقة من السيد محمد احمد محجوب بان الاختلاف في شقي حزب الامة لم يزد عن كونه نزاعا داخليا حول رئاسة الحكومة في ظل الاوضاع القائمة .

كان السيد الصادق المهدي يعمل في همة ونشاط وكان يخطط بنفسه السياسة التي يجب ان يتبعها حزبه وعلاقته مع المنظمات الاخرى وقد وقعت في يدي النسخة الاصلية من المذكرة السرية وعليها توقيع السيد الصادق المهدي كان قد ارسلها لعشرة فقط من كبار رجال حزبه وقد شاء خصومه السياسيون ان يوزعوا اعدادا كبيرة منها وقعت في يدي تلك المذكرة وقرأتها كغيري من الناس الا ان سيادته فاجأنا في مؤتمر (٥) صحفي عقده مساء الاثنين ١٥ اغسطس ١٩٦٦ ووزع فيه صورا من المذكرة ونفى نفيا قاطعا انه كاتبها وانها دست عليه دسا وان البوليس سيتخذ الاجراءات اللازمة بل واعلن ان سلطات البوليس امسكت بخيوط اولية عن مصدر المذكرة .

نشرت الايام جزءا من المذكرة .

---

٥ ــ الايام ــ بتاريخ ١٩٦٦/٨/١٧ .

مؤامرة انقلاب عسكري

ديسمبر ١٩٦٦

بعد ان كان السيد احمد المهدي يقف مع السيد الامام في بداية الصدع الذي اصاب بيت المهدي اتى به السيد الصادق المهدي وزيرا لوزارتي الدفاع والاعلام ربما بهدف اضعاف جناح الامام وهكـــذا يتصرفون في شئون الحكم وشئون البلاد .

والسيد احمد المهدي كان اول حفيد للامام المهدي يصبح وزيرا وكان ذلك في عهد الحكومة الانتقالية الثانية حيث عين وزيرا للري ثم وزيرا للداخلية في حكومة الائتلاف بين الامة والوطني الاتحادي .

انكم تذكرونه جيدا الوزير الذي طبق سياسة العصا لمن عصا في هيئة الحزب البرلمانية .

والوزير الذي اعلن على الملأ في اجتماع سياسي كبير جز الرؤوس وهو وزير داخلية البلاد وبعد ثورة اكتوبر وباسم الديمقراطية وفي القرن العشرين .

اليس هو اذا الحجاج بن يوسف بنفسه وهو يخاطب اهل الكوفه « اني لأرى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها واني والله لاحزمنكم حزم السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل .

واني اقسم بالله لاخذن الوالي بالمولي والمقيم بالظاعن والمطيـع بالعاصي حتى يلقى الرجل اخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد » .

ارأيتم الشبه بين الاثنين .

ولكن الحجاج كان يعيش في العصور الوسطى ابان حكم الفرد .

والحجاج كان آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة وشجاعا وداهية عنيفا .

نعـــم

عاد السيد احمد المهدي وزيرا لوزارتين في مجلس وزراء رئيسه ابن اخيه السيد الصادق المهدي واقسم اليمين الدستورية صباح .

وفي حوالي الساعة الثانية والنصف صباح ١٩٦٦/١٢/٢٩ حضر الى منزلي السادة عمر مصطفى المكي وفاروق ابو عيسى المحامي وحسن قسم السيد وصحوت مذعورا وقلت :

ــ ان شاء الله خير .

ــ ما سمعت الحاصل في البلد .

ــ لا ايه يا جماعة فهمونا .

ــ انقلاب عسكري عملوه الجماعة .

ــ ناس الصادق المهدي .

واطرقت على الارض وقبل ان اواصل اسئلتي سألني عمر مصطفى:

ــ اين ستكون هذا الصباح ؟

ــ سأكون في منزلي حتى الساعة التاسعة صباحا وبعد ذلـــك سأذهب الى الجمعية اذا كانت هناك جمعية ولم تحل .

ــ حسنا .

وودعوني وانصرفت الى مخدعي واشهد بانه كان ينتابني شعور غريب هو مزيج من القلق .

ليس غريبا ان يقوم حزب الامة بمثل هذه المغامرة فبالامس عملوها ايضا وكانوا يجلسون على كرسي الحكم كما يفعلون اليوم .

ولكن هؤلاء القوم الم يعودوا لعقولهم وما كفاهم لعنة التاريخ وفعلتهم الآثمة عام ١٩٥٨ .

طيب ماذا لو قام انقلاب عسكري وهل ستخسر البلاد ؟ ان ما تفعله الاحزاب اليوم وباسم الديمقراطية هو ما فعله الحكم العسكري ألم يعطلوا الصحف، ويحلوا الحزب المعارض لهم الحزب الشيوعي ولم يحتملوا صوت نواب ثمانية في قاعتهم الوثيرة المريحة ألم يكبلوا البلاد بقروض اجنبية مثل ما فعل العساكر ويدخلوها في ازمة مالية حادة والفساد يزكم الانوف هل نسيته ؟

لا يازول

انسيت الحكم العسكري وما كانت تعانيه اسرتك من اعتقال اثنين من اخوانكم في يوم واحد وارسالهم لناقشوط فيجنوب السودان.

انسيت اعتقال شقيقك احمد سليمان ولما تمضي اربعة اشهر على عملية جراحية خطيرة اجراها في معدته ؟.

انسيت انهم منعوه رؤية طفلته سارة وقد احضر من معتقل واو في حالة خطيرة .

انسيت الشفيع ورفاقه وهو يقضي خمسة سنوات بعد محكمة عسكرية تقام لاول مرة لمواطن سوداني بعد حوادث ١٩٢٤ ؟

انسيت عبد الخالق والوسيلة عندما لم يسمح لك بالوخول عليهم وهم يحيوك من نافذة الزنزانة حيث وضعوا مع القتلة والسفاحين ؟ .

انسيت طالبيك في مدرسة مدني الوسطى عبد البديع علي كرار وعبد الحميد عبد الماجد ؟. انسيت كيف احالوا البلاد الى سجن كبير وجحيم رهيب .

لا ولكن اولئك النفر من السياسيين الذين يملأون الارض ضجيجا وتضليلا سيفعلون كما كانوا وسيعودون الى دورهم وليبدأ الشرفاء من المواطنين جولة اخرى من النضال ضد ابن [1] سفاح اخر ذلك الاسم الذي اطلقه الشاعر المناضل شاكر مرسال في قصيدته المعروفة والتي نظمها في السجن عام ١٩٥٩ .

ومن يدري فربما لا يكون انقلابا بل ثورة يقودها نفر من الشرفاء في الجيش السوداني — وكيف السبيل للخلاص من حكم الاحزاب والطائفية دون ثورة — ثورة شعبية او ثورة جيش وهل يمكن لهذا الشعب العظيم ان يستكين وتلين قناته وهل يمكن ان يغفل الجيش من الحركة السياسية في البلاد ؟

وبقيت يقظا لم يغمض لي جفن وكنت اخرج الى الشارع لعلي اسمع او ارى شيئا . واصبح الصبح ففتحت الاذاعة وكانت طبولها تدق وخذ يا مارش الحرب والنذير مستنفرة الناس وفي صمت رهيب استمعنا للسيد الصادق المهدي رئيس الوزراء يذيع البيان التالي : —

« ايها الاخوة المواطنون

لقد استطاع بعض المخربين ان يجدوا سبيلهم الى بعض القوات المسلحة فقامت مؤامرة للقضاء على النظام الديمقراطي تحرك لتنفيذها سلاح المستجدين يقودهم بعض الضباط في الساعات الاولى من صباح اليوم . لقد كانت رئاسة القوات وسلطات الامن ترقب الامر بوعي ودقة واستطاعت ان تلقي القبض على الجناة وان تجرد الجنود من السلاح وان تحيط حركة التمرد دون خسائر .

نرجو بهذا ان نطمئن مواطنينا على ان الامر قد حسم وان الحكومة

---

١ — ملحق رقم (٦)

قد سيطرت على الاحوال سيطرة تامة فلبلادنا ورجالها والعاملين في اجهزتها المختلفة التهنئة الحارة على هذا — اما المتربصون المتآمرون عليه في كل حين وساعة فسينالون جزاءهم بعد التحقيق العادل فان خطوط المؤامرة والخيانة قد تكشفت ويد العدالة ملزمة ان تصل الى كل آثم غادر فله الحمد والشكر .

وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون » .

وقلت لنفسي انقلاب اية يازول تقوم بيه فرق المستجدين ويقوده ابن خالة عبد الخالق محجوب سكرتير عام الحزب الشيوعي السوداني .

انقلاب بعد اسبوع من اعلان القاضي النابه صلاح حسن حكمه في القضية الدستورية لصالح الحزب الشيوعي .

وذهبت الى الجمعية التأسيسية ووجدتها تفور وتمور وتكتظ بانماط من البشر ودق الجرس وابتدأت الجلسة .

وكنت اتوقع ان نستمع الى بيان السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء عن محاولة الانقلاب .

ولكن وقف الدكتور حسن الترابي وقدم اقتراحا يحذر وينذر ويهيب باعضاء الجمعية بقوله « علينا ان نقضي على هذه الدمامل اليوم وليس غدا » انه بالطبع يقصد الشيوعيين .

والقضاء على الشيوعيين وقتلهم نغمة ظلت جبهة الميثاق الاسلامي التي يتزعمها الدكتور الترابي ترددها في كل مجالاتها واجهزتها ومثالا لذلك اسوق مقتطفات من صحيفة الميثاق الناطقة باسمهم :

« الشفقة على [٢] هؤلاء جريمة دينية وانسانية .. وحكم الشريعة

---

٢ ــ الميثاق في عددها بتاريخ ٤/٥/٦٦

في الشيوعيين انهم مستباحو الدم مهدور الحرمات وجزاؤهم القتل . فاندونيسيا استطاعت ان تقصم ظهر الشيوعيين بالاجراءات الرادعة .. ايها المؤمنون في كل ارض وبأي دين ان الالحاد البغيض صمم على استئصال الايمان من قلوبكم وطرده من المجتمعات فسارعوا الى المعركة واشغلوا الشيوعيين قبل ان يشغلوكم واذبحوا العجل قبل ان يملأ الدنيا خوارا وينطحكم بقرونه ... »

« اما الذين هانت عليهم [٣] نفسهم وبالتالي هان عليهم الوطن قد خرجوا على اجماع الشعب السوداني وصاروا خونة .. اجل خونة ويستحقون ضرب الغال .. لقد رشحوا انفسهم لجز الرؤوس واعرف ان اناسا طيبين سيقولون ان في هذا الاسلوب جفافا او عنفا متطرفا والرد سؤال : متى يعنف الانسان اذا لم يعنف في مثل هذه المواقف التي تهز ضمير شعب وتهدد مصير وطن ولا يهمنا ان نوصف بالعنف او التطرف بعد ان نفلح في سحق فلول العملاء ....

« .. اما ان يكون السودان هدفا للمطامع الناصرية فلا .. لا .. لا .. ولا المكتوبة اذا لم تفد فان لا بالرصاص ستفيد ... انني اكره الشيوعيين وارضي يقيني بمقدار ما احرز من نسب عالية في كراهيتهم ولكنهم مع ذلك يجدون فلسفة لباطلهم .. اما الناصريون فعجول تسمين للذبح فقط ... »

« .. سنقاتل ونمزقكم تمزيقا ونجعلكم لمن خلفكم آية ونجعلكم طعاما للغربان ... »

« والحقيقة [٤] ان الموضوع لا يتصل بالجدل السياسي فان

---

٣ ـ الميثاق في عددها بتاريخ ٦٦/٥/١١
٤ ـ الميثاق في عددها بتاريخ ٦٦/٦/١٦

الخونة والجواسيس المرتدين لا يجادلـــون سياسيا وانمـــا يجادلون بالمشانق .. اما ان الشيوعي مرتد فنعم من هنا الى يوم القيامة وهذا هو حكم الاسلام فيكم وكيفيته معروفة من الدين بالضرورة وتنفيذ ذلـــك الحكم طاعة لله سبحانه وتعالى وددت ان يكـــون قانون الجمعيـــة التأسيسية بحل الحزب الشيوعي اكثر جدية وقربا من الاسلام حتـــى يعلم الكفار حقيقة العقاب ... »

« وبعد لقد تحركت [٥] الافعى من جديد كما قلنـــا ولا بد من تجديد الحملة عليهم على المستـــوى الشعبي والحكومـــي حملة تمضي بالخصام الى نهايته .... »

« وكان عبدة [٦] الطواغيث كلما حلتهم حكومة قالوا لقد حلتنا الحكومة ولكن الشعب يريدنا .. اما اليوم فقد طاردهم الشعب فايـــن يذهبـــون ؟

الشعب هو الذي تعقبهم وتحمس للانتقام منهم ولولا اندساسهم في الاحجار ومسكنتهم الذليلة وهروبهم من وجه الشعب لفعل بهم كما فعل بزملائهم في اندونيسيا . الشعب لا الحكومة هو الذي هتف عبد الخالق عدو الخالق الشعب لا الحكومة هو الذي هتف عز الدين عدو الدين وايا كان الامر فقد بدأ الخصـــــام بين الشيوعيين والمسلمين في اندونيسيا متحفظا نسبيا فلما فجر الشيوعيون تفجر الايمان الشعبـــي واقتص منهم ولذلك تقول للتائهين الحمر مصير أيدت يا رفاق » .

هذا ما كان الدكتور الترابي وجبهته يقولون وما يسعون لتنفيذه.

ان من سماهم الدكتور الترابي بالدمامل اسهموا مساهمة فعالة في

---

٥ ــ الميثاق في عددها بتاريخ ٦٦/٨/١
٦ ــ الميثاق في عددها بتاريخ ٦٦/٨/٥

تاريخ السودان المعاصر سواء اكانوا في جبهة الكفاح او الجبهة المتحدة لتحرير السودان وفي استقلال البلاد وتنظيماتها النقابية وامتلأت بهم معتقلات الحكم العسكري طيلة الست سنوات حيث كان الدكتور الهمام في اوروبا يتلقى العلم وينعم بحياة زوجية هانئة .

ان الدكتور الترابي ظل سلبيا طيلة حياته وفي فترة من اعظم وادق فترات تاريخ البلاد بل وحتى في الجامعة حينما كانت اصوات من اسماهم بالدمامل تنادي بالاصلاحات في الجامعة وسودنتها الخ كان الدكتور الترابي اخرس اللسان ولم يسمع عنه ولم يعرف له اي نشاط اجتماعي او سياسي ولكن للباطل جولة ثم يضمحل .

ثم استمعوا الى رأي الامام عبد الرحمن المهدي فيمن اسماهم الدكتور الترابي بالدمامل : —

« كان انضمام [٧] الجبهة المعادية للاستعمار الى المعارضة كسبا كبيرا ما في ذلك شك لا لكثرة اعضائها فلم تكن للجبهة عضوية ولكن لصلابة قادتها وشبابها وحسن تنظيمها وفعاليتها بين صفوف الطلبة وشباب العمال الذين تبهرهم عادة المذاهب المتطرفة والشعارات الجديدة البراقة ولقد لعبت الجبهة فيما بعد دورا كبيرا في الانتصار لفكرة الاستقلال مع احزاب الجبهة الاستقلالية» .

وشتان بين الرجلين

دار نقاش حاد في الجمعية اشترك فيه كثير من النواب حتى اتى السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء وتحرك نحو المنصة وتطلعت اليه العيون من كل جانب واخذ في بادىء الامر يتحدث ارتجالا وكال السباب للشيوعيين وردد ما قاله عدة مرات عن تأثير الشيوعية على

---

٧ ــ جهاد في سبيل الاستقلال ــ اشرف على اعداده السيد الصادق المهدي صفحة ١٤١

الشباب وافسادها لعقولهم وجرها لهم للمجون والجنون ثم ردد بيت ابي الطيب المتنبىء :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا

كان السيد الصادق المهدي يتحدث بوحي من عقله الباطني . فهو يتلهى بالحديث عن الديمقراطية وهو حقا لم يكن لينسى انه ابن الحسب والنسب حيث تهيمن على عقله نظرية حق الملوك الالهي تلك النظرية التي انتقلت الى الاسلام من النصرانية في عهد معاويه وكان اول من عبر عنها زياد بن ابيه في خطبته البتراء وهي التي قرر فيها الاحكام العرفية لاول مرة في الاسلام .

وتضافرت آنذاك كل اجهزة الحكومة الاعلامية لتقذف بالتهمة على الشيوعيين وكان الثالوث العائلي الصادق المهدي رئيس الوزراء واحمد المهدي وزير الاعلام والدفاع والدكتور الترابي صهر رئيس الوزراء كان هذا الثالوث يعمل جاهدا ليضع الحبل على عنق الشيوعيين وقبل ان ينبلج الصباح كان السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء ووزير الداخلية بالانابة قد أمر باعتقال السادة عبد الخالق محجوب امين عام الحزب الشيوعي والشفيع احمد الشيخ سكرتير العمال ووزير حكومة اكتوبر والدكتور عز الدين علي عامر وغيرهم وسيقوا الى الحبس التحفظي وشرع في التحقيق معهم تحت المادتين ٩٦ـأ لتحريض على الحرب و ١٠٨ التحريض على التمرد » .

ورفعت الجلسة .

ولقيت احد وزراء الوطني الاتحادي فبادرني قائلا والله اصبت كبد الحقيقة وكنت اتهمت رئيس الوزراء باستغلاله تلك المناسبة ليعلن الاحكام العرفية ويحكم البلاد بالسيف والنار .

ورددت على السيد وزير الوطني الاتحادي :

ـ شكرا ولكن ما هو موقفكم انتم ؟

ـ والله لاول مرة اسمع منك في الجمعية عن اعتقالات بعض الافراد .

وودعته وتركته يتحدث الى احد الصحفيين وقلت في نفسي حقا ان هناك وزراء اسما لا فعلا والقاب ملك في غير مملكه .

وتوجهت نحو سيارتي مغادرا فناء الجمعية ورأيت السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء في عربته يحف به بعض من نوابه واتباعه وسمعت احد النواب يقول له :

« يا سيد صادق ما قلنا ليك ادينا ضحوه في الشيوعيين » .

لا اريد ان اعلق على قول السيد النائب ولكني اعرفه جيدا واعرف رأيه في كثير من الحوادث والمواقف .

ان كثيرا من المقربين للسيد الصادق المهدي منذ ان تولى رئاسة الوزارة كانوا يمثلون في براعة وحذق دور الليدي ماكبث في رواية شكسبير الشهيرة حيث كانت تستنهض زوجها للقيام بخسيس الاعمال وتزيد من اطماعه اشتعالا .

واخذت السيارات وعليها مكبرات الصوت تجوب العاصمة تنادي الانصار لحماية الديمقراطية .

أرأيتم كيف تنقلب الاوضاع حيث يحكي الهر انتفاخا صد له الاسد وحيث ينادي اعداء الديمقراطية بالدفاع عنها .

ولكنها طلعت اوت ومات الدش في ايديهم وعادت بي الذاكرة الى مايو ١٩٥٩ ايام الحكم العسكري حيث تحركت فرقة من الشرقية

لاحتلال العاصمة ولكنها رجعت دون ان تعمل شيئا وقبــل القبض على الضباط وقادة المحاولة اعتقل الشيوعيون وسيقوا الى ناقشوط متهمين بالتحريض على التمرد — نفس القصة والاسلوب .

وكلهم اروغ من ثعلب

وما اشبه الليلة بالبارحة

مهاترات في قاعة الجمعية

في الجلسة السادسة من الدورة الثانية صباح الجمعة ١٩٦٦/١٢/٢٣ القى السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء بيانا عن القضية الدستورية هاجم فيها قرار المحكمة العليا بعدم دستورية حل الحزب الشيوعي وابعاد نوابه واكد ان الارادة الغالبة لشعبنا على اختلاف مشاربها قد صممت الا تسمح للنشاط الشيوعي في البلاد لان الشيوعية تنطوي على الالحاد وتسعى لبناء حكم استبدادي ولأنها تحارب القيم الانسانية والخلقية واخذ يهاجم الشيوعيين وان بعضا من الشباب انزلق في الهاوية وجردته الشيوعية من ذاتيته واخلاقه. ثم انهى بيانه بان الجمعية هي مصدر السلطات ومن حقها ان تعدل الدستور وان تبدله وان تضع دستورا اخر. واستمرت المناقشة والمجادلة الى ان تقدم السيد اسماعيل شريف نائب الدائرة ٩٠ بالاقتراح التالي : —

« انه من رأي هذه الجمعية الا يحضر اعضاء من الحزب الشيوعي المنحل جلساتها حتى يصدر قرار محكمة الاستئناف العليا » .

كانت تلك الجلسة استثنائية عقدت بعد قرار المحكمة العليا .

وثارت مناقشات حادة اشترك فيها بعض النواب بأن قرار المحكمة العليا يجب ان يحترم الى حين صدور قرار اخر من محكمة الاستئناف .

ثم اعطيت الكلمة للدكتور حسن الترابي امين عام جبهة الميثاق الاسلامي واخذ سيادته يتحدث في بادىء الامر حديثا فقهيا طويلا متناولا بعض المسائل القانونية والدستورية مستشهدا ببعض الدساتير

في البلدان الكبرى كانجلترا وفرنسا وامريكا . ثم ختم حديثه : —

« هذا من الناحية الدستورية اما من الناحية السياسية العامة فاذا اراد شخص ان يروج ويدعو للواط في بلد مسلم هل نسمح له بذلك باسم الحرية والديمقراطية ان للديمقراطية معنى يجب ان تنتهي عنده . ونحن اليوم عندما نحارب الشيوعية بقسميها الالحادي والديكتاتوري فاننا نعمل لحماية الديمقراطية .

اننا اذا لم تتيقظ فقد لا نستطيع حصر الامر في الطرق القانونية واذا لم تقدم الحكومة لقيادة الشعب فان الشعب سينطلق من نفسه واذا لم توسع الاوعية القانونية لاستيعاب آراء الامة الغالبة فستنفجر تلك الاوعية لتسود ارادة الامة » .

هل هناك اسفاف اكثر من هذا ومن يزعم انه يدعو للاسلام وتعاليمه السمحة وويل للاسلام من ادعيائه وقد تلفت الدكتور الترابي وكأنه لم يجد مثالا يضربه الا بذاك النوع من الشذوذ ممعنا في النيل من الشيوعيين وكأن سيادته وهو يتحدث الى النواب والى سامعيه لم يسمع بادب القرآن الذي يقول : وقولوا للناس حسنا .

اتخذ الدكتور الترابي من الجمعية مسرحا للكيد الاحمق وسخر لسانه للقذع والسباب وشر الناس من يهوى السبابا ورجل الجلاد والجدل لا يلجأ الى اسلوب السباب والمهاترة .

ولكن كما قال المسيح « كل انسان يعطي مما عنده » .

كان تشبيه الدكتور الترابي للحزب الشيوعي فوق ما احتمل ويحتمل اي شخص يعمل بصميره فيالعمل السياسي العام ولكن كلشيء ممكن في تلك القاعة التي خذل فيها الحق وضاعت الحقيقة .

وقد حاولت الا اترك مجالا للغضب يستبد بي ولكن اخلاق الرجال تضيق .

وبعد ان انتهى الدكتور الترابي من حديثه وقفت مع الاخرين اطلب الكلام واعترف باني كنت في سورة من الغضب مما يعجز المرء فيها من الحديث الهادىء المتزن واعطيت الفرصة مباشرة بعد الدكتور الترابي وقلت في كثير من الانفعال :

« حلق بنا السيد زعيم المعارضة لجبهة الميثاق ونقلنا من انجلترا الى امريكا وانتهى بنا عند قوم لوط والعياذ بالله ـ انني قبل ان اناقش الاقتراح الذي امامنا اريد ان اعرف من هؤلاء الذين يتحدثون عن الدين والاخلاق من هم انهم المشبوهون واشباه الرجال .. » وقاطعني السيد احمد المهدي وطلب نقطة نظام مطالبا من الرئيس حماية الاعضاء.

وكأنما ما قاله الدكتور الترابي ووصفه للحزب الشيوعي ذلك الوصف لم يكن قد طرق سمعه وقد اسفت اخيرا بانه فات علي ان اضيف الى اشباه الرجال كلمة المترفين الذين قال عنهم سبحانه وتعالى : « اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » وكان السيد احمد المهدي وزيرا لوزارتين .

واستجاب رئيس الوزراء الى نقطة السيد احمد المهدي وطلب مني ان اسحب الكلام فقلت :

« يا سيدي الرئيس

انني قلت ان هنا وهناك بعضا من الناس ولم اعين زيدا او عبيدا ..» وبعد اخذ ورد سمح لي بمواصلة الحديث ولكني لم استطع لما كنت فيه من الغضب فعثرة القدم أسلم من عثرة اللسان .

ورفعت الجلسة للاستراحة .

وحاصرني بعض الناس والنواب ومنهم من عتب علي ومنهم من فغر فاه دهشة فما كان يظن ان لساني يمكن ان ينزلق وبمثل ما فهت به

وفي الحق كنت في علاقتي الشخصية مع الاخرين اتمثل بقول فولتير مبتهلا الى الله : —

« انك لم تعطنا قلوبا لنتباغض ولم تمنحنا الايدي لنخنق بعضنا بعضا » .

اقبل نحوي الاستاذ محمد ابراهيم خليل الوزير السابق وقطب حزب الامة وقال متعجبا ما بالك يا محمد اليوم .. واعترف اني رددته ردا غير كريم .

وقال لي «على كيفك .. » وذهبت لتوه . ان هناك قلة من السودانيين في هذا البلد اصابت تعليما نظاميا ولا اقول ثقافة .

فالثقافة ليست اشتاتا من المعارف والعلوم تجمع من هنا وهناك وليست كتبا يصحبها المرء وقت التحصيل او الفراغ للامتاع والمؤانسة او للجلوس في الصالونات والتمشدق بما فيها ولكنها سلوك ومواقف تجعل صاحبها يستبين النور من الظلام فلا يمتهن الوثنية في القرن العشرين ولا يعفر جباهه لزيد او عبيد ويحفظ لنفسه كرامتها ويدفع بها عن نفسه وعن الاخرين معرة الذل والعبودية وليدرك الا جريمة تعادل حجر الفكر والذهن البشري وكما قال سارتر ليس هنا سوى بلاغة حسنة واحدة هي بلاغة الدفاع عن الحرية — وتبا للذي يخضع فكره وعمله للذي ينزف دم البسطاء من الناس مسخرا لهم يحركهم كالدمى ويسوقهم امامه كقطيع البهائم .

لم يضع هؤلاء القلة علمهم ليضيئوا به السبيل للمستضعفين والذين يكدحون كدحا في خدمة السيد طلبا للقوت والمأوى وليساعدوهم في كسر ذلك القيد الثقيل من الدجل والافكار التي تعشعش في رؤوسهم وما يعصب عيونهم من ان ترى الحقيقة وليمسكوا حقهم بيدهم .

وفيما انا فيه وسط ذلك الحصار في فناء الجمعية التأسيسية اذ اقبل نحوي السيد نصر الدين السيد واخذني جانبا وقال لي : —

« يا محمد نصيحتي اليك الا تلجأ الى المهاترة في مناقشة خصومك السياسيين فهذا اسلوب يضعف حجتك وقد جربت ذلك بنفسي .. »

وبيني وبين السيد نصر الدين مداقة قديمة تعود الى عهد الطلب الى ان خرجنا الى معترك الحياة ولذلك ليس من العجب ان يسر الي بنصيحة او رأي ولكن العجيب هو ان السيد نصر الدين هو الذي قاد حملة الافتراء والهراء والسباب لخصومه السياسيين في كل فرصة واخرى وذو اللب مجتنب ما يعيب وفككت نفسي من ذلك الحصار وهممت بدخول قاعة الجمعية قبل عودتها للانعقاد وفاجأني الدكتور الترابي في باب الجمعية وتقابلنا وجها لوجه وقال لي بالحرف الواحد : «ما كنت اظن يا محمد انك تقسو علي بمثل ما فعلت ولكني على اي حال مسامحك » وذهب .

ودخلت القاعة ورأسي يدور وارتميت في كرسي في الصف الاول والاعضاء يتوافدون .

ثم دخل الدكتور الترابي وسط القاعة وهي تموج بالنواب والصحفيين والزوار في الشرفات وعانقته واعتذرت له وقصدت ان افعل ذلك على مشهد من الناس وسمعت احد النواب يقول «ده كله لزومه ايه » .

وقديما قيل احذر مما تعتذر منه .

ان كثيرا من البرلمانات في العالم شهدت وما زالت تشهد اعمالا تجاوزت السباب والقذع الى اللكم وأسباب العنف ولكن ذلك الامر كان شيئا جديدا على السودان ولم تعرف في البرلمان الاول والثاني

مهاترة وسباب بالرغم من عنف الهجوم بين المعارضة والحكومة .

ولكن بعد ثورة اكتوبر شهد المسرح السياسي نوعا جديدا من المجادلة اتسم بالهراء والافك فقد استخدم الدين ليباعد بين الولد وابيه وبين مواطن والاخر وكثر الحديث عن الاخلاق وظهر كل منافق وناعق يتحدث عن الفضيلة .

كان الجو في الجمعية خانقا معتما وكنا هدفا للتجريح والسباب وحقيقة عندما تسطو اليد على مقدرات الشعب وينهار القانون وحكمه يسلط اللسان ويضيع الحق ويستكين المنطق ويستنسر البغاث ويصول ويجول كل هماز مشاء بنميم ومع ذلك فانني ما زلت اعتذر نادما على ما قلته والاعتذار والندم اعتراف بالخطأ وسبيل الى المغفرة وكما قال الجاحظ نعم البديل من الزلة الاعتذار .

وسجلت الصحافة السودانية ذلك الحادث ومرت عليه مرورا عابرا الا السودان الجديد حيث كتب محررها السيد فضل بشير كلمته [1] الاتية انقلها بنصها فالاستاذ فضل من الصحفيين القلائل في هذا البلد الذي التزم جانب الحجة والموضوعية كتب سيادته : —

« تألمت كثيرا كما تألم كثيرون غيري وهم يستمعون الى بعض العبارات النابية والالفاظ البذيئة الجارحة التي رددها المندسون في مظاهرات امس وامس الاول فاذا كان القانون قد كفل للمواطنين جميعا حرية تسيير المواكب وحرية التعبير فان نفس هذا القانون يردع كل عابث مستهتر وكل انتهازي مزموم يسيء استعمال هذه الحرية باعتدائه على حرية او سمعة او اعراض الاخرين .

ولقد تضاعف المي وبلغ مرتبة الاشمئزاز عندما اوذي سمعي وسمع

---

١ ــ السودان الجديد العدد ٥٩٨٠ بتاريخ ١٩٦٦/١٢/٢٥

جميع من حضروا جلسة الجمعية التأسيسية الطارئة صباح يوم الجمعة بالفاظ ما كان يدور بخلد احد ان تتردد اصداؤها داخل ذلك الحرم المقدس وفي يوم جمعة فضيلة في شهر مبارك .

ان الصراع السياسي واختلاف المبدأ والعقيدة في قطر اختار الديموقراطية نظاما لا ينبغي ان يخرج عن الجو المألوف الذي تحدده القوانين ويمليه الخلق القويم ويستوجبه وضع السوابق الحسنة والا فان هذه الحرية تصبح فوضى وتختل المفاهيم والمقاييس مما قد يؤدي للاطاحة بالمكاسب التي حققناها في مجال حريات التعبير وتسيير المواكب والمظاهرات .

ان على رجال الجمعية التأسيسية وهم القادة والزعماء ان يضربوا المثل الاعلى في السمو بالمناقشات والمجادلات وفي الترفع من التلفظ بكل ما هو ناب ومؤذ وجارح ولن تعوزهم بلاغتهم وقد نالوا من الثقافة والادب والاطلاع قدرا عاليا ان يقسوا ويعنفوا في خصومتهم السياسية ما شاءوا ولكن في اسلوب عف وفي كلمات مهذبة .

لقد قررت في نفسي وانا استمع الى الهتافات النابية من بعض المندسين في مظاهرات من عامة الناس قررت ان اكتب مناشدا اياهم ان يترفعوا بهتافاتهم الى مستوى الصراع السياسي ولكن بعد ان سمعت بعض ما قيل داخل الجمعية رأيت ان واجبي وهو مخاطبة هؤلاء الذين قلدهم الشعب شرف الانابة عنه وتمثيله ولا احسبني بحاجة الى ان اذكر السيد الجليل رئيس الجمعية التأسيسية الدكتور مبارك الفاضل شداد بعظم المسئولية الملقاة على عاتقه لصيانة الديمقراطية وتنقية مؤسساتها من الشوائب والمصائب » .

وفد القوى التقدمية

زيارتنا لمصر : —

اقلعت بنا الطائرة صوب القاهرة ظهر ٤ اكتوبر ١٩٦٦ وزيارتي لمصر العزيزة هذه المرة تختلف عن زياراتي السابقة فانا قادم اليها في وفد سياسي يمثل الاشتراكيين في السودان بمختلف مدارسهم لنلتقي باعضاء الاتحاد الاشتراكي العربي ولنقف عن كثب على منجزات الثورة المصرية لنتعرف على قادتها الذين يضطلعون بعبء الثورة العربية ويجلون عن مصر ماران عليها وعلى تاريخها الحقب الطوال من الزيف والتشويه .

لقد نبتت فكرة وفد يسافر لمصر في المؤتمر الذي دعت اليه المنظمات الديمقراطية الاشتراكية للعمل لدعم الثورة المصرية والحركة التحررية العربية في وجه مؤامرات الرجعية والاستعمار ثم اعدت الهيئات موكبا جبارا مساء الخميس ٨ سبتمبر ١٩٦٦ وبعد نهاية الموكب ارسل المتظاهرون البرقية الاتية للرئيس جمال عبد الناصر : —

« ان الجماهير الهادرة من الشعب السوداني الممثلة في المسيرة الكبرى التي تضم القوى الثورية الاشتراكية في العاصمة المثلثة وهي تبلغ ما يزيد عن المائة الف سوداني لتعبر عن صدق وامانة عن احاسيس ومشاعر وارادة الشعب السوداني في ايمانه بالحرية والاشتراكية والوحدة وتؤيدكم في نضالكم لدى معاقل الاستعمار والرجعية والصهيونية العالمية مشيدة بمواقفكم الصلبة امام التحديات والشعب السوداني كجزء لا يتجزأ من الامة العربية المتحررة ويرجى في تطلعاته لمستقبل ما تقومون به من انجازات كبرى لمجتمع الكفاية والعدل وتقف

بصلابة الى جانبكم ضد المؤامرات ومخططات الاستعمار والرجعية والصهيونية العالمية التي ينفذها العملاء الانهزاميون لهدم صرح الاحياء العربي الذي تديرون دفته ويدين في قوة الحلف المسمى زورا بالحلف الاسلامي .

رعتك عناية الله ووفقك من الشرور وقلوب الملايين الشرفاء من ابناء الامة العربية ترعاكم وهي في زحفها صوب الاهداف المقدسة والشعب السوداني شريك الشعب العربي وجودا وتاريخا وهدفا ومسيرا ومصيرا ليحي في شخصكم الرائد الشعب العربي في انجازاته وتطلعاته الى المستقبل الزاهر المضيء ».

وقد شرفني زملائي اعضاء رابطة المعلمين الاشتراكيين ان امثلهم في ذلك الوفد وكان شرفا عظيما لا يدانيه شرف فانا قادم لمصر العزيزة التي احببتها منذ الصغر وتفتحت عيناي على صحفها وكتبها واناشيدها وكنا نردد مع شوقي ونحن صغار :

مصر العزيزة لي وطن
وهي الحمى وهي السكن

اقلعت بنا الطائرة وكان يجلس في الكرسي المجاور لي عمر مصطفى المكي احد المجاهدين الابرار وود العجائز المعروف على لغة اهل البلد وذهبت تسمو بنا الطائرة ولست ادري لماذا قفزت الى ذهني صورة الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير دون سواه .

فهو الشاعر الذي فتن بمصر دون ان يلقاها وراعه حسنها قبل ان يراها وتألمت كيف يموت ذلك الفتى دون ان يبرد غلته برؤية مصر وهو الذي غنى لها وصدح بثقافتها وهزج بفكرها وقال فيها ضمن ما قال:

كلما انكروا ثقافة مصر
كنت من صنعها يراعا وفكرا

جئـــت فـــي حــدها غــرارا
فحيــا الله مستودع الثقافــة مصرا
نضر اللـــه وجههـــا فهـــي
مــا تزداد الا بعــدا علــى وعسرا

ان مصر ذلك المستودع الضخم من الثقافة والعلم وذلك الينبوع الثر للفكر والمعرفة وقبلة الوطنين السودانيـين انها تشكـل الانشودة العذبة الحلوة في الشعر السوداني المعاصر فقد تغنى بها ولها العباسي وعبدالله عبد الرحمن طيب الله ثراهما واحمد محمد صالح امد الله في عمره وغيرهم .

وها انا اسعى اليها اليوم مع نخبة ممتازة مــن المواطنين وانا ذلك الهائم الذي عناه العباسي في قوله : ــ

والناس فيك اثنــان شخص قد رأى
حسنا فهام بــه واخــر لا يــرى

وانا في هذا الشرود والنشوة وقد مرت ساعتان من الزمان نادى فينــا المنادي بان الطائرة الان تهبط في القاهرة .

يــا للسعادة

وكان في استقبالنا عند سلم الطائرة السيد فتحي الديب امــين الشئون العربيــة في الاتحاد الاشتراكي مندوبا عــن السيد صبــري الاميــن العام للاتحاد الاشتراكي ونخبة مــن كبار اعضاء الامانــة العامة وكان السيد علي عبد الرحمن رئيس الوفد والسيد محمد زيادة والسيد عبد المجيد وصفي سكرتير الوفد في المطار وقد سبقونا الــى مصر كمــا كان هناك عدد كبير من المواطنين السودانيين .

وقد ادلى السيــد علي عبد الرحمن رئيس الوفد بتصريح لراديو

القاهـرة قال فيه :ـ

« ان زيارة وفد القوى التقدمية للجمهورية العربية المتحدة هي جزء مـن العمل العربي لقيام وحدة تقدمية لجميع الاشتراكيين العرب. لقد حقق التقدميون في السودان وحدتهم بمؤتمر القوى التقدمية الذي قام مؤخرا للتصدي لمؤامرات الرجعية والاستعمار ...

انه في جو اللقاء بالاتحاد الاشتراكي العربي وهو طليعة التنظيمات الثوريـة في العالم العربي يمكـن للقوى التقدمية ان تحقق المزيد من وحدتها الصلبة .. » واختتم السيد علي عبدالرحمن تصريحه بالاشادة بالمنجزات التي حققتها ثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة الرئيس العربي جمال عبد الناصر .

ومـن المطار توجهنا الى قصر القبة حيث سجلنا اسماءنا هنـاك وودعنـا مولانا شيخ علي عبد الرحمن ومحمد زيادة واخرون وقالوا انهم ذاهبون الى قصر الحرية لزيارة السيد محمد عثمان الميرغني الذي كان هناك في تلك الايام وقلنا عمـر مصطفى وانا نحـن برضه معاكم .

وقضينا مع سيادته وقتا ممتعا وكان ذلك اول لقائي بسيادته وكان يطوف بذاكرتي ذلك الشريط مـن صور رجال ونساء وشباب الختمية حينـما ولد سيادته وهي فرحى ترقص طربا في الشوارع والطرقـات وتكتظ بهم عربات الترام واللواري غادية ورائحة مـن والى الخرطوم بحري وما فقد مـن ضحايا الحركة في ذلك الوقت وكنت طالبـا في السنة الاولى بكليـة غردون التذكارية .

وقبل ان نودع سيادته دعانا لتناول العشاء معه وتكلمنا في كـل شيء ولم يخف عنا رأيا او يتحفظ في حديث ورجاله من حوله يحفونـه بايات التقديس والاجلال وقلت في نفسي ماذا لو ترك الناس على سجيتهم

ولماذا يكون هناك سيد ومسود فكل الناس ابناء حواء ؟ ولماذا يعظم هذا او ذاك من البشر ومن المسلمين بالذات والنبي صلعم ينهي عن ذلك وينادي في اصحابه . « لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا .. واني اكـره ان اتميـز عليكـم ... »

فاذا كان النبي صلعم يقول ذلك لاصحابه وهو المثل الكامل لكل مسلم فمـا هذا الذي يقوم به بعض الناس ؟

يقولون انها الطرق الصوفيـة يتخذونها وسيلة اليه تعالى ؟

ولكن هل هذا مـن التصوف في شيء ! انها الوثنية بعينها .

بدأ التصوف الاسلامي في صدر الاسلام طريقا للمسلم يخضـع نفسه عبر ذلك الطريق لالوان مـن الرياضة الروحية والمجاهدة ويعد فيـها قلبه لمعرفة الحقيـقة والكشف والمشاهدة ولكن منذ ان انقسم المجتمع الاسلامي الى ارستقراطية حاكمة « بلغت حدا مـن التـرف والغنى الفاحش واخرى محكومة فقيرة معدمة انتشرت نزعـة التصوف والزهد والاقتناع بان نعيم الدنيا زائل وعم الدجل والتخريف وتعلـق الناس بالاسباب الموهومة في الحصول على الغنى لعجزهم عن تحصيله بالوسائل المعقولة فتنجيم واعتقاد في الطوالع التـي تسعد وتشقـى وانصراف الى الكيميـاء التي تقلب النحاس والقصدير ذهبا والالتجاء الى دعوات الاولياء لعل دعوتهم تتحقق » كما يقول العلامة احمد امين.

ووجدت الطرق الصوفيـة طريقها الى السودان وقد ادت دورها في جمع الشمل والتقليل من حدة النعرة القبلية ولكن طرقا صوفية فـي مجتمع السحر والشعوذة والكجور في السودان مـع الفقر والعـوز والجهل لا يمكـن الا وينقلب شيوخها طواغيت تعبد وقد استغـل الحكم التركي هذه الحقيقة حتى اذا اتـت المهـدية وحرمت الطـرق الصوفيـة .

ثم جثم الاستعمـــار البريطاني على صدر البلاد فسار على ما سار عليه الحكم التركي فقوى مـــن امر بعض الطوائف الدينية واقطعهـــا اقطاعات واسعة اغدقت عليها الخير الوفير ونظـــر الى الزعيم الطائفـــي نظرة التقديس والربوبية وانقلبت بعض هذه الطرق الى طرق للشعوذة والدجل وعبد زعماؤها ومارس الناس البسطاء الوثنية وعبادة الاصنام وهرعوا لهذا او ذاك يمنيهم ويهبهم البركة وكما قال استاذنا عبداللـه البنـــاء :

وهيكـــل تبعته النـــاس عن سرف
كالسامري بلا عقـــل ولا ديـــن
يحتال بالـــدين للدنيـــا ليجمعهـــا
سحتا فتـــورده في قـــاع سجيـــن

وذهبنا لفندق الكونتننتال في ضيافة الاتحاد الاشتراكي وهـــذا الفندق معروف لدى السودانيين فهو الذي نزل فيه وفد السودان قبل عشريـــن عاما وقبع قادته هناك ما يقرب مـــن الثلاثة سنوات بعيدين عـــن الشعبيـــن السوداني والمصري حيث اغدق عليهم باشوات مصر من المال والعطاء ما زاد الشقة بينهم وبين مواطنيهم فخرج شباب البـــلاد انذاك يهتفون « يسقط كفاح الصالونات .. يسقط كفاح الكونتننتال » وتذكرت كيف ارتمى قادة وفد السودان في احضان جلادي الشعـــب المصري صدقي والنقراشي وابراهيـــم عبد الهادي وتذكرت الدعـــاء والابتهال الى الله ان يحفظ الملك فاروق المفدى مليك وادي النيل مصره وسودانه وما كان يجري على السنة قادة الاحزاب الاتحادية لقد روضهم باشوات مصر وجعلوا منهم حمـــلا وديعا يغذونه ويطعمونه ويأكلونـــه لحمـــا شهيا وقد افلح الباشوات في ذلك فلم يعد وفد السودان وقادة الاحزاب الاتحادية بعبعا يخيف بل ظلوا خنجرا مسموما في جسم القضية السودانيـــة والمصرية على السواء .

وخصص لمولانا شيـخ علي عبد الرحمن رئيس الوفد شقة كاملة في الفندق هي نفسها التي كان ينزل فيها السيد اسماعيل الازهري رئيس وفد السودان انذاك .

وأعد لنا برنامج مكننا من التعرف عن كثب على منجزات الثورة المصريـة ومصانعها في حلوان والمحلة الكبرى ثم السد العالي ثم عقدنا سلسلة مـن الندوات واجرينا مناقشات في التلفزيون العربي وكانـت زيارتنا مثار اهتمـام الصحف المصرية والرأي العام في مصر فقد كان وفدنا يمثل النواة العملية لوحدة القوى التقدمية في احد البلـدان العـربيـة .

وكنت اقيم في غرفة مع عمـر مصطفى وقبل ان نأوى الى فراشنا كنا نتحدث عن انطباعاتنا وارائنا عما شاهدناه وعمـر مصطفى ود عجائز ومـن بربر مما جعل لحديثه وتعليقاته طابعا حلوا شهيا وكـان يحلو له ان يعدد القفشات التي كثيرا ما وقعنا فيهـا .

اتاحت لنا تلك الزيارة لقاءات عديدة مع قادة الاتحاد الاشتراكي العربي الرئيس جمـال عبد الناصر رئيس الاتحاد وعلي صبري الامين العام واخرين ومع بعض اعضاء الاتحاد الاشتراكي العاديين أعتـرف ان بعضنـا ممـن لاقينا مـن اعضاء الاتحاد الاشتراكي تركوا اثـرا قاتمـا على نفسي فالاتحاد الاشتراكي يضم تحت لوائه عناصر سلبيـة ان لم تكـن عناصر مضادة للثورة ففي الوقت الذي يعلن فيه ميثـاق الجمهوريـة وينادي رئيسها بملء فيه بان مصر تسير نحو الاشتراكية واطراءه بما قدم الاتحاد السوفييتي من مساعدة في البناء كنت اسمع من بعض ذوي النفوذ في الاتحاد الاشتراكي هجوما شديدا علـى الاتحاد السوفييتي ووصفه كدولة استعمارية تهدف لاستعمـار مصر ويشبهونه بالولايات المتحدة الامريكيـة كنت في حيرة من امر هؤلاء

وكيف يمكن ان يؤدي الاتحاد الاشتراكي دوره دون ان تكون هناك وحدة فكريةبين قادته وكيف يمكن لحزب او تنظيم يدعو للاشتراكية ويهاجم قلعة الاشتراكية الحصين .

ان في الاتحاد الاشتراكي كما رأينا في زيارتنا هذه عناصر مضادة للثورة قطعا فاذا كان كلام وخطب وافعال ومخططات جمال عبد الناصر تمثل رأي الثورة فان اراء ذلك النفر من ذوي المكانة في الاتحاد الاشتراكي تمثل الاتجاه المضاد للثورة .

ولكن بالرغم من تلك الصورة السلبية والقصور السياسي الذي لمسته عند بعض اعضاء الاتحاد الاشتراكي الا ان هناك عناصر ايجابية اذكر على سبيل المثال تلك المناقشة الحية في حلوان عند اجتماعنا بمجلس ادارة مصنع الحديد والصلب حيث يشترك العمال في المجلس وكان مندوب العمال يتحدث في طلاقة وثقة وصراحة وادراك عن دور العمال في تلك المؤسسة وفي البناء الاشتراكي ومناقشة بقية العمال لبعض القضايا بحضور رئيس مجلس الادارة صورة لا يمكن ان تحدث في مصر في الماضي وتأكد لنا بان وجود العمال في مجالس الادارات لم يكن امرا اسميا وشكليا وعندما هممنا بمغادرة المصنع الى الكازينو العام لتناول الغداء وذلك الذي كان من مخصصات الملك سابقا لم يجد احد العمال مكانا له في السيارة معنا وقال انه سيحضر مع عمر بك رئيس مجلس الادارة .

وكذلك في اسوان وفي قاعة الفندق الذي قضينا فيه يوما كاملا في مناقشات حادة حامية مع بعض الدارسين في معهد الدراسات الاشتراكية الذين صادف ان كانوا هناك في فترة دراسية ومع مندوبي المزارعين والعمال ـ كانت تلك المناقشات الحية الهادفة قد اوضحت لنا ان هناك عناصر متفرغة وطليعة العمل تستبين قضايا تطور الثورة المصرية

وتدرك مشاكل الاتحاد الاشتراكي وما يجب ان يسير عليه ليكون تنظيما ثوريا حقيقيا كانت تلك العناصر تحكي لنا بعضا من مشاكل الاتحاد الاشتراكي في تنظيمات القاعدة وفي لجان الاحياء وما يجابههم من بروقراطية واساليب خاطئة في طريق العمل وتنظيمه وارتباط الاتحاد الاشتراكي بالجماهير وكانوا يعترفون بان كثيرا من المواطنين لم يكونوا راضين عن ذلك بل منهم من تسرب اليه اليأس فقد كان يرى الحال هو هو ولم يطرأ التغيير المنشود .

مثل هذه العناصر الايجابية الخيرة موجودة بكثرة في الاتحاد الاشتراكي وسيظل السؤال قائما كيف يتحول الاتحاد الاشتراكي كتنظيم في يده السلطة الى معبر حقيقي لهؤلاء الناس ليندفع هذا الشعب المعلم الذي تفتحت في ارضه مواهب الانسان وقدراته وفجر فيها اول طاقاته الابداعية ونبتت في جوفها اول بذرة للحضارة فيحتل مكانه المرموق في المسيرة الكبرى في طريق الاشتراكية .

مقابلة مع جمال عبد الناصر

وحدد لنا نهار الخميس ١٣/١٠/١٩٦٦ مقابلة مع الرئيس جمال عبد الناصر وكانت فرصة طيبة لنا لان نلتقي مع قائد ثورة يوليو التي لم تكن مجرد انقلاب دبره حفنة من الضباط المصريين ولكنها حقيقة كانت ميلادا لثورة كبرى ظل الشعب العربي يتطلع اليها ويكافح وينافح لتفجيرها ولقي في سبيل ذلك ما لقي من صنوف العذاب والقهر فلم تلن قناته بل سار قدما في سبيل اشعالها حتى خرجت فئة من ابنائه البررة يستجيبون لندائه ويحققون للشعب في ساعات ارادته ويطلقونه من عقاله ليصنع المعجزات ويأتي بالمستحيل .

كنت استرجع في ذهني تلك السلسلة من الوقائع والحوادث

الكبرى التي حلت بالعالم العربي قد سقطت بغداد في المشرق وبعدها قرطبة في المغرب ولم يجد العرب ملاذا لهم غير مصر فخف لها العلماء والفقهاء واخذوا يغترفون من نبعها وثقافتها العريقة ويضيفون بذلك الى علمهم وفقههم المزيد فجددوا لنا بذلك ذخائر الثقافة الاسلامية وادابها وحفظوا لنا اللغة العربية ووصلوا ما انقطع بينها وبين الاداب والعلوم في العصور السالفة وكان الازهر المعمور يستضيف العديد من طلاب البلاد العربية والاسلامية فاضحى وما زال منارا للدين وحياة للغة العربية واخذت مصر منذ ذلك التاريخ والى اليوم تتبوأ مكانها قبلة للعالم الاسلامي ومركزا للثقافة العربية وصدقا ما قاله العلامة ابن خلدون بأن « لا اوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وديوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع ».

وعندما منى الوطن العربي بالحكم التركي كانت مصر هي كل ما تبقى للعرب وسقطت هي نفسها في مطلع القرن السادس عشر فريسة في قبضة سلاطين آل عثمان فران السبات العميق على الوطن العربي واصابه العقم الروحي وسرعان ما تسلمت اوروبا مقود الثقافة والعلم وانتقل مركز الثقل اليها منذ ذلك الوقت وبفضل الثورة الصناعية واصبحت اوروبا تصدر رأس المال تعززه باساطيلها وجحافلها وتنصب نفسها وريثا للرجل المريض ويدخل العرب مرة اخرى في محبس رهيب وهم مقيدون بقيد ثقيل هو الاستعمار بكل ما يملك من علم وتكنيك وثقافة .

وقامت الثورات المحلية هنا وهناك في اجزاء الوطن العربي لم تلبث ان اخمدت وتلفت الناس مرة اخرى فلم يجدوا غير مصر وهب ثوار يوليو ١٩٥٢ يعلنون ويؤكدون ان مصر دولة عربية لغة وتاريخا وثقافة وبذلك وضعوا مصر في مكانها الطبيعي وزال عنها ما لحق بها من زيف وعادت مصر الى اصلها العربي الحضاري واخذت تضطلع بسهمة

الدعوة والدفاع عن الوطن العربي في الوقت الذي كان الاستعمار الرهيب ينيخ بكلكله واعوانه من الحكام المحليين ادوات طيعة ودمى يحركها كملوك الشطرنج هنا وهناك فاضحت هدفا للاستعماريين واعوانهم يوجهون عليها سهامهم ويرسمون خططهم وحبائلهم .

ان ثورة يوليو ستظل معلما بارزا في تاريخ العرب بل لعله ابرز معلم منذ ان سقطت بغداد في القرن الثالث عشر للميلاد . وقفت ثورة يوليو تقارع الشدائد وتصارع المحن وتجتاز السدود فتحل عقدة بعد عقدة ومشكلة اثر مشكلة . عمل قادتها لحل قضية السودان قبل قضية مصر ووقعوا اتفاقية القاهرة عام ١٩٥٣ ولم يتفرغوا لقضية الجلاء من مصر الا بعد عام ونصف من اتفاقية القاهرة التي كانت من نتائجها الحكم الذاتي للسودان ثم اعلان الاستقلال وسارعت مصر كعادتها لتحمي الدولة السودانية وكانت اول دولة اعترفت باستقلال السودان.

وعكفت الثورة المصرية لتعلن مصر دولة عربية واخذت تضطلع بمسئولية كبرى وتتحمل اعباء ثقالا على اعبائها في مواجهة الاستعمار الاوروبي ومناهضته حيث كان يسيطر على الوطن العربي ويعتصر خيراته ووسط ذلك الضباب الكثيف سارت الثورة المصرية تختط طريقها ثابتة الاركان قوية الدعائم ترفع بيديها القويتين كل ما اعترض سبيلها مواجهة قوى الاستعمار وسدنته التقليديين والملوك وابناء الاسر واقتحمت ميدان النضال العربي في جرأة وشراسة مسخرة كل امكانياتها لذلك الهدف النبيل بالرغم مما تحمله من اعباء وما يحيط بها من مشاكل البناء الداخلي .

كانت الثورة المصرية حقا عاملا حاسما في كثير من قضايا الوطن العربي فنال السودان استقلالهوانكسر حلف بغداد وكان قيدا ثقيلا على الامة العربية وقضى على حكم الملوك في العراق وتحررت سوريا

مـــن النفوذ الرجعي وسارت الثورة الجزائرية الى غايتها وخف الشباب المصري يحمي بدمائه ثورة اليمن ثم دلفت الثورة المصرية لترفع رايـــة الاشتراكية منهجا وطريقا تسيـــر عليه ثلاثة من الدول العربية الكبرى واخرى تتلمس طريقها نحـــو ذلك الهدف .

وازاء هذا الانطلاق واندفاع الامة العربية ركز الاستعماريـــون جهودهم للقضاء على رأس الامة العربية ووضعوا كل شيء ضـــد مصر وبثوا دعاياتهم السامة والمسمومة ضد قائدها وثورته ثم اعقبوهـــا بحرب عاتيـــة سيروا فيها جحافلهم في عام ١٩٥٦ ولما يمضي على الثورة اربع سنوات وعندما ردوا على اعقابهم لجأوا لحصارها اقتصاديا وخنقها تجاريـــا كل ذلك والثورة صامدة ثابتة غير عابئة بما فعلوا ويفعلون ثم دبروا مؤامرة لاغتيـــال الرئيس جمال عبد الناصر بواسطة الاخـــوان المسلمـــين ولكـــن المؤامرة احبطت ونال الاخوان المسلمون العقـــاب الرادع جزاء مـــا فعلوا بعد ان اعترفوا بجرمهم وبالايدي التي كانـــت تعاونـــهم .

استيقظ المارد وتحـــرك الشعب المعلم وكان توفيق الحكيم يقول في كتابه عودة الروح منـــذ نصف قرن :ـــ

« هذا الشعب ينقصه ذلك الرجل الذي تتمثل فيه كل عواطفـــه وامانيه ويكون له رمزا لغاية عند ذلك لا تعجب لهذا الشعب المتماسك المتجانس المستعذب المستعد لكل تضحيـــة اذا اتى بمعجزة اخرى غير الاهـــرام » .

وقد كـــان شوقي يخـــاطب ابا الهول ولعله كان يعنـــي الشعب المصري :ـــ

تحـــرك ابا الهول هذا الزمان تحرك ما فيه حتى الحجـــر .

كانت هذه الصور المشرقة الزاهية تترى امام ناظري وتثور في خاطري وانا مع تلك النخبة الممتازة من المواطنين تقلنا السيارات الى قصر القبة ذلك القصر الواسع الشاسع والذي شهد عسف الملوك وبذخ الامراء وجلسنا في انتظار مقدم الرئيس جمال عبد الناصر وكان شيخ علي ومحمد زيادة يقطعان الصمت بنكات ظريفة وبحديث شيق عذب وفي الساعة الواحدة دخل علينا جمال عبد الناصر بقامته المديدة ووجهه الصبيح .

كانت الجلسة طبيعية للغاية ولم نشعر بذلك الضيق والتزمت الذي يصحب مثل تلك المقابلات مع الرؤساء او اشباه الرؤساء وتحدث الشيخ علي شارحا اهداف رحلة الوفد ورد الرئيس جمال عبد الناصر شاكرا .

والتفت الي الرئيس جمال عبد الناصر وسألني :

ـ حضرتك انت اخو الاستاذ احمد سليمان

ـ نعم

ـ وازيه هل هو في السجن ولا بره

وضحكنا جميعا ثم بادر الرئيس جمال قائلا « اصلي كل ما اسأل عليه يقولوا محبوس » بالله سلموا لي عليه .

اثلجت هذه العبارات صدري وسعدت بها كثيرا لا لان في ذلك اشادة باخي وحسب ولكني لمست فيها ما يشبه التقدير لما قام به احمد سليمان ورفاقه سواء اكانوا في مصر ام في السودان لمصلحة البلدين فقد ضربوا اروع مثل للكفاح المشترك وقاموا باجل ايات العمل والتضحية في سبيل ذلك الهدف وفي بعض السنوات واحلكها ١٩٤٦ الى ١٩٥١ عملوا في صدق واخلاص جنبا الى جنب مع الشعب المصري بل تسلموا قيادة الحركات الثورية هناك في حين كان بعض قادة

الاحزاب الاتحادية يتقلبون في فندق الكونتننتال ونمارقه المصفوفة ويطعمون في فتات موائد الباشوات ويتنقلون مع كل حاكم آبق في مصر سواء اكان صدقي باشا او النقراش او ابراهيم عبد الهادي .

كان احمد سليمان ورفاقه يختلطون بالشعب المصري ويعملون على تنظيم فئاته وهيئاته ويمهدون بذلك للثورة ودخلوا السجون والمعتقلات لم يطأطئوا رؤوسهم ذلا واستحذاء كما فعل غيرهم مع باشوات مصر وملكها .

وعندما كان اخرون فيالسودان يتعاونون مع الادارة الاستعمارية ويعلنون بانهم لم ولا ولن يتخلوا عنالانجليز كان رفاق احمدسليمان في السودان يرفعون راية الكفاح المشترك وينظرون نظرة علمية الى ان القضية ليست وحدة وادي النيل تحت تاج الفاروق او شعار السودان للسودانيين اسما والسودان للبريطانيين حقيقة بل القضية قضية واحدة هي جلاء الاستعمار من وادي النيل .

بهذا الفهم الصحيح الجديد تحرك الشعبان وراء قيادة جديدة رشيدة ووقف صدقي باشا جلاد الشعب المصري يقرأ نماذج من نشرات واراء تلك القيادة الجديدة في مجلس الشيوخ المصري في جلسته بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٤٦ ليبدأ حملته الارهابية المعروفة .

« الحكومة تزيد الاغنياء غنى والفقراء فقرا ان جانبا ضخما من ثروة مصر تحتكرها اقلية من الناس لا تبغي لغالبية الشعب غير المرض والفقر والجهل وان الباشوات المصريين يشتركون في مجالس عدة شركات بلغ استغلالها للشعب حدا كبيرا ولا هدف لها غير توفير الارباح الفاحشة لحفنة من كبار الرأسماليين » .

« ان جموع الامة عاقدة العزم على تغيير الاوضاع الاجتماعية ».

« ان القوانين في معظمها لمصلحة الرأسمالية » .

« الناس كلهم سواسية كاسنان المشط وان في هجرة الرسول الى المدينة معنى الثورة على الجوع والفقر ».

« يجب على الطبقات الشعبية ان تقوم اليوم بالدور الرئيسي في الحركات الوطنية لأن الطبقات الحاكمة الحالية تتعاون مع الاستعمار ».

« ان سوء توزيع الثروة يتطلب اعادة توزيع الارض ومنحهـــا للفلاحين في شكل ملكيات صغيرة وانشاء نظام تعاوني » .

« ان الشرق لا يتحرر بالمهادنة والاستجداء ولكن بالعنف والثورة وفي مصر ثورة تأخذ نيرانها في ازدياد كل يوم بل كل ساعة ».

« هل يجدي مـع الاحرار قضبـان وسجـان
اذا كنـا شـرارات فنحـن اليـوم بركان
يا اخي تنعـم الكلاب لدى القـوم
ونشقى فيا لهـا مـن مضحكات
اطلق الثورة التـي تسكن الصدر
وجفـف دمـوعـك الماضيـات
هـي حـرب الحياة أمـا حيـاة
واما ممات يكـن معنـى الحيـاة »

واستحالت مصر الى حركة مقاومة عنيفة مشبوبة ضد البريطانيين والمليك وباشواته وتحرك الضباط الاحرار يستجيبون لنداء مواطنيهم.

ونعود الى اللقاء مع الرئيس جمال عبد الناصر .

وتحدث الرئيس جمـال عبد الناصر في كثير من الصراحة وتطرق الى العديد من المواضيع اقتطف منها ما يصلح للنشر .

« ان الاستعمـار حاول ان يفرق بيننا ولكن هذا مستحيل فنحن

لن نرحل من هنا وانتم لن ترحلوا من السودان وسنبقى هكذا متجاوبين ابد الدهر وهذه حقيقة لا يمكن ان يفعل الاستعمار ازاءها شيئا .

لا شك انكم شهدتم الان الكثير مما نقوم به ولكن المشوار ما زال امامنا طويلا والطريق ليس سهلا وبناء الاشتراكية ليس نزهة سياسية فنحن الان لسنا مجتمعا اشتراكيا ولكننا نسير في تحقيق المجتمع الاشتراكي نحن الان نعيش مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ومرحلة الانتقال هذه من اصعب مراحل التطور الاجتماعي واكثرها تعقيدا ولكننا واثقون من الوصول الى نهاية المشوار .

ان الاستعماريين والرجعيين يحاولون ان يستغلوا صعوبات مرحلة التحول الاشتراكي لينشروا عنا الاكاذيب والاشاعات فالصحف الاستعمارية تدعى مثلا ان مصر في حالة مجاعة والاكل معدوم والسلع غير متوفرة في الاسواق واول امس نشرت احد الصحف الاردنية ان الشعب المصري قد خرج في مظاهرات تطالب بالخبز ولكنكم قد رأيتم كل شيء بانفسكم وتستطيعون ان تربطوا مدى سخافة الشائعات الاستعمارية .

ان الاستعمار يحاول محاصرتنا بكل الوسائل لقد جربوا اساليب الضغط السياسي فيما مضى ولكنها فشلت وهم الان يجربون اسلوبا اخر هو اسلوب الضغط الاقتصادي ففي هذا العام قطعت الولايات المتحدة فجأة ودون سابق انذار معونة قيمتها ٨٠ مليون جنيه كانت تقدمها لنا في شكل قمح وتسدد في مدى اربعين عاما واحدث هذا الاجراء اضطرابا شديدا في مواردنا من القمح حيث اننا ننتج مليون ونصف مليون طنا من القمح في العام ونستورد مليونين — ولجأنا

لبعض الدول لتبيع لنا ـ الارجنتين وافقت على امدادنا بالقمح ثم عادت ورفضت ثم لجأنا الى المكسيك فوافقت ثم عادت ورفضت وبمرور الوقت كان موقفنا يزداد تأزما حتى بلغ ما تبقى لدينا من القمح لا يكفي لاكثر من ١٨ أو ١٩ يوما وهنا بعثت برسالة عاجلة لكوسجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي وشرحت له الموقف وجاءني رده في اليوم التالي يبلغني انه صدر اوامره الى السفن السوفييتية في عرض البحر والعائدة من كندا واستراليا محملة بالقمح ان تتوجه الينا بدلا من الاتحاد السوفييتي وتوجهت السفن الينا بالفعل وتفادينا كارثة محققة .

ومع هذا فهم يتهموننا باننا عملاء الاتحاد السوفييتي ونحن لا يهمنا حديثهم خليهم يقولوا العاوزنه وضحك قائلا :ـ

ما هم برضوا بيقولوا شيخ علي عبد الرحمن صيني .

هكذا كما ترون نواجه كثيرا من المصاعب ولكن بعض الذين يسمون انفسهم باليسارية عاجزون تماما عن فهم طبيعة المرحلة الراهنة التي نمر بها . ان بعض الذين يدعون الايمان بالمبادىء الاشتراكية يظنون ان هذه الافكار هي نصوص في الكتب ولكن الامر ليس كذلك. لقد قرأت كل ما امكنني من الكتب التي تعالج مثل هذه القضايا ولكني لم اجد فيها التجربة المصرية وذلك لان لكل بلد خصائصه التي يبني عليها تجربة التطبيق الاشتراكي فمصر ليست كالسودان مثلا ولكن هؤلاء اليساريين ويمكنناتسميتهم باليسار الرجعي يقفلون انفسهم في غرف ويشربون شايا ويقرأون كتابا ثم يحلمون ويخرجون علينا في اليوم التالي بافكار عجيبة لماذا لا تفعلوا كيت وكيت مما يقرأونه في الكتب.

ان اليسار الرجعي لا يقل خطورة عن اليمين لانهم يلتقون في النهاية مع اليمين في مواقفهم فنحن مثلا نتعرض للهجوم من جانبهم تماما كما نتعرض للهجوم من جانب الاستعمار والرجعية » . وضرب

الرئيس جمال مثلا بقضية مصطفى اغا وجماعته الذين حوكموا قبل شهرين فقال : —

« ان مصطفى اغا هو شخص دجال لا يمت بصلة الى الشيوعية او السياسة ومع هذا فانه قد وجد التأييد والمساندة من بعض الجهات التي تدعي التقدمية وقد وجدنا بحوزته ٥ آلاف جنيه اعترف في التحقيق انه تسلمها من تلك الجهات وفي الاسبوع الماضي قبضنا على مجموعة من الشباب تعمل على تكوين تنظيم اسمه وحدة الشيوعيين ويعمل ضد النظام القائم وهؤلاء يلتقون تماما مع اليمين » .

وهنا تحدث عمر مصطفى مؤكدا كلام الرئيس جمال عبد الناصر فقال : —

«في السودان عندنا جماعة مماثلة تعمل تحت شعارا تيسارية جوفاء وفي ألوقت الذي تتعرض فيه الجمهورية العربية المتحدة لهجوم مسعور في السودان من جانب بعض تجمعات اليمين وفي الوقت الذي خرجت فيه القوى الثورية تعلن عن تضامنها مع شعب مصر اصدرت تلك الجماعة اليسارية بيانات تهاجم فيها مصر ولم تنشرها جريدة واحدة سوى جريدة الاخوان المسلمين مما يكفي دليلا على التقاء هذه الجماعات اليسارية مع اقصى اطراف اليمين » .

وواصل الرئيس جمال عبد الناصر حديثه قائلا : —

« ان الشخص التقدمي هو الذي يستطيع ان يتبع التكتيك المناسب في الوقت المناسب فقد تكون استراتيجيتك صحيحة ولكن خطأ في التكتيك يضيع القضية كلها .

اننا كان من الممكن ان نفجر كل شيء عند قيام الثورة في يوليو ١٩٥٢ ولكننا لم نفعل ذلك واخترنا طريق التطور التدريجي لانه يناسب

ظروفنا وقد ثبت صحة هذا الاسلوب على الواقع المصري .

راعينا كل شيء في البداية عامل السن في نظر الشعب المصري راعيناه وكنت عند قيام الثورة في الثالثة والثلاثين وكنا نعلم ان الشعب المصري لا يقبلني رئيسا في تلك السن وجئنا باللواء محمد نجيب لهذا السبب وتعلمون ما جره علينا من متاعب » .

ثم تحدث الرئيس عبد الناصر حديثا مستفيضا عن الرجعية العربية وركز بصفة خاصة على استغلالها للدين لخدمة مصالحها وللابقاء على مواقعها وقال ضاحكا : —

اذا سألناهم لماذا لا تحكمون بلادكم بدساتير قالوا دستورنا القرآن » .

واذا سألناهم لماذا لا تقيمون حكما تمثيليا للشعب قالوا انما نحكم بالشورى ...

وهكذا يحاولون الاحتماء بالدين لتبرير تحكمهم وكلنا يعرف مدى تدينهم » .

وختم الرئيس عبد الناصر قوله : —

« ان الرجعية اليوم تتكتل وتتحرك وتجمع صفوفها وقد سمعتم بالطبع عن كل التحركات الاخيرة ولا بد ان نواجه هذا بوحدة القوى الثورية في العالم العربي » .

وفي الثانية والنصف انتهت المقابلة وودعنا الرئيس عبد الناصر الثائر المصري الذي يحكم مصر والذي اقترن اسمه بيقظة العرب ونهضتهم ذلك الرجل الذي يضطلع باثقال من المسئوليات تنوء بحملها الجبال .

زيارتنا لسوريا

عندما هبطنا ارض مصر الطيبة في مساء الثلاثاء ٤ اكتوبر ١٩٦٦ كانت المؤامرات الاستعمارية والصهيونية على اشدها لتقويض النظام الثوري في سوريا وعجل وفدنا بارسال برقيةتأييد وتضامن مع الحكومة والشعب العربي السوري وتلقى وفدنا ردا من الدكتور يوسف زعين رئيس الوزراء يشكرنا فيه ويؤكد ان وحدة القوى الثورية في العالم العربي هي الضمان الوحيد لاحباط مؤامرات الاستعمار والسير في طريق التقدم والاشتراكية ثم حضر الينا السيد سامي الدروبي سفير سوريا في مصر فقدم انا دعوة حكومته لزيارة سوريا .

وفي مساء ١٦ من اكتوبر هبطت بنا الطائرة مطار دمشق المدينة العربية التي يقال انها من اقدم مدن العالم ويقولون اسمها الاصلي دمسكو باللغة المصرية القديمة والتي تعاقب على حكمها الاشوريون والفرس والاسكندر ثم بومبي الى الامبراطورية الرومانية واخيرا آلت الى العرب بعد معركة اليرموك في عام ٦٣٥ م بقيادة أبو عبيد ، وكانت موطنا للغساسنة ومرابع آل جفنة وكان حسان بن ثابت ينشدهم من لسانه وبليغ كلمه : —

اولاد جفنه حول قبر ابيهم
قبر ابن ماريه الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص سلافة
بردى يصفق بالرحيق ألسلسل

وشوقي في الاواخر يغني لها ويتغنى بفضلها : —

لولا دمشق لما كانت طليطه
ولا ذهت ببني العباس بغدان

استقبلتنا دمشق استقبالا حافلا صاخبا اشترك فيه ممثلو الهيئات الشعبية وممثلات الحرس القومي بزيهن العسكري وكانت اللافتات الضخمة وعليها شعارات وطنية وعبارات الترحيب بوفدنا والاشادة بوحدة القوى التقدمية تزين جنبات المطار .

ونزلنا في فندق اميه ولست ادري لماذا ينفر سمعي من ذكر بني اميه ومؤسس دولتهم معاويه بالرغم من انه صحابي جليل وكاتب الوحي والرجل الذي توسعت في عهده الدولة العربية الى خراسان وما وراء النهر وشمال افريقيا وحمل لواء الجهاد ضد الروم فيما بعد ورجل الدولة الذي كان يمثل روح العصر بعد ان اتسعت الدولة الاسلامية ربما لانهم قلبوا الحكم الى ملك عضوض كما يقول الجاحظ ولانهم حاربوا الامام على كرم الله وجهه وهو الذي كان يمثل نقاء الاسلام وطهره وثورته ولانهم مارسوا التمييز العنصري وفضلوا العرب على غيرهم من المسلمين ربما لبعض هذا او كل هذا .

وفي صباح اليوم التالي الاثنين ١٧/١٠/٦٦ استقبلنا الدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة والامين العام لحزب البعث تناول الحديث الموقف السياسي وتنظيم وتطور القوى الثورية في العالم العربي والمؤامرة التي تعرضت لها سوريا .

وقد استعرض الدكتور الاتاسي الوضع في سوريا منذ فجر الاستقلال شارحا الدور الذي لعبته البرجوازية في محاولة تمييع الحركات الثورية وضربها وربط سوريا بعملاء الاستعمار ثم قال : —

« لكن محاولات الرجعية باءت بالفشل فالظاهرة التي استفادت فيها القوى الثورية في هذا القطر هي تسرب ابناء العمال والفلاحين الى الجيش من أداة تسند القوى الرجعية والبرجوازية الى قوى ثورية كبرى تشكل القوة الاساسية في حماية الجماهير الكادحة .

وقد رافق حزب البعث العربي الاشتراكي هذا التحول فاستطاع ان يوحد النضال الجماهيري بين القوات المسلحة والعمال والفلاحين والمثقفين والطلاب واستطاع ان يحقق قمة انتصاره في الثالث من اذار ١٩٦٣ ولهذا نرى التوصيات المستمرة في مؤتمرات الحزب تهتم بالمنبت الطبقي للقوات المسلحة وتؤكد الا يدخل الجيش الا ابناء العمال والفلاحين حتى يبقى ارتباطهم الطبقي ارتباطا اساسيا وحتى لا ينزلقوا الى خط بعيد عن اهداف الثورة وينفصلوا عن الجماهير وكانت التوصيات مستمرة لرفع مظاهر التبرجز عن الجيش ورفع شعار الجيش للحرب وللاعمار والسير في سياسة التقشف ونعتقد هذه نقطة هامة تقضي على الروح البروقراطية العسكرية » .

وقال الدكتور الاتاسي في معرض حديثه عن الحركات الثورية في العالم العربي :

« ان الاوضاع الثورية في كل من الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا واليمن اغنت الحركات الجماهيرية العربية واذا فالمعارك الجانبية بين الحركات الثورية تضعف هذه الحركات فعندما كان يحدث خلاف بيننا وبين العربية المتحدة كانت القوى الرجعية تزيد من ممارستها لاساليب الضغط والارهاب والتصفيات الجسدية على المناضلين كما حدث في الاردن والمغرب لذلك عزمنا على وضع حد لهذه المعارك الجانبية ونادينا بالاتصال بالجمهورية العربية المتحدة والجزائر فكما ان الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية والقوات البروقراطية العميلة للاستعمار قد وحدت صفوفها لمحاربة المد الثوري العربي كذلك اصبح من واجب الحركات الثورية ان تلتحم لتقضي على الاستعمار وعلى مظاهر التجزئة والتخلف التي فرضها ولذلك ايضا كان نضالنا الطبقي مرتبطا اشد الارتباط بنضالنا القومي » .

وتحدث شيخ علي وعمر مصطفى شارحين الموقـف في السودان خاصة الجنوب والازمة على حدودنا مع تشاد .

وفي صباح الثلاثاء ١٨ اكتوبر انطلقت بنا السيارات الى الجبهـة الى القنيطـرة حيث استقبلنا قائـد الجبهـة هناك وتحـدث الينا عن استعدادات سوريا لصد العدوان الاسرائيلي ثم انتقلنا الى خط النار والخطوط الامامية للدفاع في ربوة عالية تطل على الارض المغتصبة من فلسطين ونرى المزارعين الاسرائيليين يعملون في الحقول وبعضا منهم في زوارق في البحيرة .

والطريف ان مرافقينا من الضباط عرضوا علينـا ان نتوجه الـى نقطة اخرى من خـط النار لنرى اكتمـال الاستعدادات هناك ولكننا اعتذرنا وقد اخذ منا التعب كل مأخذ وذهب الضباط الى هناك وعدنا الى القنيطرة لنتناول الغداء في نادي الضباط وبعد قليل عادوا من خط النار ليحدثونا ان التحاما حصل بين فرقة من الجيش الاسرائيلي قتل فيه ضابطان اسرائيليان في نفس المنطقة من الخطوط الامامية التي اعتذرنا عن الذهاب اليها .

وتضمن برنامجنا زيارة لحلب الشهباء في شمال سوريا وهي مدينة كبيرة تجارية عريقة ربما يرجع تاريخها الى الالف الثانية قبل الميلاد اذ كانت تقع في طريق القوافل الرئيسي الذي كـان يربط سوريـا بأرض الرافدين وكذلك كانت مركزا لمملكة الحثيين ولكن تكمن اهميتها لمـا لها من مكانة ومنزلة في تاريخ الادب العربي حيث اتخذها بنو حمدان حاضرة لملكهم بعد ان تقطعت اوصال الدولة العباسية وكـان فتى بني حمدان سيف الدولة قبلة العلماء والشعراء والقصاد .

كان الشعراء منذ القرن الثالث الهجري وبعد ان ران على العرب ما ران عليهم يتبارون ويتنافسون في الحظـوة لدى الملـوك والامراء

وانتقلت ندوات الشعر والادب الى قصورهم وبلاطهم وما برز شاعر آنذاك الا لقربه وحظوته من سلطان ليستنشده ويعضده ويحميه واضحى الشعر والادب في خدمة الارستقراطية العربية والمسلمة منذ العصر العباسي الثاني وتجلى شعر المديح والهجاء والمجون .

كانت حلب مقرا لسيف الدولة وكان بلاط سيف الدولة منتدى للشعراء والعلماء منهم ابو نواس والسري الرفاء وابي نباتة السعدي ومن العلماء الفارابي وابن خالوية وغيرهم ولكن اسم سيف الدولة وبلاط سيف الدولة اقترن باسم شاعر اخر ذلك الشاعر المادح الصادح والهجاء اللاذع والعبقري المحتال الذي احترف صناعة الشعر وبيعه المتكبر الهمة المعذب النفس ذلك هو ابو الطيب المتنبىء القائل عن نفسه :

وفؤادي من الملوك وان
كان لساني يرى من الشعراء

كان يدخل علي سيف الدولة متأبطا سيفه ولا يقول الشعر الا وهو جالس ثم انه كان كثير الحديث عن نفسه وكان يأخذ مكانه وسط الشعراء والندماء الحانقين عليه الواشين به عند الامير وتمثلته وهو ينشد قصيدته المعروفة واحر قلباه :

حتى اذا اتى قوله :

ان كان سركم ما قال حاسدنا
فما لجرح اذا ارضاكم الم

ربما كان يشير الى ابي فراس او ابن خالوية وكان الاخير قد شج رأسه بدواءه وتحرك سيف الدولة وأمر له بكذا الف دينار ربما كان معتذرا عما صدر من بعضهم ولكن المتنبي ادرك ان الوشاة تمكنوا من

قلب الامير واوغروا صدره عليه فترك سيف الدولة وبلاطه بعد ان عاش فيه ما يقرب من عشرة اعوام تركه وترك التاريخ يردد قوله ابي اسحق الغزي :

لولا ابو الطيب الكندي ما امتلأت
مسامع الناس من مدح ابن حمدان

كانت هذه الصورة والذكريات الادبية تزحم على نفسي وخاطري ونحن نتحرك من الفندق لتقلنا الطائرة الى حلب وصوت المتنبي يرن في اذني ويشجي مسمعي : —

كلما رحبت بنـــا الـــروض قلنـــا
حلب قصدنـــا وانت السبيـــــل

وركبنا الجو على متن طائرة خاصة وتقدمت زهـــرة يانعة ريانـــة فواحة ترحب بنا والطائرة تسمو في الفضاء تلك كانت المضيفة الساحرة واشرأبت اعناق وخفقت قلوب وكانت عيون القوم تحفها بنظرات عارمة جائعة منهومة بالحسن تتبعه وحتى الذين شابت نواصيهم وكنا كثـــر تحركوا مرسلين الزفرات والانات .

ولعلها هي شبيهة الفتاة العطبول التي عناها المتنبي ترى لو كـــان المتنبي يمتطي الجو مثلنا هل كان يشبه تلك الفتاة بالشمس المحرقةالتي صحبته وغيرت لونه ام كان يقول فيها شيـــئا اخر . على اي حال بالرغم من بعد الزمان فقد كان المتنبي شاهدنا ورفيقنا تمثلنا به مرارا .

كانت تلك الفتاة العربية مثار حديثنا وتعليقاتنا وكان احد الشبان لم يستطع ان يعبر عن اعجابه الا بلغة الشباب والعصر السياسية فوقف وهتـــف :

سوريا سوريا تحيا سوريا

ولم يفطن الى دعابته الا القليل منا وكان مولانا الشيخ علي عبد الرحمن بطريقته البارعة اللطيفة يحدثنا عن الجمال العربـي ويفيض في الحديث ويستشهد بكثير من آيات الشعر وكان شيخ منا لا يفتأ ينادي المضيفة ويطلب كوبا اثر كوب من الشاي حتـى بلغت خمسـة اكواب وكأنه يردد مع المتنبي قوله :

زودينا من حسن وجهـك ما دام
فحسـن الوجـوه حـال تحـول
وصلينـا نصلـك في هذه الدنيا
فـان المقام فيهـا قليـل

وكنا نريد للرحلة ان تطول فلجمال المرأة سلطـان رقيق يسترق ولكن في غير قسوة وهو على اي حال مفتاح للنفاذ لشخصيتها ولكن الجمال في هذا العصر عدة عناصر ليس بالجسد وحده كما كانوا ينظرون اليها متاعا وزينة فوضعوها في الاسر ولفوها في الحجاب وابعدوها من المجتمع ووقفوا ينشدون :

كتب المـوت والقتـال علينـا
وعلـى الغانيـات جـر الزيـول

اما اليوم فقد تبدل الحال وفرضت الحقيقة نفسها وظهرت المرأة في حسنها وجمالها الروحي والجسدي تسهم في البناء وفي كـل اسباب النشاط الاجتماعي ولم تعد كما وصفها ابن ابي ربيعة

ما لي شردت مع الجمال والحسن

ولنعد الى ارض الشهباء حيث استقبلنا استقبالا حارا رائعا رسميا وشعبيا واعد لنا برنامج حافل في صبيحة اليـوم وغادرنا حلب ونحـن متأثرون بحرارة اللقاء وحسن الوفادة لا كما غادرها ابو الطيب المتنبي

الى انطاكية .

غادرناها بالسيارات لتكملة بقية البرنامج ولنلتقي في اجتماع شعبي ضخم بالعمال والفلاحين في أدلب اعد لاستقبالنا وفي مقصف جبل الاربعين ضاحية أدلب تناولنا الغداء ثم واصلنا السير الى حماه وحمص ودمشق لننهي بذلك زيارتنا لسوريا الحبيبة .

غادرنا سوريا وكانت زيارتنا لها فرصة طيبة سعيدة كشفت لنا القناع عن الكثير مما يجري في تلك البلاد الشقيقة وكنا نسمع كثيرا من جزاف الكلام والقول عنها بعيدا عن الحقيقة وكنت استمع الى زميلي عمر مصطفى وهو يناقش بعضا من اقطاب حزب البعث في خلوتنا مناقشات حادة حامية في بعض الاحيان واشهد انهم كانوا يردون في كثير من الثقة والاطمئنان على اسئلتنا وتولدت بيننا وبينهم مودة تجددت عند لقائنا بوفدهم في الجزائر وكنا نلاحظ ما بهم من حساسية ضد جمال عبد الناصر ومصر يبدونها نتيجة لبعض اخطاء ادارة الحكم الوحدوي وكنا نقول لهم حذار ان تتكرر مأساة العراق في عهد عبد الكريم قاسم وموقفه العدائي من مصر وجمال عبد الناصر ولكني على يقين بان الثوار عندما يلتقون في حلبة المعركة ستزول الحساسية وستتشابك الايدي في سبيل الهدف السامي الكبير .

غادرنا سوريا وفي الذهن اشياء واشياء وانطباعات غنية عبر عنها عمر مصطفى تعبيرا صادقا في مقاله [1] في اخبار الاسبوع انقله بنصه :

« ارجو ان اتناول بالتعليق الوضع السياسي القائم هناك كما لمسته خلال زيارتنا القصيرة وخلال الاتصالات التي اتيحت لنا — وهو في بعض جوانبه قد يكون مكتملا تماما الا انني ارجو ان اعطي القارىء

---

١ ــ اخبار الاسبوع العدد ٤٨ بتاريخ ١٩٦٦/١١/٣

السوداني ولو صورة اجمالية عن الاوضاع في هذا البلد الشقيق والذي لا تصل اخباره الى بلادنا الا لماما .

الصورة التي تحاول وكالات الانباء والصحف الاستعمارية تثبيتها في الاذهان هي ان مجموعة من الشبان وصغار الضباط المغامرين قد استولوا على السلطة ولا يعرفون على وجه التحديد ماذا يفعلون ؟ انهم مجموعة معزولة تمزقها الخلافات الداخلية وتفقد الاتجاه السياسي تماما. فما نصيب هذا القول من الصحة ؟

لا شك ان الجمهورية السورية من البلدان العربية التي لم تذق طعم الاستقرار السياسي ابدا وهي في نظر الكثيرين قد استحقت عن جدارة ان تسمى بلد الانقلابات العسكرية ، فقد شهدت اكثر من عشرة انقلابات عسكرية في العشرين عاما الاخيرة منافسة في ذلك امريكا اللاتينية التي لم يشهد بعضها حكما مدنيا لعشرات السنين . ولكننا بالطبع لا يمكننا ان ننظر للانقلابات العسكرية في سوريا او اي بلد اخر نظرة مطلقة من حيث الرفض او القبول ولا يمكن ان نعزل ظاهرة الانقلابات عن تطور الاوضاع السياسية في سوريا خاصة بعد قيام الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨ .

فقد كانت الوحدة انعكاسا لعدد من الحقائق . كانت اولا انعكاسا للتأثير العميق للسياسة المصرية المعادية للاستعمار والداعية لوحدة النضال العربي وسياستها الداخلية الثائرة في طريق التقدم وكانت ثانيا انعكاسا لضعف الاحزاب الحاكمة في سوريا في ذلك الوقت وعجزها عن السير بسوريا عن طريق التقدم فكانت جماهير الشعب في سوريا ترى الوحدة سبيلها الوحيد للتقدم ويضاف الى هنا بالطبع الضغط الاستعماري الهائل الذي كانت سوريا تتعرض له في ذلك الحين والذين تشهده اليوم وبصورة اكثر فظاعة .

ولذلك قد رحب الشعب السوري بكافة اوساطه بالوحدة مع مصر ولم تتناقض الوحدة الا مع فئة قليلة من الرأسماليين كبار الملاك ورغم الاخطاء التي احاطت بالتجربة الا ان الشعب السوري لا يمكن ان ينسى ـ وقد لاحظت انه لا ينسى حتى الان ـ ان الاجراءات والتشريعات في الاشتراكية التي يجري تخطيطها اليوم قد بدأت اصلا في ظل الوحدة والاصلاح الزراعي وتأمين المؤسسات الانتاجية .

ولذلك من الصعب القول ان انقلاب سبتمبر ١٩٦١ الذي ادى الى الانفصال من مصر قد وجد ترحيبا من الشعب السوري وقد علمت من انه قوبل في اكثر الاوساط الشعبية بوجوم شديد خاصة وان الذين قاموا به طغمة معروفة بمواقفها اليمينية المتطرفة وكان اول ما قاموا به مثلا هو الغاء القرار الخاص بتأميم الشركة الخماسية واعادتها الى اصحابها وهي اكبر مؤسسة رأسمالية في سوريا حتى كبار الرسميين من كبار حزب البعث السوري يؤكدون هذه الحقيقة فقال لنا مثلا العقيد احمد امير قائد الجبهة المتاخمة لاسرائيل ان الانفصال كان نكسة شديدة وكان من الافضل لنا ان نظل فترة طويلة نعمل لتصحيح الاخطاء التي تعرضت لها تجربة الوحدة من ان نواجه نكسة شديدة ، وسمعت هذا القول من قادة آخرين وعلى هذا الضوء يجدر بنا ان ننظر الى الانقلاب العسكري الذي قام به حزب البعث في مارس ١٩٦٣ والمعروف في سوريا بثورة ٨ اذار . كان لا بد بالطبع لحزب البعث ان يضع في الاعتبار كل هذه الحقائق رغم الطبيعة الرجعية لعدد كبير في القيادة القديمة التي اشرفت على الانقلاب من امثال ميشيل عفلق وصلاح البيطار ومنيف الرزاز وعلاقتهم المعروفة بانقلاب ٨ شباط في العراق الذي ادى الى مذابح وسط الشيوعيين والقوى التقدمية مما لم يشهد لها العراق مثيلا ، وعقب وصول القيادة القومية لحزب البعث في السلطة في سوريا توجهوا الى

القاهرة حيث جرت المحادثات الثلاثية الشهيرة بين الرئيس جمال عبد الناصر وقادة البعث في كل من سوريا والعراق واتجهت قيادة حزب البعث في الداخل لاتخاذ عدد من التدابير الاشتراكية مثل اعادة تأميم المؤسسات الانتاجية وتأميم التجارة الخارجية وقرارات الاصلاح الزراعي الا ان هذه الاجراءات كانت تسير في بطء واضطراب شديدين كانت العناصر اليمينية تشد هذه الاجراءات للوراءوتتخذعلى احسن الفروض موقف عدم الجدية واللامبالاة .

في خلال‌ذلك كانت تنمو في داخل حزب البعث اتجاهات اخرى اكثر يسارية ومعظمها من عناصر الشباب . وهذه العناصر هي التي قامت بانقلاب فبراير الماضي الذي اطاح بحكومة امين الحافظ الممثلة للقيادة القومية . وقد قال لنا الدكتور يوسف زعين ان ثورة شباط (فبراير) قد قامت لازالة التناقضات داخل الحزب ولا شك انه يقصد التناقض بين الجناح اليميني والجناح اليساري الذي يطغى عليه عنصر الشباب بصورة تثير الانتباه . فالدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة والامين العام للحزب في السادسة والثلاثين والدكتور يوسف زعين في الخامسة والثلاثين والدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء في الثامنة والثلاثين ولم اقابل من قادة الحزب الا عدد قليل من وصلوا سن الاربعين وقد اشيع عن نظام الحكم القائم في سوريا انه نظام موالي للصين وقبل انقلاب شباط كان يكمن وراءه هذا الاتجاه وكان يهدف الى ازاحة حكومة امين الحافظ التي تميل الى تعاون اوثق مع الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفييتي ولكن لم اجد ادلة كافية تدعم هذا القول فعلاقة النظام القائم في سوريا مع الجمهورية العربية المتحدة في طريق التعاون رغم ما يشوبها من تحفظ واضح لا شك انه سيتحول مع عامل الزمن ومن الناحية الاخرى فان علاقة النظام مع الاتحاد السوفييتي قوية

جدا وليس ادل على ذلك من الاتفاق الاخير الذي سوف يبني الاتحاد السوفييتي بموجبه سد نهر الفرات فقد لاحظت عددا من الحالات يدفع فيها الاتحاد السوفييتي ٦٠ مليونا كقرض طويل الاجل بينما بنيت مصفاة البترول الضخمة في حلب والوحيدة من نوعها في الشرق الاوسط بمساعدة تشيكوسلوفاكيا وتجد اشكال مختلفة من التعاون مع الدول الاشتراكية الاخرى وقال لي الاستاذ حديثي مراد من كبار قادة حزب البعث عندما سألته عن علاقاتهم التجارية مع الصين . « اننا معجبون جدا بالصين ولكن العلاقات التجارية لا تخضع للعوامل العاطفية وانما للمصلحة الاقتصادية وحدها ، ومعظم ما نحتاج اليه لا نجده عند جمهورية الصين الشعبية» .

وفي محافظة ادلب اقيم اجتماع شعبي كبير خطب فيه احد قادة المزارعين واستشهد بالرئيس الصيني ماوتسي تونج ولكني على وجه العموم لاحظت ان الكتب الماركسية متوفرة في الاسواق بكميات هائلة من مختلف البلدان الاشتراكية وقال لي احد قادة الحزب الشيوعي ان اعضاء حزب البعث يقبلون على دراسة النظرية الماركسية وبعضهم يعقدون لها حلقات في النقاش وقد فاقوا الشيوعيين في ذلك احيانا كما قال لي قادة حزب البعث ان النظرية الماركسية ربما كانت مطبقة في سوريا بنسبة ٤٠ بالمئة .

ما هي علاقة حزب البعث بالقوى التقدمية ؟

هذا موضوع كبير ، ربما سبب الكثير من الحساسية لدى قادة حزب البعث ولكنه يكتسب في الظروف الحالية درجة قصوى من الاهمية هذه الظروف يمكن اجمالها في :

التآمر الاستعماري الواسع الذي يجري الان في المنطقة العربية ضد الجمهورية السورية والذي تنفذه كل من اسرائيل والاردن

والسعوديــة وهذه البلاد الثلاثة يجري تسليحها من جانب الاستعمار بصورة هائلة جدا وبما يقدر بالاف الملاييــن من الجنيهــات لمحاصرة النظــم التقدميــة العربيــة ولاقامة ما يسمى بالحلف الاسلامي ، هذا بالاضافة الى الاعتمادات المخصصة للتجسس والتخريب وقد أشرت في رسالتي السابقة الى حديث الدكتور يوسف زعين لنا عندما اشار الــى مبلغ الف مليون دولار خصصت لمحاربة الشيوعية في العالم العربــــي باتفاق بيــن جونسون وفيصل خلال زيارة الاخير للولايات المتحــدة وقد فرضت هذه المؤامرة على سوريا وضعا شاذا وحصارا صعبا للغاية فليــس على حدودها مثلا بلد صديق واحد يمكــن ان تعتمد عليــه في حالة العدوان بل ان البلدان التي على حدودها هي بالضبط مصادر العدوان ــ الاردن والسعودية واسرائيل اما لبنان والعراق فان حكوماتها لا هي هنا ولا هناك ولا يمكن الاعتماد عليهما في شيء ان لم تكــن عاملا سلبيــا فالاعتماد الاول في حالة وقوع العدوان على سوريا هــو بالطبع الجمهورية العربيــة المتحدة التي ستواجه هي الاخرى موقفا صعبا للغاية في تلك الحالة مع وجود نسبة كبيرة من قواتها في اليمن ومع اهمية وجود قوات ضارية كافية في مصر نفسها لمواجهة كافــــة الاحتميلات التي تنشأ عن عدوان استعماري على سوريا .

وهكذا فان الموقف يبدو صعبا ومعقدا والحكومة السورية ترفع الان شعار حرب التحرير الشعبية ضد اسرائيل بوصفها الطريق الوحيد لاستعادة فلسطين وتدعو لهذا الشعار وتعمقه وسط الجماهير بصورة واسعة والذي يخشاه الانسان ان يؤدي الهاب الحماس الجماهيري بهذه الصورة للاستجابة غير المؤقتة توقيتا صحيحا لاستفزازات اسرائيل المستمرة على الحدود السورية ومن ثم ينجح الاستعمار في جر العرب الى معركة غير ناضجة تماما يمكن ان تؤدي الى نتائج سيئة للغايـــة كمـــا حدث مـــن قبل .

والحكومة السورية ترصد اليوم ٦٥ ٪ من الميزانية السنوية للدولة لمخصصات القوات المسلحة والدفاع ، وهذا كما قال الدكتور يوسف زعين مبلغ خيالي بالنسبة لبلد نامي يتطلع الى بناء حياة جديدة. ويبدو للمراقب ان هذه النسبة مبالغ فيها فعلا مع التقدير والفهم الكاملين للاوضاع الصعبة التي تحيط بسوريا . بيد ان هذه النسبة يمكن ان تنخفض انخفاضا كبيرا جدا لو اتخذت الحكومة السورية موقفا اكثر جرأة لتوسيع تعاونها مع الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي في المجال العسكري . ولا بد ان نلاحظ بالطبع ان القاعدة الاشتراكية للانتاج والتحسن المستمر في حياة الجماهير العاملة يجب ان لا يوضع بصورة متناقضة مع مقتضيات الدفاع الوطني .

والقضية الثانية هي قضية البناء الاشتراكي ويلاحظ الانسان جدية نظام الحكم القائم تجاه هذه القضية وفي نطاق الاصلاح الزراعي وضعت الحكومة يدها بالفعل على كل الاراضي المملوكة للاقطاعيين وكبار الملاك وقدرها ١٤٠. الف هكتار وقد وزع حتى الان على الفلاحين ٤٧ ٪ من هذه الاراضي وقال لنا الدكتور يوسف زعين ان عملية التوزيع سوف تكتمل ريثما تتم بعض الاجراءات التنظيمية مثل تكوين الجمعيات التعاونية للفلاحين المستفيدين من الاصلاح الزراعي .

وقد تم تأميم التجارة الخارجية تماما وتأميم كل المؤسسات الصناعية حتى الصغيرة نسبيا مما خلق للحكومة كثيرا من المشاكل الادارية (هذه وجهة نظر سمعتها من البعض) ومن هنا اعود للحديث عن موقف حزب البعث من القوى التقدمية على ضوء هاتين القضيتين .

ففي سوريا اليوم ثلاثة مجموعات تقدمية رئيسية البعثيون والناصريون والشيوعيون لا تكاد تختلف اختلافا يذكر في مواقفها من القضيتين الرئيسيتين المشار اليهما ومع هذا نجد ان حزب البعث يقف

موقفا متحفزا لا مبرر له اطلاقا تجاه الشيوعيين والناصريين وهـــذا الموقف يبدو لي متناقضا. ففي الوقت الذي يعترف فيــه حزب البعث بالشيوعيين والناصريين بل ويمثلهم في الوزارة (كأشخاص لا احزاب) فانه يرفض الاعتراف الرسمي بهم كتنظيمات سياسية قائمة تتمتع بتأييد شعبي لا يمكن انكاره بحال من الاحوال وبلغت حساسية حزب البعث تجاه الشيوعيين والناصريين حدا بعيدا وقـــد سمعت اثناء وجودي في سوريا قصة ادهشتني وهي انه عندما قام سليــم حاطوم بمؤامرتـــه للاطاحة بالحكومة السورية في سبتمبر الماضياصدر الحزب الشيوعي السوري بيانا وزع بصورة علنية وعلى نطاق يدعـــو جماهير الشعب للوقوف صفا واحدا ضد المؤامرة والدفاع عن الحكومة القائمة . ورغم ذلك تقول القصة ان الحكومة قد عاتبت قادة الحزب الشيوعي لاصدار البيان بتلك الصورة العلنية وكانت حجة حزب البعث في ذلـك انهم لا يريدون ان يعطوا الرجعية مبررا لتصف الحكومة القائمة بانها حكومة شيوعية ــ الى هذا الحد وصلت الحساسية ووصل التحفظ .

والواقع ان هذا الموقف كما لاحظت يلحق ضررا بالوحدة الثورية التي تشكل حجر الزاوية في احباط المؤامرة الرجعية وتوحيد الشعب في قضية بناء الاقتصاد الوطني ولاضرب لذلك مثلين : ــ

في كثير من المؤسسات الانتاجية المؤممة تواجه الحكومة نقصا في الكادر الاقتصادي والاداري وأثر هذا تأثيرا سلبيا على فعالية وانتاجية المؤسسات والسبب هو ان الحكومة تميل ميلا واضحا الى اسنـــاد المسئوليات الى اعضاء حزب البعث دون غيرهم من الثوريين الاخرين .

مثال اخر : فتحت الحكومة قبل اسابيع مراكز للتجنيد في المدن لتكوين جيش شعبي لمواجهة المؤامرة الاستعمارية على سوريا وكـان واضحا ان الذين سجلوا في مدينة دمشق كان قليلا جدا اذ ان المعروف

تنظيم حزب البعث في دمشق ليس تنظيما واسعا ، بينما كان التسجيل على عكس ذلك في مناطق نفوذ حزب البعث . وهذا لا يدل على عزوف جماهير الشعب السوري عن الدفاع عن وطنها ولكنه دليل على ان المواقف المتشككة تولد بدورها الشك في الجانب الاخر وتكون الضحية هي سوريا كلها .

والتناقض يبدو لي واضحا عندما تنظر الى الموقف السليم الذي يتخذه حزب البعث في قضية وحدة القوى الثورية في العالم العربي ، وهو موقف لمسناه في كل مكان زرناه خاصة في المحافظات الشمالية حيث تجمع الوفمؤلفة من الناس لاستقبالنا بالهتاف والطبول والرقص. ويسأل الانسان : لماذا يتخذ حزب البعث هذا الموقف المليء بالحرارة والحماس والصدق تجاه القوى الثورية العربية ، ثم هذا الموقف المتحيز تجاه خلق جبهة ثورية واسعة متماسكة في داخل سوريا ؟.

ان الانسان يستطيع بالطبع ان يقدر الحساسيات المترتبة من الماضي القريب ومن التاريخ الملتهب والمتفجر لسوريا ، وان يقدر ان كل شيء لا يأتي بضربة واحدة ـ كل هذا صحيح ـ ولكن الاوضاع المحيطة بسوريا اليوم لا تترك مجالا للانتظار والتأمل . وفي اعتقادي ان الخطر الاول الذي يهدد سوريا لا يكمن فقط في المؤامرة القادمة من الخارج وانما يكمن ايضا في الشروخ الموجودة في الجبهة الداخلية والتي لن تقف شامخة جبارة الا بموقف جريء وواضح من جانب حزب البعث تجاه القوى الثورية الاخرى موقف الاعتراف الرسمي والصريح بالحزب الشيوعي والجبهة الناصرية وتكوين حكومة جبهة ثورية من هذه القوى الثلاث وان تنعكس هذه الجبهة ايضا على تنظيمات العمال والفلاحين والمثقفين والضباط والجنود والحرس القومي ، هذه التنظيمات التي لاحظت ايضا ان طابع حزب البعث يغلب عليها مما يزيد من اضعاف الوحدة الداخلية » .

وعندما رجعنا الى بلادنا ارسلت البرقية الاتية للدكتور نور الدين الاتاسي رأس الدولة والامين العام لحزب البعث الاشتراكي العربي في سوريا نيابة عن الوفد جاء فيها : —

« الان وقد عدنا الى السودان بعد زيارتنا الى سوريا الشقيقة الحبيبة ارجو ان اشكركم والشعب العربي السوري نيابة عن الوفد السوداني اجزل الشكر لما قدمتموه من اكرام وتكريم ولما لقيناه من حفاوة عربية اصيلة .

انها كانت فرصة سعيدة للقائكم والتعرف على منجزاتكم ونتطلع الى لقاءات اخرى وعلائق اقوى وامتن لاحباط مؤامرات الرجعية العربية والصهيونية والاستعمار ولتدعيم وتحقيق التضامن العربي تحت ظل الاشتراكية .

والمجد والخلود للشعب العربي ودمتم »

انتهت زيارتنا لدمشق وعدنا الى القاهرة صباح الجمعة ٢١ اكتوبر عام ١٩٦٦ وكنت تواقا للاشتراك مع بعض اعضاء وفد القوى التقدمية في ندوة افريقيا التي نظمتها مجلة الطليعة القاهرية بالتعاون مع مجلة قضايا السلم والحرية والاشتراكية ولكني لم استطع ان اقاوم رغبة ملحة في الرجوع الى السودان فقد كان قلبي يحدثني بان اسرع بالعودة وقد اطلعت فوزي التوم وعمر مصطفى وكنا ننزل معا في فندق في القاهرة وامام اصراري وافقا على رجوعي .

عدت الى الخرطوم فجر الاثنين ٢٤ اكتوبر نفس موعد انعقاد ندوة افريقيا ولم يكذبني قلبي وعدت لاجد الرجل الذي احببته وتأثرت به وظللت مدينا له طوال حياتي وجدته طريح فراش الموت وقدر لي ان

اكون بجانبه في ساعاته الاخيرة حتى فارق الحياة مساء الثلاثاء ٢٥ اكتوبر كان ذلك الفقيد عمر الريح المهندس .

طوقني بقيد من الاحسان ومن وجد الانسان قيدا تقيدا ولدت في بيته وعشت في كنفه وتعرفت على اصدقائه واخيه البدري الريح في فترة هامة من تاريخ البلاد وكان ذلك بعد عام ١٩٢٤ حيث كانوا يلقوننا ان نهتف ولم اكن قد بلغت الرابعة من عمري « السجن ما يهمنا سعد باشا عمنا » .

كانت تلك نظرتهم الى الكفاح مع مصر كفاح طبقـــة جديدة في السودان وقفت بجانب زميلتها وكان سعد باشا عقلها ولسانها في مصر .

وعندما ضيقت الادارة الاستعمارية الخناق على البلاد وشددت من قبضتها عكف ممثلو تلك الطبقة مـــن الخريجين يلتهمون الكتب الافرنجية وهي تحدثهم عن الحرية والمساواة وكانت الحيرة تتملكهم ولم يستطيعوا ان يدركوا كيف يستبعد الناس دعاة تلك الثقافة وكانوا وهم في تلك الحيرة يقرأون الكتب العربية ويتنقلون في نفائسها ورياضها علها تساعدهم في الخروج من تلك الحيرة وقامت الندوات الادبية في البيوت والدور الخاصة وكان في الحقيقة ما يجري في السودان انعكاس للحركة الادبية في مصر حيث ظهرت في مصر حركة عقلانية عقب الحرب العالمية الاولى واخرى تنادي بالرجوع الى التراث العربي .

في منزل الفقيد تفتحت عيوننا على مثل تلك الندوات وعلى مكتبته لنرى ساعات بين الكتب للعقاد والايام لطه حسين وجان جاك روســو لهيكل وحتى كتاب لينين «الدولة والثورة» كنا نجده في مكتبته مترجما الى العربية هذا بعض ما اذكره من الكتب التي لم اكد استوعب غــير اسمها واسم مؤلفها . وهكذا نشأنا في هذا الجو العطر وشهدنا كثيرا من الحوادث التاريخية آنذاك في منزل الفقيد .

لقد ظللت مدينا له بالكثير من حياتي فيما بعد وكان علي ان ابكيه بدمع ذارف وان ابكي ايامنا معه وانسه وحسن معشره واريناه الثرى ووقفت على قبره وانا اردد قول الشاعر الذي وقف يرثي معن بن زائده:

فيـــا قبر معـــن انت اول حفــرة
من الارض خطت للسماحة موضعا

ويا قبر معن كيـــف واريت جوده
وقد كان منه الارض والبحر مترعا

---

١ ـ اخبار الاسبوع العدد ٤٨ بتاريخ ٣ـ١ـ١٩٦٦

ندوة الاشتراكين العرب في الجزائر

١٢ – ٢٨ مايو ١٩٦٧

في مارس عام ١٩٦٧ قدم الى الخرطوم السيد محمد الميلي مدير تحرير مجلة المجاهد الجزائرية وأحد الشخصيات البارزة هناك قدم للاتصال بالاشتراكيين في السودان وليناقشهم في عقد ندوة حرة مفتوحة للاشتراكيين حول قضايا ومشاكل التطبيق الاشتراكي ووحدة القوى الثورية العربية ومواجهتها لقوى الاستعمار والرجعية العربية .

كانت الحاجة ملحة لعقد مثل تلك الندوة الامر الذي اثار حوارا ومناقشة صريحة واضحة في الصحف المصرية السباقة قبل زمن اشترك فيها كبار الكتّاب الاشتراكيين حول وحدة القوى الثورية ذاتها وهل هي وحدة تكتيكية ام استراتيجية وما يجب ان يكون عليه شكل تلك الوحدة وهل يكون تنظيمها واحدا ام جبهة ام شكل اخر . وسارع الرئيس هواري بومدين فشكل لجنة تحضيرية برئاسة الاخضر الابراهيمي سفير الجزائر في القاهرة وعضوية كل من محمد الميلي مدير تحرير مجلة المجاهد وعبد الله شريط الاستاذ بجامعة الجزائر واخذت اللجنة تعمل جاهدة وسافر اعضاؤها الى القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت والخرطوم وغيرها من العواصم في الوطن العربي .

وبعد ان انتهت زيارة اعضاء اللجنة التحضيرية للعواصم العربية اعلن السيد الاخضر الابراهيمي بانه « بعد بحث طويل وتبادل الرأي مع الكثير من الاخوان في الوطن استقر الرأي على انه من المستحسن في هذه المرحلة ان يكون اللقاء من الناحية الشكلية على اساس الدعوة

الشخصية لاعتبارات عملية منها عدد المشتركين الذين يجب ان يبقى محدودا حتى يمكن ان يكون النقاش مجديا بالاضافة الى ان بعض الدعوات سيوجه الى اشخاص مستقلين لا ينتمون الى منظمات قائمة» .

وهيأ لنا السيد عابدين اسماعيل في داره العامرة لقاء مع السيد الميلي شرح فيه السيد الميلي فكرة الندوة وقد وجدت استجابة عظيمة لدى الحاضرين وكان السودان قد طبق وحدة القوى الاشتراكية في المسيرة الكبرى التي سيرها الاشتراكيون مساء الخميس ١٨-٩-٦٦ تأييدا للجمهورية العربية المتحدة والرئيس جمال عبد الناصر دعموها بوفد سافر الى مصر وسوريا باسم القوى التقدمية في اكتوبر ١٩٦٦ .

حدد للندوة صباح الاثنين١٣ صفر ١٣٨٧ الموافق ٢٢ مايو ١٩٦٧.

كان الوفد السوداني يتكون من السادة د. عز الدين علي عامر وامين الشبلي وفاروق ابو عيسى وعمر مصطفى ومحمد ابراهيم نقد وشخصي ولحق بنا في الجزائر السيد عبد الخالق محجوب بناء على رغبة شخصية من الرئيس بومدين كما اعتذر السادة علي عبد الرحمن والشفيع احمد الشيخ وعابدين اسماعيل .

ومن القاهرة تحركت بنا الطائرة الخاصة بعد ظهر السبت ٢٠ مايو وهي تقل نخبة ممتازة من الاشتراكيين العرب يقرب عددهم من الثمانين من الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا وفلسطين والسعودية والكويت ولبنان والخليج العربي والمغرب وجنوب اليمن المحتل والاردن واليمن والسودان .

وبعد رحلة لا اقول مريحة فالسفر قطعة من جهنم سواء اكان على ظهر وجناء حرف او جرداء قيدود او اذا اسرجنا الريح وسناها اللجام او حتى اذا ركبنا البيوت كما تنبأ الشيخ فرح ودتكتوك مشيرا الى القطار . وهبطنا مطار الجزائر .

والتقت جميع الوفود بمستقبليهم في قاعة المطار وسارع رجال الصحافة والاعلام يطلبون من بعض المؤتمرين ان يدلوا بتصريحات حول الندوة والآمال التي يعقدها الشعب العربي على تلك الندوة وكنا نحن السودانيين كعادتنا نقف كتلة واحدة مع بعض في كثير من التهيب والحياء والانطوائية التي يتسم بها الخلق السوداني واقبل احد الصحفيين ومعه عدد من المصورين واشار اليّ دون الاخرين وطلب مني ان ادلي بحديث عن الندوة .

وقلت في نفسي ولماذا انا بالذات ؟

بالطبع انه استدل علي بذلك الضوء الذي تشعشع في سواد ذوائبي كما يقول الشريف الرضى وامد الله من عمر استاذنا احمد محمد صالح حيث يقول وهو يخاطب الشيب :

انت يا ابن النور مرآك وان ضاء كئيب
انت في العين قذاها انت والله مريب

لقد كنت اكبرهم سنا .

فاروق ابوعيسى وعمر مصطفى ومحمد ابراهيم نقد ما زالوا في نضارة الشباب وريعانه اما امين الشبلي وعز الدين علي عامر فلي معهما شأن ..

والناس لماذا لا يرغبون في الشيب ويمقتونه منذ ان تبدأ طلائعه تعتلي الرؤوس ترى هل لانه خطام الدنيا ونذير الآخرة ؟

ان الانسان بطبعه يتوق الى الماضي الى الشباب الى الحيوية والنشاط العضوي .

ولى الشباب حميده ايامه
لو كان ذلك يشترى او يرجع

وتحسرت مع جرير وهل يجدي التحسر ؟
وكان الغد

وخرجت علينا صحيفة الشعب الجزائرية صباح الاثنين ٢٢ مايو وعليها صورتي مع ستة من الاشتراكيين المؤتمرين من اليمين الى الشمال .

السيد عبد القوي مكاوي (الجنوب اليمني المحتل)
السيد كمال الدين رفعت (ج.ع.م.)
السيد كمال جنبلاط (لبنان)
السيد محسن صالح (سوريا)
السيد اياد سعيد ثابت (العراق)
السيد عبد الله الطريقي (الخبير العربي للبترول)
وتحت صورتي كتب (الشيخ علي عبد الرحمن) (السودان)

ويحهم ما هذه الدعابات انني ما زلت في السادسة والاربعين وشيخ علي يحبو الى السبعين من عمره ــ امد الله منه . ولا اخاله الا زكريا يدعو ربه :

« رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا »

شاركني في الغرفة في الفندق الفخم الذي بني حديثا في الضاحية محمد ابراهيم نقد وقد سعدت كثيرا بذلك فمن قبل شاركني عمر مصطفى في غرفة واحدة في الكونتيننتال بالقاهرة وفي فندق أميه في دمشق وكلاهما شاب بسيط وديع نذر نفسه لخدمة بلاده وكفي لا يكلف شططا من اي نوع وقد كنت اجد مع عمر مصطفى متعة حقيقية في تعليقاته «وقطيعته» اليس هو من ابناء بربر ؟

اما نقد زيادة على لطفه وحسن مجلسه امتعني بلون اخر فهو يغني

لنفسه ويطرب وكنت استمع لصوته العذب الرخيم وأسأل نفسي : هل ترنم في المزمار داوود ؟.

كان نقد يغني لحسن عطيه وعثمان الشفيع وحقيبة الفن .

آه فقد اهاج ذاكرتي وبي وجد مع الذكرى يعود وويح الشيخ حينما تعبث به الذكريات كما يقول استاذنا حسن نجليه .

أعد مبنى نادي الصنوبر ليكون مقرا لذلك اللقاء التاريخي وسمي نادي الصنوبر لما يحف به ويزينه من شجر الصنوبر الطويل الساق فله رواء وماله ثمر ونادي الصنوبر بني على الطراز العربي الانيق وقد كلف بناؤه ملايين من الجنيهات يطل على البحر وتحف به فيلات صغيرة تتناثر وتنتشر كالكواكب لامعات يكدن يضئن للساري الظلاما اعدت هذه الفيلات للملوك والرؤساء لمؤتمر القمة . في ذلك المبنى وصباح الاحد ٢١ مايو عقد المؤتمرون جلسة سرية للاتفاق على جدول الاعمال وتنظيم سير الجلسات وكانت الاجندة المقترحة تشتمل على مناقشة القضايا التالية : ـ

١ ـ تحريرالاقطار المحتلة واسلوب الكفاح ضد الاستعمار المباشر
٢ ـ الكفاح ضد الاستعمار الجديد في الاقطار الخاضعة للانظمة الرجعية
٣ ـ تقييم التجربة في الاقطار ذات الانظمة التقدمية
٤ ـ وحدة القوى التقدمية والتنسيق بينها على مختلف المستويات
٥ ـ الاشتراكية والوحدة
٦ ـ مفهوم الديمقراطية ومشاكل التنظيمات الشعبية
٧ ـ التخطيط الاقتصادي على المستوى القومي وعلى المستوى القطري
٨ ـ التوازن بين الزراعة والصناعة

٩ ــ دور القطاع العام في التنمية الاقتصادية
١٠ ــ العلاقات الاقتصادية الخارجية للبلدان العربية
١١ ــ النفط في الوطن العربي
١٢ ــ الاشتراكية والبناء الثقافي .

اتسمت الجلسة السرية بالتوتر والحذر فقد كان المشتركون في الندوة بالرغم من انهم اشتراكيون الا انهم كانوا يمثلون جبهات متعددة متناثرة وكان بعضهم ينادي منذ البداية باستبعاد الشيوعيين العرب من حظيرة الوحدة وكانت ثمة مناقشات حادة في هذا السبيل اثارتها الصحف المصرية قبل انعقاد الندوة ولكن بالرغم من جو التوتر والحساسية وروح العداء للشيوعية فقد كان الموقف العربي مشحونا باحتمالات الالتهاب في الشرق الاوسط وردود الفعل العنيفةفي الوطن العربي والمجال الدولي مما خفف من حدة الاختلاف وحفز اعضاء الندوة للشعور التضامني .

وأقر جدول الاعمال .

وفي الساعة الرابعة والنصف مساء الاثنين ٢٢ مايو اعتلى المنصة الرئيس بومدين مفتتحا اللقاء التاريخي والقى خطابا ضافيا [١] .

حضر جلسة الافتتاح اعضاء مجلس الثورة الجزائري والحكومة وعدد من المراقبين الاجانب الذين قدموا لمتابعة الندوة وجلس على كرسي الرئاسة السيد كمال جنبلاط .

تطورت الحوادث تطورا سريعا رهيبا في منطقة الشرق الاوسط من جراء تهديد اسرائيل بالعدوان على سوريا وتحركات قواتها ومصر تعبىء قواتها الاحتياطية وسيطرت على خليج العقبة والولايات المتحدة الامريكية توجه انذارا للقاهرة بالتخلي عن خليج العقبة وتبعت ذلك

---

(١) ملحق رقم (٧)

بتحركات الاسطول الامريكي السادس نحو شاطىء البحر الابيض المتوسط الشرقية وبريطانيا تعلن حالة الطوارىء في قاعدتها في قبرص .

وفي وسط هذا الجو الملتهب ، عقدت ندوة الاشتراكيين العرب جلستها الاولى حيث قرر المؤتمرون اول ما قرروه توجيه نداء حول الموقف في الوطن العربي اختيرت لوضعه وصياغته لجنة تتكون من السادة : احمد بهاء الدين (مصر) وكمال جنبلاط (لبنان) ومحمد اليازجي (المغرب) ومقررها الدكتور عز الدين علي عامر واثنين اخرين على ما اذكر . وقد كان من رأي اعضاء اللجنة ان يشمل البيان تصفية النفوذ الصهيوني في اسرائيل الا ان د. عز الدين علي عامر عارض هذا الرأي ونادى بتصفية الكيان الاسرائيلي وان تقوم دولة عربية تقدمية في فلسطين يتمتع شعب فلسطين بحقوقه الثابتة في اراضيه اما تصفية النفوذ الصهيوني في فلسطين معناه بقاء دولة اسرائيل كما هي مع احتمال بقاء شعوب واديان اخرى في داخلها . ان مجرد بقاء اسرائيل يهدد الثورة العربية مباشرة ويبقى على العرب ان يناضلوا بحزم ومع الجبهة الواسعة المناوئة للاستعمار العالمي لتهيئة الظروف المناسبة لتصفية ذلك الكيان . ورأي عز الدين هذا في اعتقادي هو رأي الحزب الشيوعي السوداني الذي سجله في دستوره .

وهذا نص البيان بعد ان اجازته الندوة : ـ

ان الاشتراكيين العرب ، وهم مجتمعون في ندوتهم الاولى في الجزائر ارض البطولات والتضحيات ، يعبرون عن موقفهم ويشاركون فيما يدور في الوطن العربي اليوم من احداث جسام تستهدف ضرب الثورة العربية وتهدد السلم في المنطقة وتزيد من حالة عدم الاستقرار الدولية .

ان المعركة المصيرية التي يخوضها الشعب العربي ضد وجود

وتعاظم العدوان الصهيوني الاستعماري اليـــوم تفرض على المناضلين العرب حالة تعبئة مستمرة . ولقد عبر الموقف الحازم للجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية حيال التحديات الاستفزازية التي قامت بها اسرائيل ، عن المبادرة الثوريـــة الواجبة لمواجهة الخطــر الاستعماري الموجه ضد القوى التقدمية العربية .

ان قوى الامبريالية العالمية قد راعها ما رأت من انطـــلاق قوى الثورة الاشتراكية الوحدوية في العالم العربي اذ اصبح منطقة صـــدام مباشر مع قوى الامبريالية والاستعمار قديمه وحديثه ....

.. وراعها ايضا .. ان هذه القوى تتخذ مضمونا اجتماعيا محددا لها وهو الاشتراكية ، ان تكون نظاما لحياتها وتطورها ..

وقد راعها ايضا انهيار محاولاتها المتعددة لتجميع قوى الرجعيــة العربية في المنطقة لضرب الثورة العربية . او رغبة الحكومات الرجعية العربية الى العودة في ظل التهديدات الاسرائيلية الى سياسة التجميــد والتمييع وفكرة مؤتمرات القمة ، بعد ان خرجت قضية فلسطـين الى مرحلة جديدة من مراحلها .

ان تلك القوى .....

.. قوى الامبريالية العالمية الممثلة في الارتباط بين مصالح امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية والصهيونية والرجعية العربية .. رأت ان تدخل ميدان المعركة دخولا سافرا ..

.. وارادت ان تتخذ لها هذه المرة النظام الثوري التقدمي فيها ... الجمهورية العربية السورية هدفا لعدوان أثيم ... وابتدأت تحـــرك اسرائيل ... القاعدة الاستعماريـــة في قلب الوطن العربي للتحـــرش بسوريـــا .

وكل تلك الاحداث تنبىء عن تجمع عدوانـي متجدد يضـم الامبريالية العالمية والصهيونية والرجعية في المنطقة لتوجه ضرباتها ضد مراكز القوى الاشتراكية لاسيما تلك التي في السلطة ... والتي تجابه اسرائيل وهي الجمهورية العربية المتحدة والجمهوريـة السورية .. اي انها حددت طبيعة المعركة بشكل واضح على انها معركة الاستعمار ضد الاشتراكية .

وعلى ذلك فان الاشتراكيين العرب يتجهون بهذا النداء الى كافة القوى العربية التقدمية والاشتراكية والوحدوية ممثلة في افرادهـا ومنظماتها السياسية والمهنية والعمالية والشعبية ان تعزز وحدتها وتدعم نضالها ضد هذه المؤامرة وتدخل المعركة بحزم وعزيمة وايمان .

.. والى كافة القوى العالمية التقدميـة والاحزاب والتنظيمـات الاشتراكية للمشاركة والتضامن في هذه المعركة المصيرية .

.. والى الانسان العربي والتنظيم العربي اينما كان ليخوض هذه المعركة الضارية حتى تصل الى نهايتها .. وهي الانتصار على الامبريالية والرجعية وتصفية الوجود الصهيوني .. والى القوى التقدمية والمنظمات الشعبية وخاصة العمال العرب في الدول المنتجة للبترول في الوطـن العربي .. اذا تحرك العدوان وبدأت المعركة .. ان تمنع تدفقه الى تلك الدول الباغية عن طريق مباشر او غير مباشر .

ان الاستعمار العالمي اذ يخوض معاركه العدوانية ضد الشعوب في جنوب اليمن وفيتنام وافريقيا وامريكا اللاتينية .. يدبر اليوم عدوانه الجديد على الوطن العربي بوصفه قوة ضاربة ورأس حربة لحركـة التحرر .

غير انه في غمرة الصراع العنيف والثورة الاجتماعية في العالـم

الثالث . ينسى قوة الشعب وينسى ان الشعـــوب هي صانعة التاريخ وصانعة المصير .

ان ندوة الاشتراكيين العرب تتوجه بالتحية للشعب العربي المناضل في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية السورية وهو يقف في خط النار مجابها الاستعمار والصهيونية في اصرار وبسالة ..

.. تؤيد كفاح الشعب الفلسطيني والعربي المسلح داخل الاراضي المحتلة كما تؤيد كفاح شعب جنوب اليمن المحتل .

وتشيد بموقف جمهوريتـــي الجزائر والعــراق اللتين اتخذتــا الاجراءات العملية لمساندة قضية الحق والتحرر والاشتراكية ..

.. وتؤيد قرار سحب قوات الطوارىء الدوليــة من الحـــدود المشتركة من غزة شمالا الى شرم الشيخ جنوبا باعتباره قرارا يدعم حقا مشروعا .

.. ونؤيد موقف حكومة الجمهورية العربية المتحدة في منع مرور اسرائيل في خليج العقبة .

.. وندين ما يسمى بالتحذير الامريكي بالتدخل الذي يؤدي الى زيادة التوتر ويكشف حقيقة ابعاد المؤامرة الاستعمارية .

ان الواقع يؤكد ان وحدة القوى التقدمية والاشتراكية في الوطن العربي هي طريق التحرر الكامل وسبيل انتصار قضية الاشتراكية على الارض العربية .

عاش نضال الشعب العربي »

بالمناسبة كان مندوب لفتح قد حضر مراقبا في الندوة وتبين لـــه رأي الحزب الشيوعي الذي عرضه عز الدين علي عامر . ومرت الايام وفي سبتمبر ١٩٦٨ حضر نفس المندوب الى السودان والتقى ببعـــض

اقطاب الحزب الشيوعي وأكد لهم ان الحـــل الذي يضعونـــه لقضية فلسطين هو قيام الدولة العربية التقدمية في فلسطين التي تضمن حقوق الاقليات متفقا مع رأي الحزب الشيوعي وطالب اقطاب الحزب الشيوعي بان ينشروا رأيهم هذا على نطاق اوسع .

وقد ارسل الرؤساء جمال عبـــد الناصر ونور الدين الاتاســـي وعبد الرحمن عارف رسائل تحايا وتأييد للندوة احتفظ دونها برسالـــة جمال عبد الناصر التي انقلها بنصها لاهميتها واثارتها لما يجب ان تتطرق اليه الندوة : ـــ

« ايها الاخوة ....

تنعقد ندوتكم التي تمثل حدثا فكريا ونضاليا بالغ الاهمية فـــي تاريخنا العربي المعاصر في ظروف يبلغ فيها الصراع بين قوى التحـــرر والتقدم على طريق الاشتراكيـــــة في وطننا العربي وبـــين الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والصهيونية العالمية والرجعية العربية مرحلة خطيرة تتسم بالمواجهة الصريحة المباشرة والشاملة على جميع المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .

وتأتي هذه المواجهة بعد ان استطاعت قوى التحرر والاشتراكية في وطننا العربي ان تكتسب مزيدا من القدرات المادية والمعنوية ومزيدا من الخبرات النضالية نظريا وعمليا وعمقت من الوعي بضرورة وحتمية وامكانية وحدة جميع القوى التقدمية العربية في خوض هـــذا الصراع المصيري كأساس لا بديل له من اجل انتصار قضية الحرية والاشتراكية والوحدة ككل لا يقبل التجزئة .

ان هذا التجاوب العميق والواسع النطاق والذي وقع خلال ايام محدودة بين جماهير الشعب في اجزاء الوطن العربي دون استثناء مشرقا ومغربا جنبا الى جنب مع قواها العسكرية في التصدي الحاسم للعدوان

الاسرائيلي الاستعماري قد اكد من جديد عمليا ان قضية وحدة القوى التقدمية العربية تطرح نفسها كمسئولية جوهرية عاجلة امام الفكر والعمل الثوريين في الوطن العربي .

وانني لاعلم ايها الاخوة .. ان هذه القضية الحيوية تحتل مركز الثقل من اهتمام ندوتكم هذه . ولن اشك في ان حواركم المفتوح والموضوعي بشأنها سوف يقدم مساهمة ايجابية في بناء هذه الوحدة .

وانكم لتعلمون ان موقف القاهرة (شعبا وتنظيما سياسيا وقيادة) واضح كل الوضوح في هذه القضية . واذا كان لي ان اعود هنا لرصد الخطوط الامامية في هذا المجال فهو التأكيد اولا على ان باب القاهرة مفتوح ودون تحفظ وبلا حدود لكل القوى الثورية التي تؤمن بالتحرر الكامل من الاستعمار بجميع اشكاله وبالنظام الاشتراكي التي تنتفي خلاله كل اوضاع استغلال الانسان للانسان وبالوحدة العربية بأوضاعها الديمقراطية ومضمونها التقدمي لصالح الطبقات الشعبية اولا واخيرا كمصير نابع من حركة التاريخ والارادة الحرة للشعوب العربية . وهو التأكيد ثانيا على ان الوحدة الثورية بين جميع القوى التقدمية والوطنية داخل كل بلد عربي تشق الطريق الواقعي والسليم للوحدة الثورية على مستوى الوطن العربي ككل. وهو التأكيد ثالثا على الظروف والاوضاع الخاصة بكل قطر عربي يجب ان تؤخذ دائما بعين التقدير والواجب واقعيا وعلميا دون ان تتخطاه بموجبات من الحماس العاطفي الذي قد يؤدي الى سلوك طريق المغامرة . وهو التأكيد رابعا على ان القوى التقدمية العربية هي في طبيعتها وموقفها جزء من القوى التقدمية في العالم الثالث وفي حركة التاريخ التقدمي الانساني لعالمنا المعاصر كله .

ايها الاخوة

ان ندوتكم تعني اول ما تعني ادارة الحوار الديمقراطي الاخوي

بين القوى التقدمية العربية على اختلاف اتجاهاتها ووجهات نظرهـــا وتجاربها في الاطار القومي وهو حوار لا يدور حول التجريدات وانما حول واقع حي ومتحرك ويموج ككل ظاهرة انسانيــة بالايجابــات والسلبيات . ومن هذا كان ان تعقدوا الزواج الصحي والمنتج بين الفكر والعمل في مناقشاتكم التي سوف تثـــري بلا شك الفكر الثـــوري والتجربة الثورية في وطننا العربي الامر الذي يعنـــي بدوره التراث الثوري الانساني العام .

هذا التراث الذي هو حصيلة كل الجهود الفكرية والعملية لشعوب العالم قاطبة في سعيها الدائب من اجل عالم متطهـــر من الاستعمـار والاستغلال والاستبداد والتخلف والعدوان .

لهذا كان التسلح بالشجاعة الفكرية والمنهـــج العلمي والرؤية الواضحة لابعاد الصراعات السياسية والاجتماعية لواقعنا الذي نريـد تغييره صياغة اشتراكية متفاعلة مع ظروفنا واوضاعنا وتراثنا الروحـي والنفسي ضرورة حياة وسلوك نضالي .

ولعلي لست في حاجة الى ان اؤكد لكم ان هذه الندوة تتيـــح فرصة ثمينة كي تتبادل القوى التقدمية الوطنيـــة (في اخوة وتواضع) خبرات بعضها البعض وفي الوقت نفسه تتعرف تعرفا اعمق على المشاكل والتحديات الخاصة بكل بلد من ناحية والعامة المشتركة بين جميـــع البلدان العربية من الناحية الاخرى وبذلك نستطيع ان نربط بين ما قد يبدو انه ظواهر جزئية اقليمية منفصلة وفي كل واحد وان نرى (الجزء) في ضوء الكل وان نضع في نفس الوقت خبرة الكل في خدمة كل جزء من اجزاء امتنا .

والحق ايها الاخوة .. ان انعقاد ندوتكم في الجزائر ارض البطولات الانسانية العظيمة .. ارض المليون شهيد .. وبفضل مبادرة الاخ المناضل

الرئيس هواري بومدين يعطي رمزا مجيدا لانتصار ارادة الانسان العربي وقدراته على ان يتخطى بوعي واصرار كل الصعاب من اجل التحرر والتقدم اكرر التقدم على طريق الاشتراكية ..

وعلى الرغم من المشاغل الخطيرة التي نواجهها اليوم والتي تحتم علي مسئولياتي التركيز عليها فانني اؤكد لكم اننا جميعا في الجمهورية العربية المتحدة تتتبع باهتمام ابحاث ومناقشات ندوتكم وذلك تقديرا منا بان جبهة الجهد الفكري لا تنفصل لحظة عن جبهة النضال العملي ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والصهيونية والرجعية العربية .

اتمنى لكم ايها الاخوة كل التوفيق .. وليكن جهدكم في رحاب شعب الجزائر العظيم خطوة ايجابية وفعالة على طريق النصر لامتنا العربية .

جمال عبد الناصر »

وقررت الندوة ارسال برقيات شكر للرؤساء هواري بومدين وجمال عبد الناصر ونور الدين الاتاسي وعبد الرحمن عارف كما ارسلت البرقية التالية للجنرال ديغول :

الى الجنرال ديغول : ـ

« يتشرف اعضاء الندوة الاشتراكية العربية الاولى بان يعبروا لكم عن قلقهم امام العراقيل الموضوعة في طريق معرفة الحقائق الكاملة بالنسبة لاختفاء صديقهم المهدي بن بركه وانهم اذ يأملون بان القضاء الفرنسي سوف يمارس مسؤوليته على اكمل وجه في هذا الموضوع الذي يهم جميع الشعوب العربية وكذلك شعوب العالم الثالث فانهم لواثقون انه تنفيذا للعهد الذي اعلنتموه باسم بلدكم العظيم سوف

تكشف الحقيقة الكاملة فيما يتعلق بمصير المهدي بن بركه وان المجرمين المتهمين باختطافه ايا كانوا سوف يلقون العقاب المثالي الذي يستحقوقه مع تقديرنا العظيم » .

كما بعثت ندوة الجزائر الاشتراكية الى رئيس المحكمة الفرنسية السيد بيرز بالبرقية التالية :

« ان الاشتراكيين العرب المجتمعين حاليا في الجزائر ليتشرفون بان يعبروا عن سخطهم للجريمة التي وقعت على ارض بلدكم ضد اخيهم المهدي بن بركه .

وانهم لينتظرون من القضاء الفرنسي ان يكشف الستار عن مصير هذا الزعيم الكبير للعالم الثالث وان يلقى جميع المتهمين العقاب الشديد والمثالي الذي يستحقونه » .

ناقشت الندوة موضوعات عديدة وبقيت اخرى لم يتمكن المؤتمرون من مناقشتها لضيق الوقت وبالرغم من ان بعضا من المتحدثين لم يستبينوا الاعمال ذات النتائج الثورية ومواجهتهم لما يجري في الوطن العربي من تحديات محلية وخارجية بل كان حديثهم منه النظري والمعمم والاجوف الفارغ الا ان بعضا من المناقشات كانت حية وعملية الامر الذي جعلنا نستبشر بكثير من الخير في لقاءات اخرى .

كانت الدعوة للاشتراك في الندوة على اساس شخصي وليست لمنظمات او لاحزاب ولكن كثيرا من المشتركين من البلد الواحد كانوا يعملون متضامنين وكنا نحن السودانيين نعمل كذلك في وفد واحد ونعقد اجتماعات متواصلة عقب كل جلسة لتقييم ما دار فيها واستعدادا للجلسة القادمة . واستطيع ان اقول بان الوفد السوداني استطاع ان يقدم مساهمة فعالة ذات طابع موضوعي في تقريب وجهات النظر في القضايا الجوهرية الامر الذيجعل الوفد يستحوذ على اعجاب بقيةالوفود.

كنا ندرك منذ البداية اهمية اتفاق القوى الثورية والتقائها ولذلك حرصنا على الا نثير نقاطا معينة تقود الى الاختلاف وفشل الندوة وفعلا علمنا ان بعض المؤتمرين كانوا ينوون اثارتها ومن بين تلك الموضوعات اعتقال بن بيلا .

ولم يكن اعتقال بن بيلا امر يسهل علينا او على اي اشتراكي اهماله وعدم الالتفات اليه بل ان عبد الخالق محجوب طلب من السيد محمد الميلي في الخرطوم ان يسمح للسودانيين بالاجتماع بالرئيس بومدين لمناقشته في اعتقال المناضل بن بيلا ففي ذلك التزام ادبي امام كل الثوريين السودانيين .

وخوفا من ان يستغل هذا الموضوع استغلالا ربما يثير مناقشات حادة ويطيح بالهدف الذي من اجله اجتمعنا في ارض البطولات اجرى عبد الخالق محجوب وعز الدين علي عامر اتصالات مع بعض المؤتمرين لاسيما مع الوفد المغربي بان لا يعرض موضوع بن بيلا للمناقشة في الندوة كذلك بالرغم من اشتراك بعض الشيوعيين العرب في الندوة الا انه كان هناك جو معاد للشيوعية ولم نكن نبغي الاشتراك في اي مناقشات مثل تلك ايضا الا ما قاله عمر مصطفى حينما هاجم احد المتحدثين الاحزاب الشيوعية وبالذات الحزب الشيوعي العراقي . تحدث عمر مصطفى عن القضايا الرئيسية التي تواجه الثورة العربية من تصفية الرجعية العربية ووضع اسس للتقدم والتطور الاجتماعي في الوطن العربي وعن الاستعمار الحديث والامريكاني وتغلغله بمختلف الطرق في الوطن العربي ثم ركز عمر على نغمة العداء للشيوعية فقال : ـ

« صحيح انه توجد خلافات فكرية بين الاحزاب الشيوعية والفصائل الثورية الاخرى في الوطن العربي غير ان تلك الخلافات لا تبرر باي حال من الاحوال رفع راية العداء للشيوعية لان الشيوعيين

عناصر امينة وجنود مخلصون في جيش الاشتراكية ومناهضة الرجعية والصهيونية ولا يمكن لمن يرفع تلك الراية الا ان يلتقي قصد او لم يقصد مع القوى الرجعية والاستعمار .

اننا لا نحاول ان تتغاضى او نهمل الاخطاء التي وقع فيها الرفاق الشيوعيون العرب .

انكم تذكرون ان الرفاق الشيوعيين العراقيين بعد ثورة تموز ١٩٥٨ كانوا يضعون شعارا مضادا للجمهورية العربية المتحدة وقادوا هجوما عنيفا على الرئيس جمال عبد الناصر ولا اذيع سرا ان ذكرت بان الحزب الشيوعي السوداني بعث برسالة اخوية للشيوعيين العراقيين يوضح رأيه لهم في ذلك الموقف وانه لم يرد بذلك التدخل في الشئون الداخلية للحزب الشيوعي العراقي فالرأي في الوحدة بين العراق ومصر امر لهم حقهم في تقريره الا انه يجب الا تنصرف الحركة الثورية العراقية من مهمتها الرئيسية وهي تصفية الرجعية العراقية وتصفية مواقع الاستعمار القديم والحديث .. واننا اشرنا في تلك الرسالة الى تجربتنا عام ١٩٥٥ عندما انضممنا للجبهة الاستقلالية ولكنا بسرعة صححنا ذلك الخطأ وركزنا هجومنا على الاستعمار البريطاني وتصفية مواقعه في البلاد .

وهذا يعني اننا اذا لاحظنا ان هناك خطأ مخالفا انتقدناه بوضوح وسعينا لاصلاحه مع رفاقنا الشيوعيين وهناك ايضا في الجانب الاخر الاعمال الموغلة في العداء للشيوعية والديمقراطية في العراق والحوادث الدموية التي وقعت في العراق في آذار عام ١٩٦٣ ضد الشيوعيين والحركة التقدمية والتي لا يزال العراق الشقيق يعاني منها ولم يشهد استقرارا الى اليوم» .

هذا ما قاله عمر مصطفى وهو يلقي ضوءا على موقف الحزب الشيوعي السوداني .

كانت هناك عوامل طيبة ساعدت في انجاح مهمتنا وذلك لان الحزب الشيوعي السوداني كان رأيه واضحا منذ البداية نحو اسرائيل ولم يتخذ اي اتجاه خاطىء في هذا السبيل كما ولم يكن طرفا في يوم من الايام في الاختلاف او الصراع بين الشيوعيين والفئات التقدمية الاخرى في الوطن العربي . مكنت هذه العوامل الوفد السوداني من ان يقترب كثيرا من مختلف الاوساط الموجودة في ندوة الجزائر دون حساسيات او عقد وتكوين الوفد السوداني نفسه يؤكد هذه الحقيقة فما كان كل اعضاء الوفد شيوعيين .

كان الوفد السوداني يجري اتصالات خارج القاعة بكل الوفود والتنسيق الواضح مع الوفد المصري. وكان لنشاط الاستاذ احمد حمروش (مصر) وعبد الخالق محجوب (السودان) وفؤاد الركابي (العراق) ومحسن ابراهيم (لبنان) اثر كبير في اذابة الجليد والوصول الى اتفاق جماعي حول القضايا الرئيسية خاصة وحدة القوى الثورية .

كان رأينا الذي بسطناه في المناقشات الجانبية مع الوفود هو التركيز على توحيد القوى الثورية في الوطن العربي وذلك بان يتخذ كل بلد طريقته الخاصة به في تكوين تنظيم واحد تلتقي تحت لوائه كل القوى الاشتراكية في ذلك البلد فلكل بلد عربي ظروفه الخاصة التي يخضع لها في اتخاذ التنظيم الذي يلائم تلك الظروف وكان وفدنا يشير بالذات الى ما كان يجري في العراق الممزق فلم يكن لدى اشقائنا العراقيين رأي واضح في توحيد قواهم الثورية من جراء ما لحق بالعراق من حوادث دامية منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وبعد ان يتم ذلك التنظيم الداخلي لكل بلد تشرع في اللقاء الكبير بين هاته التنظيمات لتصبح جبهة اشتراكية كبرى في الوطن العربي .

كان هناك رأي ايضا لدى بعض الوفود بان يكون للندوة جهاز

تنظيمي دائم وان تكون لها سكرتارية تتولى ادارة ذلك الجهاز ولكن كان لوفدنا رأي مختلف لذلك فقد تقدم د. عز الدين علي عامر باقتراح باصدار مجلة لمناقشة الافكار الاشتراكية المختلفة في الوطن العربي ولتصطرع فيها تلك الافكار والصراع الفكري بين الاشتراكيين امر ضروري وملح لان الاختلافات داخل هذه التنظيمات الثورية اختلافات ليست بالجوهرية بل يمكن حسمها في بوتقة ذلك الصراع الذي هو لازم لتدعيم العناصر الثورية الخيرة وكاشف للعناصر الرخوة المتسللة التي تتلهى بالحديث عن الاشتراكية دون الايمان بها هذه في رأينا افضل من ايجاد تنظيم اعلى دون قاعدة .

تم الاتفاق على اصدار المجلة بل ان الرئيس هواري بومدين في مقابلة لوفدنا ابدى استعداد بلاده للقيام بكل نفقات ومستلزمات المجلة وكان الرأي ان يتولى مكتب دائم ادارة المجلة يتكون من خمسة مندوبين ثلاثة يمثلون كلا من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والجزائر باعتبارهما بلادا ذات انظمة تقدمية ومندوبين من حزب الشغيلة المغربي والحزب الشيوعي السوداني الا ان السيد لبيب شقير (الجمهورية العربية المتحدة) اثار مرة اخرى الموضوع وعارض اشتراك عناصر شيوعية في ادارة المجلة واجرى اتصالات بان يقتصر المكتب على الثلاثة مندوبين فقط وفي التصويت فاز اقتراح الدكتور لبيب شقير .

ختمت الندوة جلساتها صباح الاحد ٢٨ مايو ببيان [٢] ختامي القاه الدكتور محسن ابراهيم (لبنان) .

كانت الندوة بحق بداية طيبة تحقق فيها الامل الذي كان يراود الثوريين العرب من ضرورة الالتقاء فقد ظلوا يتبادلون الحوار اسبوعا

---

(٢) ملحق رقم (٨)

كاملا صباح مساء في محاولة جادة للوصول الى فهم مشترك اكثر وضوحا وعمقا لقضايا الثورة العربية ولما يعزز التقاء القوى التقدمية العربية ويبني اسس وحدتها وقد قرر ان يكون اللقاء المقبل في دمشق ولولا نشوب الحرب مع اسرائيل لاصبح ميسورا ازالة الحواجز المفتعلة بين مختلف الفصائل الاشتراكية وبناء الجبهة الاشتراكية العربية .

لقد عبر الوزير العراقي السابق فؤاد الركابي عن حقيقة الندوة واهميتها بقوله :

« ان هذه الندوة هي اول ندوة من نوعها تعقد في تاريخ العرب الحديث حيث ضمت عناصر كبيرة من مختلف البلدان العربية يجمعهم الايمان بالاشتراكية طريقا للتقدم والتحرر العربيين وان مجرد التقاء هذه المجموعة من الاخوة العرب الاشتراكيين وقيامهم بدراسة ومناقشة اوضاعهم وظروف نضالهم الوطني سينتهي الى نتائج لا تخلو عن اهمية كبرى في مثل هذه الظروف الراهنة التي تمر بها الامة العربية .

لقد هيأت هذه الندوة بالفعل للاشتراكيين مجالا واسعا لدراسة مختلف التجارب العربية التي اختارت الطريق اللارأسمالي اسلوبا لبلوغ مرحلة التحول الاشتراكي كما هيأت الظروف القطرية المختلفة التي تواجه شعبنا العربي كل ساحة من ساحات معركة الوحدة ضد الرجعية والاستعمار والصهيونية » .

وانتقلنا الى مدينة الجزائر من الضاحية التي كنا نقيم فيها وامكننا مشاهدة المدينة العظيمة مدة ثلاثة ايام تجولنا فيها ونحن مفتونون بجمالها وروعتها مما ينطبق عليها قول ابن خفاجه الاندلسي وهو يخاطب الاندلس :

للــه دركم يــا اهل اندلس

مــاء وظــل وانهار واشجار

ماجنــة الخلد الا في دياركم

ولو تخيرت هذي كنت اختار

غادرنا الجزائر قبل ظهر الاربعاء ٣١ ــ ٥ ــ ٦٧ على طائرة خاصة والسنتنا تلهج بالشكر لحكومة وشعب الجزائر ومزيدا من اللقاءات .

اضواء علــى الندوة

شهد الندوة ثلاثة سفراء من البلاد العربية هم سفراء الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والســــودان كما حضر عدد من الدبلوماسيين كمراقبين .

اشترك ثلاثة سكرتيريون للاحزاب الشيوعية في البلاد العربية هم عبد الخالق محجوب (السودان) فؤاد نصار (الاردن) ونقولا الشاوي (لبنان) .

تقدم وفد السودان ببحثين احدهما عن مفهــوم الديمقراطيــــة ومشاكل التنظيمات قدمه محمد ابراهيم نقد والاخر عن وحدة القوى الثورية وقدم اكثر من خمسين بحثا ووثيقة في الندوة .

من الشخصيات التي اشتركت في الندوة :

ج.ع.م :

كمال الدين رفعت امين الدعوة والفكــر للاتحاد الاشتراكــــي والدكتور لبيب شقير وزير الاقتصاد والدكتــــور ابراهيم سعد الدين مدير معهد الدراسات الاشتراكية والدكتور عبد الرزاق حسن والدكتور محمد عجلان والدكتور محمد دويدار .

والصحفيون لطفي الخولي واحمد حمروش واحمد بهاء الدين وكامل زهيري ومحمد عوده و د. محمد انيس ومحمد سيد احمد وكان عبد المنعم الغزالي مسئولا عن جمع وطباعة الوثائق .

العراق :

فؤاد الركابي وزير الاعمار سابقا وخير الدين حسيب مدير بنك الاعمار سابقا وجلال الطلباني واياد سعيد ثابت .

سوريا :

مصطفى رستم عضو القيادة القطرية وسليمان الخش وزير التربية والتعليم وبدر الدين السباعي عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي .

الاردن :

شفيق ارشيدات رئيس المحامين العرب وعبد الله الريماوي وزير خارجية الاردن سابقا .

فلسطين :

الدكتور حيدر الشافي وخيري حماد وناجي علوش وشفيق الحوت .

لبنان :

كمال جنبلاط رئيس الحزب الاشتراكي ومحسن ابراهيم وبشير الداعوق ومالك الامين وكلوفيس مقصود .

كما اشترك عبد الله الطريقي الوزير السعودي الاسبق وخبير النفط المعروف .

الجزائر المضيفة :

عبد العزيز بوتفليقه وزير الخارجية والاخضر الابراهيمي ومحمد الميلي وعبد الله شريط اعضاء لجنة التحضير للندوة .

استقبل الرئيس هواري بومدين الاساتذة امين الشبلي وعز الدين علي عامر وعبد الخالق محجوب بناء على طلب الوفد السوداني وقد اتسمت المقابلة التي استغرقت زهاء الثلاثة ساعات بالود والروح الطيب حيث تحدث الرئيس الجزائري في كثير من الصراحة ورحابة الصدر عن الكثير من القضايا الهامة التي كانت تشغل الاذهان وتطرق الحديث عن اعتقال بن بيلا وكان المندوبون السودانيون يعبرون عن آراء مواطنيهم في السودان وتساؤلهم في اعتقال المناضل الاشتراكي احمد بن بيلا . ذكر الرئيس بوميدين في رده مختصرا عن تاريخ الثورة الجزائرية وكيف ان نوعا من التمجيد خلق حول بن بيلا مما جعله ينزلق في اتجاهات دكتاتورية فردية الامر الذي لم يكن يؤدي الى مصلحة الثورة الجزائرية ومسيرها في الطريق الاشتراكي وضرب مثلا لذلك ان بن بيلا أضر بسياسة التسيير الذاتي وأكد سيادته ان اعتقاله كان بناء على رغبة قادة الثورة وانه يعامل معاملة كريمة وان صحته جيدة .

نفى الرئيس الجزائري وجود معتقلين سياسيين الا عدد لا يتجاوز اصابع اليد وأكد ان هناك مسجونين سياسيين حوكموا بالفعل ومنهم من ينتظر المحاكمة وانه لا يمانع اذا اراد الوفد زيارتهم في السجن .

---

(١) ملحق رقم (٧) .
(٢) ملحق رقم (٨) .

حل الجمعية التأسيسية

وتمر الايام متثاقلة الخطى والحزبان الحاكمان ومعارضة الصادق وجبهة الميثاق لا تتفق او تختلف الا حول مصلحة ذاتية بعيدة كل البعد عن مصلحة البلاد .

وفي الجلسة رقم ٦٨ الدورة الثانية بتاريخ ٥ يوليو ٦٧ عـدل الدستور لتمد للجمعية التأسيسية من اجلها حتى ٢٩ فبراير عام ١٩٦٨ ولم يسمح لنا بالمناقشة فقد قيل لنا ان الحكومة والمعارضة اتفقتا على اجازة التعديل وفي التصويت وقفت كتلتنا ضد تعديل الدستور ومـد عمر الجمعية وهكذا كانوا يعبثون .

وفي هذه الدوامة ووسط لجة الفوضى السياسية اخذ بعـض النواب يوقعون على مد الجمعية التأسيسية فترة اخـرى ومناورات الدستور على اشدها بعد ان اجازت الجمعية مسودة الدستور لعـام ١٩٦٧ واخذ السيد الصادق المهدي زعيم المعارضة آنذاك يلوح بسحب الثقة من الحكومة ولعب الفار في عب الجماعة كما يقولون .

كانت كتلتنا البرلمانية تريد للجمعية ان تذهب بسرعة وقبـل ان تجيز الدستور ذلك الطوق الذي اريد ان يطبق به على عنق الشعب في محاولة للقضاء عليه والقائه جثة هامدة ليحلو لهم ان يرقصوا طربـا عليها وكانت احزاب الحكومة تفكر ايضا في وقف اطماع الصادق المهدي وقفل الطريق امامه من العودة الى الحكم .

وكان التفكير في حل الجمعية التأسيسية يشغل الاذهان حتى كانت

الفرصة مؤاتية حيث اهتدى الحزب الشيوعي الى ان الحل يكمن في استقالة اكثر من ثلث اعضاء الجمعية التأسيسية حتى لا تجد مسودة الدستور المقترحة ثلثي الاعضاء لاجازتها .

اتصل عز الدين علي عامر بالدكتور عبد الحليم محمد وناقش معه الاقتراح ووافق عبد الحليم فشبح الصادق وعودته للحكم تؤرق هؤلاء خاصة بعد ان اوقفت توقيعات مد اجل الجمعية التأسيسية وبدت للحكومة وانصارها ما كان ينادي به الصادق من تقويض لحكم البلاد دون رقابة برلمانية ــ ويعني لو نجح سحب الثقة من الحكومة ونجاحه كان مؤكدا فان سيادته سيحكم البلاد دون برلمان بعد انتهاء الجمعية التأسيسية في ٢٩ فبراير ٦٨ .

وظهر ذلك الرأي بانه المخرج الوحيد وهو ان تحل الجمعية التأسيسية بواسطة اعضائها انفسهم وقبل طرح سحب الثقة من الحكومة .

ووعد الدكتور عبد الحليم محمد بانه سينقل ذلك الرأي للسيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء .

واتسعت دائرة الاتصال في اليوم الثاني فقد قابل عز الدين علي عامر ومحجوب محمد صالح وعابدين اسماعيل قابلوا الشريف حسين الهندي وزير المالية في (استراحة مشروع الجزيرة) وعرضوا عليه كل شيء ووافق سيادته على الفور وتحمس للرأي وتحرك الجماعة بما فيهم الشريف حسين الهندي حيث قابلوا السيد محمد احمد محجوب وكان الدكتور عبد الحليم قد نقل اليه رأي حل الجمعية التأسيسية الذي عرضه عز الدين علي عامر . وافق السيد محمد احمد محجوب مبدئيا وقال ان ذلك هو رأيه بالفعل غير ان الامر يحتاج الى دراسة .

ثم اتصل الشريف حسين الهندي بالسيد ابراهيم حمد عضو

الهيئة البرلمانية للوطني الاتحادي ومراقب الجمعية التأسيسية وطلب منه ان يتلمس رأي نواب الوطني الاتحادي وسرعان ما اعد ابراهيم حمد كشفا دقيقا وافيا قسم فيه نواب الوطني الاتحادي الى ثلاثة اقسام : المتحمسون للحل والذين بين بين ولكن ممكن استمالتهم باغراءات مادية والمعارضون للحل .

وبجانب هذه المساعي لحل الجمعية التأسيسية اتفق على اللجوء أعلى عمل اخر وهو ان مد الجمعية التأسيسية لنفسها امر غير دستوري وان ترفع قضية دستورية يوقع عليها محجوب محمد صالح (اشتراكي) واحمد عثمان محمد خير (وطني اتحادي) وفعلا تقدم محجوب محمد صالح واحمد عثمان محمد خير بالقضية الدستورية في يناير عام ١٩٦٨ وكانت الاتصالات والمشاورات في حل الجمعية التأسيسية على قدم وساق فاجتمع د. عز الدين علي عامر ومحجوب محمد صالح وعبد الوهاب محمد عبد الوهاب (بوب) بالسيدين محمد احمد محجوب رئيس الوزراء والشريف حسين الهندي وزير المالية واحمد السيد حمد وزير التجارة ثم والوا اتصالاتهم بالشيخ علي عبد الرحمن في منزله ثم اجتمع د. عز الدين علي عامر وعابدين اسماعيل بالسيد محمد عثمان الميرغني حضره الشيخ علي عبد الرحمن واحمد السيد حمد ومحمد زيادة .

كنا نحن الاشتراكيين نرى في حل الجمعية التأسيسية مبدأ فقد كنا نعارض قيامها في ذلك الوقت بعد ان قفزت الاحزاب الى كراسي الحكم في الوزارة الانتقالية الثانية وكانت لها الغلبة وعادت لعثرها لميس واصابت البلاد ردة ونكسة رجعت بها الى ما قبل ١٧ نوفمبر١٩٥٨ وكان الاخرون يخشون عودة السيد الصادق الى الحكم وكل من زاويته تم الاتفاق النهائي ان تذهب الى غير رجعة .

ما تطرقت الى اجتماعات قادة الحزبين المؤتلفين فيما بينها ومجلس

الوزراء وبالرغم من متابعتنا لما كان يجري في تلك الدوائر الا اننا لم نكن نثق ثقة مطلقة في انهم سينفذون ما اتفق عليه فلربما يأتون بجديد او يتفقون مع السيد الصادق .

كان مقررا ان يسافر السيد اسماعيل الازهري للقاهرة مساء يوم الثلاثاء ٦ فبراير لاجتماع ثلاثي يشترك فيه سيادته مع الرئيس جمال عبد الناصر وجوزيف تيتو وكانت كل الاستعدادات قائمة على سفره بل استمعت الى اذاعة القاهرة قبل منتصف الليل بان سيادته سيحضر للقاهرة صباح اليوم التالي .

وشعرت ان الموضوع ربما (طرشق) فاليوم التالي هو صباح الاربعاء ٧ فبراير ١٩٦٨ وهو ما يجب ان يكون اخر يوم للجمعية التأسيسية اذ سحب الثقة من الحكومة حدد له صباح الخميس ٨ فبراير .

وكعادتي استمعت الى اذاعة ام درمان في نشرتها الاولى الساعة السادسة والنصف من صباح الاربعاء حيث اذيع بان الرئيس اسماعيل الازهري قد الغى زيارته للقاهرة واكاد لا اصدق سمعي . السيد اسماعيل الازهري يلغي سفره للقاهرة ويضيع فرصة نادرة مثل هذا الاجتماع الثلاثي وقد شاء الرئيسان عبد الناصر وتيتو ان يشركاه دون رؤساء وملوك العرب في اجتماعهما هذا والسيد اسماعيل الازهري يحرص دائما على حضور اجتماعات الرؤساء والملوك وما الازمة التي نشبت بينه وبين السيد محمد احمد محجوب في رئاسة وفد السودان لمؤتمر القمة في الدار البيضاء بغائبة عن الاذهان .

وتأكدت ان شيئا حاسما سيحدث الامر الذي حمل السيد رئيس مجلس السيادة الى الاعتذار عن السفر الى القاهرة .

وفرحت فيما بيني وبين نفسي وبالرغم مما للنيابة من امتيازات

وهيل وهيلمان فقد كنت غير راض على بقائي عضوا فيها .

لا يعجبن مضيما حسن بزته

وهل يروق دفينا جودة الكفن

وتوجهت الى الجمعية التأسيسية وبمجرد ان نزلت من عربتي في فناء الجمعية وجدت السيدين مامون سنادة واحمد دهب وهما من اقطاب الهيئة البرلمانية للوطني الاتحادي وبعد التحية سألتهما عن الاخبار .

فقالا : ما فيش حاجة .

فقلت : ولكن لماذا الغى السيد اسماعيل الازهري سفره لمصر ؟

قالا : لانه سيوقع ميثاقا جديدا بين الوطني الاتحادي والامة جناح الامام .

وتركتهما وذهبت .

وكنت اسأل نفسي هل مامون سنادة واحمد دهب لا يعرفان شيئا عما يجري ؟ لا يمكن ان اصدق قولهما وكلاهما عضو بارز في الوطني الاتحادي . لقد تعودت منذ زمن الا اثق في كل ما يقوله اقطاب الوطني الاتحادي في السياسة ومجرياتها فهذا الحزب يتمتع قادته بالدهاء وعدم الوضوح ويلبسون لكل حالة لبوسها فتراهم تارة كالافاعي وان لانت ملامسها واخرى وادعين كالاطفال .

سرت نحو بوفيه الجمعية ولقيت السيد علي محمد خير نائب من جناح الامام ووضعت له نفس السؤال عن الغاء السيد اسماعيل الازهري لسفره فاعاد لي ما قاله السيدان مامون سنادة واحمد دهب ولكنني لم اقتنع .

كيف يلغي السيد اسماعيل الازهري زيارة كهذه ليوقع على ميثاق ؟ ترى هل اتفق الوطني الاتحادي وجناح الامام على مثل هذه الردود والتحوطات .

وبدأت الجمعية في الانعقاد في جلستها صباح الاربعاء ٧ فبراير وشهدت طرفا من تلك الجلسة وتفرست عيون القوم ووجدتها هي هي نفس الوجوه والاشكال وكأنها الخشب المسندة التي حذر عنها شوقي وهو يخاطب قومه قبل نصف قرن .

دار النيابة قد صفت أرائكها
لا تجلسوا عليها الاحجار والخشبا

وكان الدكتور الترابي كعادته يتنقل هنا وهناك في القاعة وهو مطمئن النفس منشرح الصدر فقد اوشكت الجمعية ان تنتهي من بند تحريم الشيوعية واجازة وريقة الدستور التي كان هو احد واضعيها وكل شيء يسير وفق ما اراد ويريد سيادته .

والتفت الى احمد سليمان وسألته «هل في حاجة» .. ورد احمد «ايوه» وايقنت ان في الامر ما فيه وما ينبئك مثل خبير .

وخرجت من القاعة ولقيت احد وزراء الوطني الاتحادي وكررت عليه سؤالي : —

« لماذا الغى السيد اسماعيل الازهري سفره للقاهرة ؟ »

قال : للظروف السياسية الراهنة .

قلت : علشان حل الجمعية التأسيسية ؟

قال : لا مش ممكن .

قلت : ايه المش ممكن — اعتقد انكم تدبرون شيئا .

قال : وأنتم هذه المرة معنا .

قلت : نحن عاوزين حل الجمعية .

قال : لا اعرف شيئا عن حلها ولكن تأكد ان السيد الصادق لن يكون رئيسا للوزراء .

وفهمت .

وتأكدت ان موضوع الحل اصبح مؤكدا ورجعت لقاعة الجمعية والمناقشات دائرة وليس هناك من النواب من يعلم شيئا فهم اخر من يعلم اي شيء الا الحصول على رخص الاستيراد والسلاح والمشاريع الزراعية والطواحين وكل ما يهمهم ويهم مصالحهم الشخصية .

وخرجت في فترة الاستراحة .

وعادت الجمعية للانعقاد وكل شيء يسير على نفس الرتابة والروتينية ولكني لم ادخل القاعة وبقيت خارجها ادردش مع صديقي حسن خليفة قطب الوطني الاتحادي ونائب الابيض وتحدثنا في الفارغ والمليان ونحن المدرسين كالماسونيين بيننا رباط من الحب والود لا ينقطع وان اختلفت الاراء فرباط مهنة التعليم اقوى واوثق فنحن نعيش في واقعنا البريء مع الطلاب بعيدين عن حياة البهرج والمظهر والتزلف وبينما كلانا منسجم في الحديث اذ اقبل السيد احمد حسين الرفاعي وقطع علينا الحديث وبصوت واضح خاطب حسن خليقة :

« الرئيس يدعوكم لاجتماع في القصر الساعة الواحدة بعد انتهاء الجلسة مباشرة » .

وتدخلت وقلت للسيد الرفاعي : ـــ

« عمرك ما دخلت لخير الا هذه المرة » .. وضحك سيادته وتوجه

نحو البوفيه وكانت صورة سيادته لا تغيب عن ذاكرتي عندما تطرح قضايا هامة في الجمعية التأسيسية مثل تعديل الدستور وحل الحزب الشيوعي والميزانية واصوات الثقة وسحبها من الحكومة الى غير ذلك اذ كان سيادته يجلس في الشرفة الشرقية للجمعية وعيناه تجريان هنا وهناك ترقبان نواب الوطني الاتحادي وكان حقا بعبعا يخيف نواب حزبه فكثير منهم يحتاجون الى مثل هذه العين الحمراء ألم يكن جلهم عبدا يباع ويشترى في سوق الجمعية سوق النخاسة وبيع الضمائر .

وفي داخل القاعة وقبل ان يرفع الرئيس الجلسة ايذانا بانتهائها تقدم السيد ميرغني زاكي الدين وزير الزراعة والغابات وكان الوزير الوحيد الذي شهد الجلسة حتى نهايتها واقترح ان تلغى جلسة المساء ووافق الاعضاء جميعهم ولم يكن اغلبهم يعلم انها جلستهم الاخيرة .

وخرجنا جميعنا .

نواب الوطني الاتحادي الى القصر الجمهوري ونحن الاربعة السيدة فاطمة ومحجوب محمد صالح واحمد سليمان وانا .. الى عيادة الدكتور عز الدين علي عامر حيث وجدنا هناك عابدين اسماعيل وعبد الوهاب بوب وعبد الخالق محجوب .

واعدت صيغة الاستقالة .

ثم اتى عز الدين علي عامر من القصر وكان سيادته قد شهد اجتماع السادة اسماعيل الازهري والامام الهادي ومحمد عثمان الميرغني مع النواب والوزراء في قاعة القصر الوثيرة حيث باركوا الخطوات وتقديم النواب باستقالاتهم .

عاد عز الدين علي عامر وقص علينا سيادته محادثة جرت بينه وبين السيد محمد عثمان الميرغني زعيم طائفة الختمية في القصر الجمهوري

فقد ذكر عز الدين ان السيد محمد عثمان قال له انهم يفكرون جديا في اعادة دوائر الخريجين وفي تخصيص دوائر للعمال والمزارعين في الانتخابات الاتية وقال عز الدين انه رد على سيادة زعيم الختمية بالحرف الواحد :

« اننا عندما فكرنا في حل الجمعية التأسيسية لم نكن نفكر في اي مكاسب حزبية او ذاتية ولكنا نعتقد ان الجمعية حلت نفسها منذ اليوم الذي حلت فيه الحزب الشيوعي وطردت نوابه وان مدها غير دستوري. ان النواب الاشتراكيين في استقالاتهم التي سيتقدمون بها اليوم قد اكدوا ادانتهم كل النظام بمختلف فصائله التي تشترك في الحكومة » . واستطرد عز الدين يخاطب السيد محمد عثمان بقوله :

« ان على المواطنين المخلصين ان يعملوا على تمزيق وريقة ما يسمى بالدستور الاسلامي » وقال عز الدين ان السيد محمد عثمان اكد له بانه من جانبهم سيعملون لوضع دستور ديمقراطي وانهم مقتنعون بان نظام الجمهورية الرئاسية لا يصلح للبلاد » .

ولكن شيئا من ذلك لم يحصل .

عز الدين علي عامر النائب المطرود من الجمعية يحضر اجتماع نواب الوطني الاتحادي والامة في القصر لقد صدق من قال :

والليالي من الزمان حبالى
مثقلات يلدن كل عجيبه

اعدت استقالة كتلتنا وسلمناها لعز الدين علي عامر وذهبنا الى منازلنا على الا ترفع الا بعد التأكد من ان نواب الحزبين سلموا استقالاتهم فعلا .

وفي الساعة الرابعة مساء اتصل محمد زياده وزير الصناعة والتعدين

بعز الدين وأكد له ان استقالات نوابهم تمت وسلمت للقصر وكانت قد بلغت ٧٤ آنذاك وتوجه عز الدين للقصر حيث سلم استقالاتنا للسيد احمد حسين الرفاعي الذي اخبره بان الدكتور المبارك شداد رئيس الجمعية استدعي الى القصر وكان ان اتصل به السيدان الشريف الهندي ومحمد حسن عبد الله يس قطب الوطني الاتحادي ومبلغ علمي انهم وعدوه باتتخابه رئيسا للجمعية التأسيسية المقبلة .

وفي حوالي الساعة الخامسة ذهبت الى القصر الجمهوري واوقفني الحاجب وقلت له انني نائب في الجمعية وتفرس في وجهي برهة وقال لي متأكد انت نائب قلت ايوه . ولم استغرب ما فعله الحاجب معي فقد كانت تلك اول مرة ادخل فيها القصر الجمهوري منذ عام ١٩٥٩ .

كانت القاعة الكبرى تعج بالناس وكان الجو وديا لطيفا والسادة محمد احمد محجوب وعبد الله ابوسن ومحمد زياده واحمد سليمان يملأون الجو مرحا ولطفا واكواب الشاي والقهوة والليموناده يطوف بها على الحاضرين عمال القصر وكان هناك ايضا عبد الوهاب بوب وعابدين اسماعيل وفاطمه احمد ابراهيم وابراهيم حمد وهلري لوقالي وحسن خليفه .

ثم حضر احد الوزراء وكنت اجلس مع حسن خليفه وقال انه قادم الان من اجتماع مع جماعة الصادق منذ الصباح على انهم سيستأنفون الاجتماع في الساعة العاشرة مساء وكان يمثل الحكومة السادة حسين الهندي وزير المالية واحمد السيد حمد وزير التجارة والنواب محمد جباره وموسى المبارك وعبد الله ابوسن حيث كانوا يناقشون مع جناح الصادق اجراءات اجازة الدستور حسب التواريخ التي اقترحها الدكتور المبارك شداد رئيس الجمعية والسيد محمد صالح عمر قطب جبهة الميثاق الاسلامي .

لم يكن جماعة الصادق المهدي حتى ذلك الوقت على علم بما كان يجري وما يبيت للجمعية من مصير .

وفي الساعة الثامنة والنصف دخل علينا السيد اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة متهلل الوجه منطلق الاسارير وبعد مداعبة لطيفة مع احمد سليمان دعانا للعشاء معه ولكنا اعتذرنا وافترقنا الى منازلنا لنستمع الى المذياع والتلفزيون يعلن بيان الحكومة الاتي يذيعه السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء :

« لقد نصت المادة ٥٣ من دستور السودان المؤقت المعدل ١٩٦٤ على الاتي :

١ ـ تستمر الجمعية التأسيسية لمدة سنتين من بداية اول دورة انعقادها ولا يجوز حلها .

٢ ـ تقوم الجمعية بوضع الدستور الدائم واقراره . ولقد حددت هذه المدة عمر الجمعية ، وقد سلخت الجمعية سنتين ولم تفعل شيئا بالنسبة للدستور ومد من اجلها لمدة ٨ اشهر تنتهي يوم ٢٩ فبراير الحالي . ولقد جاء مد عمر الجمعية هذا نتيجة لظروف عدم اكتمال عضويتها لان انتخابات الجنوب جاءت متأخرة مما اعطى السبب الكافي لمد عمر الجمعية .

وفي يناير ١٩٦٧ تكونت لجنة الدستور القومية ممثلة لكل وجهات النظر السياسية في البلاد ، وكان ممثلو الاحزاب ووجهات النظر الاخرى مفوضين تفويضا كاملا من احزابهم حتى اكتملت مسودة الدستور باتفاق جميع الاطراف ما عدا مسائل بسيطة رفعت وجهات النظر فيها للجمعية ، وقد سبق قيام اللجنة القومية قيام لجنة فنية لتعين اللجنة القومية بالبحوث في مهمتها ، وعندما فرغ من مسودة الدستور حملها وفد الى الدكتور السنهوري حتى يكتمل عمل الدستور من كل الوجوه .

كان المفروض ان تجيز الجمعية مسودة الدستور بعد كل هذه الدراسات والمشاورات دون ابطاء حتى يتوج الاعضاء اعمالهم بالانتهاء من المهمة التي انتخبوا من اجلها . لذلك اتفقت الحكومة والمعارضة على برنامج زمني لاجازة الدستور وعرض ذلك على الجمعية فاجازته . وكان من شأن البرنامج ان تنتهي الجمعية من مسودة الدستور في وقت مبكر ولكن منذ ان بدأ عرض برنامج الدستور بدأت محاولات المعارضة لعرقلة البرنامج المتفق عليه ، وبدأت اجتماعات مريبة توعز المعارضة بها وتغذيها ويشترك فيها بعض اعضاء المعارضة وجمعت امضاءات ١٥٠ نائب وكانت نتيجة هذه الاساليب ان امتدت فترة القراءة الثانية من اليومين المتفق عليهما الى ١٥ يوما ولولا اصراري الشخصي على التصويت على القراءة الثانية لما انتهت الى يومنا هذا .

لقد ظللنا نسترضي المعارضة لتتفق معنا لاجازة الدستور واتفقنا على برنامج زمني محدد وابلغ هذا القرار الى لجنة الانتخابات التي نظمت عملها على هذا الاساس بحيث تجري الانتخابات في تاريخها المحدد لها وهو ٢٦ ابريل . ولكن المعارضة عرقلت البرنامج المتفق عليه واصبح من الواضح ان المعارضة ظلت تسعى بكل الطرق لعرقلة اجازة الدستور وتساهم في العمل لمد عمر الجمعية مستغلة ميول بعض النواب دون احترام للمصلحة الكبرى ، وعندما شعرت المعارضة بان الحكومة استشعارا منها لمسئوليتها نحو جماهير الشعب تعارض مد عمر الجمعية عملت على طرح صوت ثقة بالحكومة. وقد كان واضحا وضوح الشمس ان المعارضة بهذا العمل غير المسئول تقدم اغراء ورشوة للنواب على حساب مقدرات الشعب ومفاهيمه وقيمه ليتحمل دافع الضرائب ما يزيد على ربع مليون من الجنيهات . وبالرغم من كل ذلك فان الحكومة لم تألو جهدا في الاتفاق مع المعارضة لاشراكها في الحكومة لاجراء الانتخابات واجازة الدستور . وعندما قمت بتشكيل الحكومة حرصت

على اشراك المعارضة في الحكم ولكنهم رفضوا الاشتراك وظلوا يعملون لاسقاط الحكومة بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة وليس ببعيد ذلك السعار المحموم لاسقاط الميزانية رغم تأييد زعيم المعارضة لها ، وقد عرضت الحكومة على المعارضة نصف مقاعد مجلس الوزراء ولكنها ظلت في اصرارها على الرفض واصرت على مد عمر الجمعية .

اصرت المعارضة على بقاء الجمعية بحجج واهية وهي ان بقاء الجمعية امر ضروري للرقابة على الحكومة ورئيس المعارضة اول من طلب اعطاءه تفويضا للحكم منفردا وطالب بتجميد رقابة الجمعية على الحكومة . وان ما تطالب به المعارضة يشكل خطرا على الديمقراطية . وهل يعقل ان تترك لحفنة من النواب اغتصاب حق الشعب ؟

ان الحكومة وهي تشعر بمسئوليتها التاريخية في حماية الشعب والتزاما بميثاقها الذي اعلنته يوم قيامها تجد نفسها مضطرة لحماية الشعب من عبث العابثين وحماية الديمقراطية .

ان في الجمعية التأسيسية نوابا مخلصين من المؤسف ان اندس بينهم نواب نفعيون . فالى الاحرار منهم كل تحية واحتجاجا على مسلك المعارضة هذا قدم عدد من النواب استقالاتهم من الجمعية يزيد عددهم على ثلث عدد اعضائها ـ لذلك بحثت الحكومة الامر كله وتوصلت الى توصيات رفعتها لمجلس السيادة الموقر فاتخذ القرارات التالية : ـ

اولا : حل الجمعية التأسيسية ابتداء من اليوم ٧ فبراير .

ثانيا : اصدار قانون الانتخابات بأمر مؤقت .

ثالثا : اجراء الانتخابات في موعدها المقرر وهو ٢٦ ابريل .

رابعا : عرض الدستور على الجمعية الوطنية لاجازته » .

ثم اخذ المذياع يعلن بيانا من احمد سليمان هو في الواقع نص الاستقالة التي تقدمنا بها ....

« السيد رئيس الجمعية

بعد التحية

لقد شرفني شعب السودان بانتخابي عضوا في الجمعية التأسيسية عقب ثورته الديمقراطية الخالدة لكي اسهم في وضع واقرار دستور ديمقراطي يقنن المبادىء التي من اجلها اشعل ثورته وفي سبيلها استشهد زهرة شباب هذه الامة . ولكن هذه الجمعية منذ قيامها تنكرت لثورة شعبنا الديمقراطية وانقلبت وبالا عليه وسعت بمثابرة واصرار على مصادرة كل مكتسبات الشعب الديمقراطية ، وعلى هدم كل مؤسساته وقواه الاجتماعية التي بذلت من اجل اعادة الحكم الديمقراطي لبلادنا .

شرعت هذه الجمعية منذ قيامها في تمزيق دستور السودان المؤقت لعام ١٩٦٤ والذي اعلنه الشعب بعد ثورته قانونا اساسيا تحكم به البلاد وتسود احكامه حتى على الجمعية التأسيسية ذاتها . وقد توجت اعمالها الهمجية عندما سنت قانون حل الحزب الشيوعي وحرمت نواب المعارضة من ممارسة واجباتهم .

تمادت هذه الجمعية في احتقارها لاركان النظام الديمقراطي فتمردت على حكم القانون حينما رفضت الانصياع لقرار المحكمة العليا في القضية الدستورية عليا ٪ ٩٢ ــ ٦٥ وانطلق اعضاؤها يهاجمون القضاء ويهونون من استقلاله مما هدد كيان الدولة في بلادنا وادى الى حالة من الفوضى اصبح فيها القضاء عاجزا عن القيام بدوره في مجتمع مفروض فيه المدنية . لقد اوغلت هذه الجمعية في الخروج على حكم القانون حينما دعت هيئتها لاجتماع في يوم جمعة وقررت عدم تقيدها

مسبقا حتى باجراءات الاستئناف في تلك القضية وكانت استقالة السيد رئيس القضاء تعبيرا عن المحنة التي واجهت حكم القانون في بلد يعيش التاريخ الاخير من القرن العشرين .

انحدرت الجمعية التأسيسية الى درك سحيق يهدد بقاء النظام الديمقراطي نفسه ، ويفتح الطريق لكل مقامر طامع في الحكم حينما انساق اعضاؤها وراء شهوات الحكم وتخبط القيادات السياسية المختلفة وتقلبها للرشوة والفساد ، واصبح عدد لا يستهان به من اعضائها سلعا في سوق النخاسة بلا ضمير ولا وازع من مبدأ او وطنية .

واخيرا عندما بدأت هذه الجمعية في وضع الدستور الدائم للبلاد فوضت الامر الى لجنة عزلت من عضويتها قوى شعبنا التي صنعت الديمقراطية في البلاد ، ووضعت قيادة هذه اللجنة في ايد غير امينة لا تربطها بثرى وطننا جذور ولا ترعى للشعب مصلحة . فحكمت تلك اللجنة الاهواء السياسية والاحقاد في مشروع الدستور فخرج مسخا لا يثير غير الرثاء والاحتقار . وعندما شرعت هذه الجمعية في نظر تلك المسودة صمت آذانها عن كل اعتراض موضوعي صادر من الهيئات الشعبية او الرسمية والتي ترى في الدستور اداة للديمقراطية ولتقدم البلاد . وتحت الضغط والوعيد اجازت هذه الجمعية القراءة الثانية للدستور مما ينبيء قطعا بأن مشروع الدستور بأسره سيجاز دون اعتبار لمصلحة الشعب . فمشروع الدستور الذي يعمل لفرض نظام رئاسي ديكتاتوري على بلادي والذي يحرم شعبنا من حقوقه الاساسية ويصب احقاده على الاتجاهات الشعبية وعلى الحزب الشيوعي – وهي القوى التي لا ينكر دورها واسهامها في ثورة اكتوبر الخالدة ، والدستور الذي يمزق وحدة البلاد بفرض نظام فدرالي لا ينبعث من حاجة وطنية بقدر ما ينبعث من المساومات السياسية ، والدستور الذي

ينتهك استقلال القضاء ويدخل الفوضى وسط صفوفه بنصوص لا خير منها ولا باعث لها الا الملق والتضليل والكذب على الشعب والدستور الذي لا يحترم للوطن وحدته وحرمه فلا يفصـــل بين معتقدات الناس والدولة التي ترعى حقوقهم ... هذا الدستور لا يستحق غير التمزيـــق وارساله الى ظلام التاريخ بوصفه وثيقة التيـــه والكذب والدجـــل السياسي .

انني ارى ان ذهاب هذه الجمعية ذو ادانة صريحــــة لكل هذه المواقف ، وهو في المقام الاول ادانة لمشروع الدستور الذي وضـــع امامها . انني اعتبر استقالتي من هذه الجمعية بداية نشاطـــي بين قوى الشعب حتى لا يعود مثل هذا المسخ المشوه مرة اخـــرى لبلادنا وأرى فيها مواصلة لنضالي من اجل دستور ديمقراطي يوفـــر للشعب حقوقـــه ويلبي امانيه وفي مقدمتها :

١ ــ تأمين الحقوق الاساسية لكل تنظيمات الشعب .

٢ ــ استقلال الهيئة القضائية .

٣ ــ قيام جمهورية برلمانية ديمقراطية .

٤ ــ الحفاظ على وحدة القطر على اساس الاختيار والحكم الذاتي للجنـــوب .

٥ ــ رفض الدجل الذي يحطم وحدة البـــلاد ووضع دستـــــور علماني حديث .

وفي نفس الوقت فانني ارى التزاما مني بالامانة التي حملني اياها الشعب ، وقد فشلت الجمعية التأسيسية الراهنة في احترام الديمقراطية وفي اقرار دستور ديمقراطي حق لبلادنا ان اعلن رأيي في السبيل الذي يسلكه شعبنا حتى تجري انتخابات جديدة في البلاد . انني ارى :

اولا : ان تقوم حكومة قومية تمثل فيها بلا تـردد ولا مناورات قوى الشعب الحادبة على الديمقراطية حقا والتي صنعت ثورة اكتوبـر حتى يطمئن شعبنا لمصيره .

ثانيا : ان تحكم البلاد في هذه الفترة وفق الدستور المؤقت المعدل لعام ١٩٦٤ بعد ان تبعد عنه كافة التعديلات غير الدستورية التي اجرتها هذه الجمعية على الدستور .

ثالثا : ان تجري هذه الحكومة الانتخابات طبقا لقانون الانتخابات عام ١٩٦٥ مع اعادة النظر في الدوائر الانتخابيـــة اعتبارا للاعتراضات الشعبية التي اثيرت من قبل .

رابعا : قيام لجنة جديدة لوضع مسودة جديدة للدستور وتضـم التنظيمات السياسية والنقابية والشخصيات الوطنية .

خامسا : ان توقف هذه الحكومة الاجراءات غير القانونية التـي تجري الان للانتخابات والتي لا ترمي لمعرفة رأي الشعب بقدر ما ترمي الى الوصول جماعات متعطشة للسلطة الى الحكم .

ان شعبنا قد كره هذه الجمعية اداة لمصادرة حرياته وضاق بهـا ذرعا بعد ان اصبحت عالة عليه وسبة في جبينه . ومـا عاد يشرفنـي الانتساب الى هذه الجمعية ولهذا فاني اقدم اخطاري هذا باستقالتـي منها عملا باحكام المادة ٤٧ (ﻫ) من دستور السودان المؤقت المعدل لعام ١٩٦٤ ، وأرى في هذه الاستقالة مساهمـــة مني في انهـاء حياة هذه الجمعية ولفتح طريق جديد لشعبنا ليضع دستـــورا ديمقراطيا وليلقي بمسودة المشروع الراهن في سلة المهملات .

والمجد للشعب .

الخرطوم في السابع من فبراير ١٩٦٨ »

وهكذا انتهت الجولة الاولى ولنستعد للثانيـــة والنصر آت لا محالـــة .

مفارقـــات

حفلت الجمعية التأسيسية بكثير من المفارقات اذكر منها من قبيل المثال لا الحصر الاتي :

* في الجلسة السادسة ــ الدورة الاولى تقدم السيد محمد ابراهيم خليل وزير العدل بمشروع قانون بتعديل المادة ١٤ من دستور السودان المؤقت المعدل ١٩٦٤ لانتخاب رئيس دائم لمجلس السيادة .

وبعد مناقشة الاعضاء انهى السيد محمد ابراهيم خليل المناقشة معقبا على آراء بعض المتكلمين بقوله : ــ

« .. تحدث احد زعماء المعارضة معترضا على هذا التعديل وينصب اعتراضه على ان هذا الامر لم ينشأ خلال ثورة ٢١ اكتوبر وعجبت ان يثير البعض هذا الامر مدعين خلق تلك الثورة وبينهم من لم يشترك فيها من قريب او بعيد حتى اولئك الذين ساروا في ركب من انتهكوا الدستور اصبحوا يتمشدقون بثورة ٢١ اكتوبر » .

هذا ما قاله السيد وزير العدل بالحرف الواحد وهذا القول لا يصدق الا عليه فقد كان سيادته من المقربين لوزراء الحكم العسكري وطيلة سنوات الحكم العسكري كان سيادته في بريطانيا ثم عاد منها ليشد الرحال لامريكا .. ولم يشترك لا من قريب ولا من بعيد في ثورة اكتوبر .

* في الجلسة رقم ١٥ الدورة الاولى المنعقدة صباح الخميس ١٤ ــ ١١ ــ ٦٥ تقدمت بالاقتراح التالي : ــ

« انه من رأي المجلس ان تشكل لجنة قومية لوضع مسودة الدستور الدائم للسودان كسبا للوقت حتى تتمكن الجمعية من اجازتها متى ما اكتمل عددها وحتى تفرغ من مهمتها في الفترة التي حددها الدستور » .

وقبل مناقشة الاقتراح استدعاني الدكتور مبارك شداد رئيس الجمعية في مكتبه وقال ان الاقتراح بوضعه الحالي لا يمكن ان يسمح بمناقشته لان اللوائح تنص على ان من حق الجمعية ان تشكل لجنة مختارة من اعضائها وليست قومية من خارج الجمعية وفي اثناء مناقشتي مع سيادته حضر السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء واستمع الى مناقشتي مع الدكتور شداد وقال انه مستعد ان يشكل هو بوصفه رئيسا للوزراء هذه اللجنة القومية ويعلنها في الجمعية التأسيسية على ان اسحب اقتراحي هذا ثم ارسل لبعض ممثلي الاحزاب للاشتراك في هذه المناقشة وفعلا حضر على ما اذكر السادة محمد ابراهيم نقد (شيوعي) وموسى حسين ضرار ومحمد يوسف محمد (جبهة ميثاق) وامامهم اعاد السيد محمد احمد محجوب تعهده وخرجت لاقف امام الجمعية قائلا : ـ

« ارجو ان اتقدم بسحب هذا الاقتراح وسأتقدم به مرة اخرى وذلك بعد اجراء مشاورات مع الهيئات الاخرى حتى يأخذ الصيغة القومية اذ ان موضوع الدستور يهم البلاد باسرها » .

وسارت الجمعية التأسيسية تشغل نفسها والمواطنين بكل عبث وخرق للدستور ولم يف السيد محمد احمد محجوب بوعده .

وفي الجلسة رقم ٨٦ اقترح الدكتور الترابي زعيم جبهة الميثاق اقتراح سحب الثقة الآتي من حكومة السيد محمد احمد محجوب : ـ

« انه من رأي هذه الجمعية التأسيسية ان تسحب ثقتها من مجلس

الوزراء نسبة لعجزه عن تنفيذ الكثير من وعــوده والتزاماته السياسية خاصة في مجال الحكم الاهلي والمحلي والسياسة والعلاقات الزراعيــة والاقتصادية ولتعطيله لاعمال الجمعية وتقصــيره في التحضير للدستور وفي اجراء الاصلاح القانوني والاداري » .

ووقف السيد محمد احمد محجوب يرد على اقتراح سحب الثقة وفيما يختص بالدستور قال سيادته : ــ

« ثم يقول السيد مقدم الاقتراح ان الحكومة قصرت في التحضير للدستور وكنت احسبه وهو استاذ القانون الدستوري واستاذ في علم البرلمانات وادارتها يعلم جيدا ان الحكومة ليست مسئولة عــن تحضير الدستور ولكن الجمعية هي المسئولة عن ذلك ويستطيع العضو المحترم ان يقترح تكوين لجنة للدستور ولكني ارجع لحظات للوراء فقد كان حزبه مشتركا في الحكومة الانتقالية السابقة وكنا نعانــــي صعوبة في اجراء الانتخابات . ونضع اللبنة لحكم ديمقراطي وكيف كان الجنوبيون يعترضون على قيام الانتخابات الا اذا اشتركوا فيها وذلــك خوفا من اصدار دستور لا يشترك فيه الجنوبيون وتعهدنا كما تعهد حزب السيد مقدم الاقتراح بالا تباشر الجمعية عملها في وضع الدستور الا بعد اجراء الانتخابات في الجنوب واشراك ممثلي الجنوب في هذه الجمعيــة فماذا جرى اليوم وما له نكص على عقبيه من ينكص على عقبيه فلن يضر الله شيئا » .

اسمعتم كيف يسخــر السيد محمــد احمد محجوب مــن عقول الناس . ومن هو الذي نكص على عقبيه .

والشيء الغريب ان موضوع الدستور هــذا اتخذه الجانبـــان المتخاصمان في الاحزاب تكأة للهجوم على بعضها البعض .

وحتى السيد الصادق المهدي نفسه لم يول اهتمامه لتكوين لجنة

قومية للدستور الا بعد ستة شهور من جلوسه على كرسي الحكم فقد انتخب رئيسا للوزارة في ٢٩ مايو ١٩٦٦ ولم يعلن عن لجنة الدستور الا في شهر يناير عام ١٩٦٧ وكانت لجنة لا تمثل الا الاحزاب اليمينية ولم تعط الفرصة لتمثيل كل الاتجاهات .

* في الجلسة رقم ١٦ بتاريخ ١٨ ـ ١١ ـ ٦٥ تقدم د. عز الدين عامر بعد ان رقد السيد حسن الطاهر زروق مريضا ليقدم نيابة عن كتلتنا البرلمانية الاقتراح الآتي : ـ

« انه من رأي هذه الجمعية التأسيسية انه نسبة لعجز الحكومة الراهنة في عدم تحقيق الاستقرار في البلاد مما يجعل الديمقراطية مهددة بالخطر ونسبة لعجزها في معالجة فعالة ورفضها اتخاذ موقف واضح تجاه التدخل الاستعماري السافر للقضاء على وحدة البلاد ونسبة لعجزها في تسليح الجيش السوداني بالمعدات والاسلحة الحديثة وتوفير وسائل الاعاشة في الميدان بالصورة التي تمكنه بالقيام بمهامه الجسيمة في الحفاظ على وحدة البلاد ونسبة لفشلها في حل الازمة الاقتصادية الطاحنة ومحاولاتها المستمرة لحل هذه الازمة على حساب جماهير الشعب فانني اقترح على الجمعية التأسيسية ان تقرر سحب ثقتها فورا من هذه الحكومة » .

وكان عز الدين قد تقدم نيابة عنا باقتراح سحب الثقةمن الحكومة في الجلسة الخامسة :

« ارجو ان اتقدم بالاقتراح الآتي لان خطاب الدورة الذي قدمته الحكومة لتوضيح سياستها قد فشل في تقديم برنامج يحقق المطالب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للبلاد فان هذه الجمعية لا تؤيد سياسة الحكومة » .

يبدو غريبا ان تتقدم باقتراح لسحب الثقة من الحكومة وبعد احد

عشرة جلسة من فوزها بثقة المجلس ولكن كان لا بد من مثل هـــــذا الاجراء لمناقشة النقاط التي تقدم بها عز الدين .

لم تكن لوائح المجلس تسمح آنذاك ولذلك فكرنا في اثارتها في اقتراح سحب الثقة من الحكومة . وبعد خطاب طويــل انهى عز الدين خطابه ببيت الشعر المعروف : ـ

منحتهم نصحي بمنعــرج اللوى
فلم يستبينوا النصح الاضحى الغد

وحاول السيد محمد احمد محجوب رئيس الوزراء ليلتقط القفاز فاستهل حديثه بالبيت التالي : ـ

وهل انا الا من غزيه ان غوت
غويت وان ترشد غزيه ارشد

وفازت الحكومة باغلبية ١٣٦ صوتا مقابل ٣١ صوتا وامتناع ٤

* الذين صوتوا ضد اقتراح تعديل الدستور لحل الحزب الشيوعي:

١ ـ حسن بابكر
٢ ـ صالح محمود اسماعيل
٣ ـ محمد عبد الحليم
٤ ـ محجوب علي الامين
٥ ـ محمد سليمان
٦ ـ عز الدين علي عامر
٧ ـ محجوب محمد صالح
٨ ـ محمد ابراهيم نقد
٩ ـ جوزيف قرنق
١٠ ـ الرشيد نايل

١١ـ الطاهر عبد الباسط
١٢ـ عمر مصطفى المكي

امتنع عن التصويت ٩ اعضاء : ـ

٦ من اتحاد جبال النوبه
٢ من البجـا
١ اسحق محمد الخليف شريف

كان حسن الطاهر زروق وفاطمه احمد ابراهيم وعبد الرحمـن الوسيله من كتلتنا البرلمانية خارج السودان في العلاج مما ألم بهم مـن مـرض .

* في الجلسة رقم ١٠٢ صباح الاثنين ٢٥ ـ ٧ ـ ٦٦ والتي سحبت فيها الجمعية الثقة من السيد محمد محمد محجوب وقف سيادته يـرد على اقتراح الثقة ويهاجم جماعة السيد الصادق المهدي وقال ضمن مـا قال «اما من يتحدثون عن الديمقراطية انما هم في الواقع الذين يسعون الى الفاشية والدكتاتورية فيحلمون بحل الجمعية التأسيسية ليحكمـوا بما لا يتفق والديمقراطية والحرية » .

ولكن من المفارقات ان السيد محمد احمد محجـوب كان رئيس الحكومة التي حلت الجمعية التأسيسية ووقف سيادته يذيع بنفسه بيان حل الجمعية من المذياع مساء السابع من فبراير عام ١٩٦٨ .

وكان في الحقيقة كل واحد منهم يتربص بالاخـــر حتى حانت الفرصة للسيد محمد احمد محجوب ليقع في ما نهى عنه .

اتخذ خصوم السيد الصادق المهدي مـن الساسة التقليديـين نفس الاسلـوب الذي اتبعـه فـي محاربة الحـزب الشيوعـي حاربوه باسم الدين واتهموه بالالحاد وحلوا الجمعية التي كانت مركزا

رئيسيا لنشاطه السياسي وما زالت القضية الدستورية التي رفعها ضد الجمعية التأسسية معلقة ولم تعلن تتيجتها الى اليوم مثل القضية التي رفعها الحزب الشيوعي والتي استغرقت اجراءات النظر فيها عاما كاملا وما زال الاستئناف فيها قيد النظر .

* في صبيحة الاثنين ١٥/٨/٦٦ وفي الجلسة رقم ١٠٨ ــ الدورة الاولى استأنفت الجمعية التأسيسية مناقشة البيان الذي القاه السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء في الجلسة رقم ١٠٤ صباح الاربعاء ١٠ اغسطس كمنهاج لسياسة حكومته .

وكان من بين المتكلمين صديقنا حسن محجوب مصطفى (نائب الدائرة ٤٧ شندي الشرقية) ووزير الحكومة المحلية الاسبق وحديث حسن محجوب دائما لا يخلو من طرافة وواقعية .

قال سيادته ضمن ما قال في هذه الجلسة « اما عن التخطيط الاقتصادي فقد حدثتنا الحكومة السابقة عن نيتها لتكوين لجنة للتخطيط الاقتصادي واخشى ان هذه اللجنة ستكون في عهد هذه الحكومة من مديري المصالح وعلى نفس الاساس والرؤوس القديمة. اننا لا بد ان نستعين بالخبرة الدولية التي لها تجارب ناجحة في بلاد مماثلة لبلادنا واعتقد ان هذا البلد يحتاج الى قيادة جريئة زاهدة في الحكم يصدق عليها قول شوقي : ــ

يا باني الصرح لم يشغله ممتدح
عن البناء ولم يصرفه منتقد
اصم عن غضب من حوله ورضى
في ثورة تلد الابطال او تئد
بنيت صرحك من جهد البلاد كما
يبنى من الصخر الاساس والعمد

لما وجـدت معـدات البنـاء بنت
يداك للناس ما نمـوا وما حسـدوا
لم يطغـك الحكم في شتى مظاهره
ولا استخفك لـين العيش والرغـد

اننا لم نجد مثل هذا القائد فان الصادق المهدي سيكون صـوره من محمـد احمـد محجوب ومحجوب صوره من عبدالله خليل ومن ازهري وهكذا حتى عبود » .

* انتقلت قضية حل الحزب الشيوعي التي رفعت للمحكمة العليا في ديسمبر عام ١٩٦٥ مـن قاض الى قاض حتى تسلمها اخيرا القاضي النابه صلاح الديـن حسـن وفي صباح الخميس الثاني والعشريـن مـن شهـر ديسمبر عام ١٩٦٦ اعلـن سيادته حكمـه التاريخي في القضية وظل يتلو لاربعين دقيقة في هيبة الحق وقوته ومنطق العدالـة حيثيات القضية ثم اصدر القرار التالي :

١ ــ بهذا نعلـن ان الحريات المنصوص عليها في المادة ٥ (٢) من الدستور المؤقت المعدل عام ١٩٦٤ لا يجـوز الحد منها بتشريـع او تعديل دستوري .

٢ ــ ونعلن ايضا ان تعديل المادة ٥ (٢) الذي اجيز يوم ٢٢ نوفمبر يحد في الواقع من هذه الحقوق حول تكوين الجمعيات والهيئات .

٣ ــ وبهذا نعلـن ونأمر بان هذه التعديلات غير دستورية وهي لذلك باطلة وكل ما تعاق عليـها من تشريع اجيز على اساسهـا ويجب الغاؤه واعتباره كأن لم يكن ».

ولم يرض القوم بهذا الحكم الذي لم يكن يتوقعونه وعقـدت الجمعيـة التأسيسيـة جلسة استثنائية صباح الجمعة ١٩٦٦/١٢/٢٣

أي في اليوم التالي من صدور الحكم فاصدرت قرارا بعدم السماح للنواب الشيوعيين من حضور جلساتها .

وفي تلك الجلسة القى السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء بيانا عن القضية الدستورية هاجم فيها قرار المحكمة العليا بعدم دستورية حل الحزب الشيوعي وابعاد نوابه واكد ان الارادة الغالبة لشعبنا على اختلاف مشاربها قد صممت الا تسمح للنشاط الشيوعي في البلاد لان الشيوعية تنطوي على الالحاد وتسعى لبناء حكم استبدادي ولانها تحارب القيم الانسانية والخلقية واخذ يهاجم الشيوعية وان بعضا من الشباب انزلق في الهاوية وجردته الشيوعية من ذاتيته واخلاقه .

وكان الدكتور حسن الترابي امين عام جبهة الميثاق الاسلامي قد صرح لوكالة انباء الخرطوم قبل اعلان حكم المحكمة بقوله : —

« ان الجمعية التأسيسية هي اعلى سلطة تشريعية في البلاد وقرارتها فوق سلطة القضاء وتستطيع ان تلغي اي قرار تتخذه الهيئة التنفيذية او القضائية « وقال ايضا » انهم سيرفضون حكم القضاء اذا ما تعارض مع افكارهم ومبادئهم .

وفي الجلسة ١٦/٤/١٩٦٧ اصدر مجلس السيادة بيانا للشعب نقتطف منه ما يلي : —

« أ — ان الجمعية التأسيسية بوصفها الجهاز الذي تتمثل فيه السيادة السياسية والدستورية للامة تملك من الصلاحيات ما يخول لها اجراء أي تعديل تراه على الدستور المؤقت .

ب — ان الحكم الذي اصدره السيد قاضي المحكمة العليا بالانابة في القضية الدستورية في ٢٢ ديسمبر ١٩٦٦ حكم خاطىء من

وجهة النظر القانونية لمجافاته لكل قواعد القانون الدستوري المتعارف .

ج ــ ان الحكم الصادر من المحكمة العليا ، حكم تقريري لا يحمل ولا يمكن ان يحمل الزاما بتنفيذه .

د ــ ان مهمة المحكمة تنتهي باصدار الحكم وان تنفيذ الاحكام متروك للجهاز التنفيذي للدولة واذا رفض ذلك الجهاز التنفيذي حكم ما فهو محاسب على ذلك سياسيا امام الهيئة النيابية وامام الناخبين لا امام القضاء ويتبع هذا انه لم يحدث انتهاك لاستقلال القضاء» .

وهكذا وعندما حكم القضاء واعلن ان حل الحزب الشيوعي غير دستوري وخرقا للحريات الاساسية التي نص عليها الدستور اتضحت طبيعة النظام المعادي حتى للديمقراطية اللبرالية التي طالما تمشدقوا بانهم من حماتها عندما رفضوا الانصياع لما حكم به القضاء فابسط قواعد الديمقراطية اللبرالية هي قبولها لكلمة القضاء الذي جعل منه الدستور بصريح النص حارسا ومفسرا للدستور ولكنهم عندما شعروا بان رفض حكم القضاء جملة وتفصيلا سيجعلهم يظهرون حتى في نظر مريديهم بانهم قوم لا يحترمون مبدأ سيادة القانون لجأوا الى استعمال بعض الكلمات في القانون ليوهموا الذين لا دراية لهم بما تعنيه هذه الكلمات بانهم على حق عندما يرفضون تنفيذ ما حكم به القضاء ومن هنا نشأت اسطورة حكم المحكمة العليا بعدم دستورية حل الحزب الشيوعي ما هو الا حكم تقريري او حكم اعلاني وهو بهذه الصفة غير ملزم للسلطتين التشريعية والتنفيذية وعدم تنفيذه والامتثال له لا يسبب لهم أي حرج .

هذه هي المرحلة التي تجرد فيها النظام الحاكم من كل القيم للبرالية وهذه هي المرحلة التي تجرد فيها مستشاروهم القانونيون من

امانة المهنــة وداسوا على مبدأ سيادة القانون فبدلا من اسداء النصح النزيه الاميــن للساسة بالامتثال لحكم المحكمة مع الاحتفاظ بحقــهم في الاستئناف راحوا يزينون لهم تمردهم على القضاء واصبحوا يرددون ان حكم المحكمة ما هو الا حكم تقريري وهو بهذه الصفة غير واجب التنفيذ ولعمري ان هذه اسوأ نصيحة واسوأ استشارة قانونية يقدمها قانوني لموكله .

ان اساس دعوى الحزب الشيوعي عندما قدمها للمحكمة لم يطلب فيها سوى ان تعلــن المحكمة وتقرر ان حل الحزب الشيوعي اجــراء غيــر دستوري وما كان الحزب الشيوعي ان يسلك طريقا غير دعــوى لاعلان هذا لانه هو الطريق القانوني السليم والوحيد الذي ترفع على اساسه هذه الدعاوى والاجراء الوحيد ايضا الذي يمكن ان تصدره المحكمة هو ان تعلــن وتقرر دستورية او عدم دستورية الاجــــراء الذي نشأ بسببه النزاع وعندما تسلك المحكمة الطريق الوحيد الذي يكفله القانون تدور اسطوانة ان هذا حكم تقريري ولم يعلموا أو انهم ارادوا الا يعلموا ان المحكمة لا يمكن لها ان تصدر هذا الحكم الاعلاني او التقريري فالمجتمعات المتمدنة تتقــيد بتنفيذ احكام القضاء ســواء صدر حكم في صالح الاجهزة او ضدها ولكن النظام الحاكم في السودان عندما رفض تنفيذ ما اسماه بالحكم التقريري ليته ابان اي حكم يريد حتى يتسنى له تنفيذه وهم في الحق لن يأتوا بأي اسم للحكم الــذي يقبل التنفيذ لانه ليس هناك في دعاوى الحقوق الاساسيــة من سبيل لحمايتها سوى دعوى الاعلان او التقرير فقولهم ان الحكم تقريري غير واجب التنفيذ قول فيه كثير من عدم الامانة وفيه كثير من التضليــل وفيه كثير من الجهل ولكن المأساة تصبح دامية عندما يدافع قوم عــن مثل هذا القول المتصف بكل هذه الصفات القبيحة .

أيدت نقابة المحامين والهيئة القضائيــة واتحاد الصحافة واتحــاد

المعلمين واساتذة الجامعة قرار المحكمة وقد قضى مجلس السيادة على البقية الباقية من امل في الحفاظ على حكم القانون الامر الذي جعل السيد بابكر عوض الله رئيس القضاء يقدم استقالته من منصبه وهكذا ظل الشرفاء ينادون بحكم القانون وحرمة القضاء .

واي قانون ؟ قانونهم هم ومع ذلك رفضوا الاستجابة لحكمه .

ملحق رقم (١)

النص الكامل لفتوى النائب العام

السيد المحترم رئيس مجلس الوزراء ،

تحية طيبة :

بالاشارة لتكليفكم لي ببحث بعض الجوانب القانونية لموضوع اجراء الانتخابات العامة بالنسبة لقرار مجلس السيادة بالاستمرار في اجراء الانتخابات لقيام جمعية تأسيسية في الشمال وتأجيلها في المديريات الجنوبية .

٢ — ان الوضع الانتقالي الحالي وضع شاذ يقوم اساسا على الميثاق الذي حدد هذا الوضع بانه وضع انتقالي فقط ينتهي بإجراء انتخابات حرة عامة تشرف عليها لجنة مستقلة في تاريخ لا يتعدى شهر مارس سنة ١٩٦٥ لقيام جمعية تأسيسية يقع على عاتقها وضع الدستور الدائم واقراره وقيام حكومة يختارها الشعب وجاء الدستور المؤقت مؤكدا لهذا الوضع وحدد انتهائه بقيام الجمعية التأسيسية اواخر شهر مارس سنة ١٩٦٥ ايهما كان الاسبق .

٣ — وعلى هذا الاساس فان الالتزام الذي جاء به الميثاق وايده الدستور يقضي باجراء الانتخابات وقيام الجمعية التأسيسية وللوفاء بذلك يتحتم على السلطات الدستورية اتخاذ كل الخطوات اللازمة في هذا الصدد .

٤ ـ ولما بدا لمجلس الوزراء بان اجراء الانتخابات في جميع انحاء القطر امر غير ممكن رجع المجلس للاحزاب والهيئات التي وقعت الميثاق باعتبار ان الموضوع سياسي يستلزم حالة التشاور مع هذه الهيئات واجمع الرأي على ان اجراء الانتخابات لكل القطر غير ممكن ولكن الخلاف كان واضحا حول اجراء انتخابات جزئية .

٥ ـ وفي ١٩٦٥/٣/٢٨ والفترة الانتقالية وشيكة الانتهاء في ٣١ـ٣ دون امكان اجراء الانتخابات في كل انحاء القطر في اليوم الحادي والعشرين من شهر ابريل كان لا بد ان يعلن مجلس الوزراء مجلس السيادة بهذا الوضع واقترح مجلس الوزراء اما الرجوع للاحزاب والهيئات للاتفاق بشأن الوضع الجديد عن طريق حكومة قومية شاملة او اذا تعذر ذلك اجراء انتخابات جزئية في الشمال ثم انتخابات اخرى في الجنوب لتقوم الجمعية التأسيسية .

٦ ـ واضح الاحالة لمجلس السيادة كانت بصفته السلطة الدستورية العليا اذا لم يكن في امكان مجلس الوزراء في كل الظروف المحيطة اتخاذ قرار باجراء الانتخابات في كل القطر او الغاء تلك الانتخابات ما لم يتم اتفاق شامل واجماع في الرأي لقيام وضع جديد يقتضي بلا شك مواثيق جديدة وتعديل في الدستور .

٧ ـ وعلى اساس هذا الوضع فان مجلس السيادة وهو بلا شك جزء من السلطة التنفيذية اعطاه الدستور السلطة الدستورية العليا في السودان يملك الاختصاص الشخصي والموضوعي في اصدار القرارات حول موضوع اجراء الانتخابات ولهذا الغرض فان مباشرته لذلك الاختصاص يصبح واجبا قانونيا بموجب احكام الدستور .

٨ ـ ومن الواضح في كل هذه الظروف ان ممارسة مجلس السيادة لهذه السلطة هي وظيفة من وظائف المجلس يمارسها بصفةالاصالة وليس

بصفة التفويض من مجلس الوزراء ــ صحيح ان موضوع اجـــراء الانتخابات مــن اختصاص مجلس الوزراء ولكن لم يكن في استطاعة المجلس ممارسة هذا الاختصاص وليس هناك مجال للقول بان مجلس الوزراء قد تنازل عــن هذا الاختصاص او انه قد فرض سلطاته لمجلس السيــادة .

٩ ــ واذا نشأ اختصاص مجلس السيادة حول هذا الموضوع فان مجلس السيادة قد استعمل سلطاته بناء على ما تقدم به مجلس الوزراء مــن اراء ونصائح حسب مقتضيات الدستور .

١٠ ــ ويثور الان السؤال الثاني حول دستورية او عدم دستورية القرار الذي اتخذه مجلس السيادة باجراء الانتخابات لقيام جمعيــــة تأسيسيــة في الشمــال وتأجيلها في المديريات الجنوبية على ان تقــوم انتخابات تكميليــة فيما بعد في تلك المديريات .

١١ ــ والجواب على هذا السؤال يقتضي النظر اولا في قــرار اجراء الانتخابات الجزئية وثانيا قرار قيام الجمعية التأسيسية كنتيجة لهذه الانتخابات في الشمــال .

١٢ ــ اولا الانتخــابات الجزئيــة :

انني اتفق مع السادة الزملاء المحترمين مستشاري مجلس السيادة بان الميــثاق والدستور يشترطان صفة الحرية كصفة ملازمة للانتخابات فاذا انعدمت هذه الصفة بالنسبة للانتخابات في المديريات الجنوبية فان مجلس السيادة يملك السلطة الدستورية بتعطيل الانتخابات في هــذه المناطق ــ ولا يترتب على هذا التعطيــل تلقائيــا تعطيل الانتخابات في المديريــات الشماليــة بل ان الامر باجراء الانتخابات في هذه المديريات التزام ينبغي الوفاء به ما دام ذلك ممكنا وحتى لا يحرم جزء كبير مــن المواطنيــن مــن ممارسة حقوقهم الدستورية .

ثانيا ــ قرار قيام جمعية تأسيسية عقب الانتخابات الجزئية في الشمال :

لقد نص الميثاق الوطني الذي هو جزء لا يتجزأ من الدستور المؤقت على ضرورة اجراء انتخابات حرة عامة لقيام جمعية تأسيسية يقع على عاتقها وضع الدستور الدائم واقراره. ان طريقة وضع الدستور بواسطة جمعية تأسيسية هي اكثر الطرق ديمقراطية ، اذ بمقتضاها ينتخب الشعب باسره جمعية تتولى وضع الدستور وتكون لها الكلمة الاخيرة فيه بعد وضعه بمعنى ان يصبح الدستور نافذا بمجرد موافقة الجمعية عليه واصداره .

١٤ ــ مما تقدم يتضح ان المهمة الرئيسية للجمعية التأسيسية هي وضع الدستور الدائم للبلاد واقراره . والحق ان كلمة تأسيسية تعني في حد ذاتها ان الوظيفة التي سيعهد بها الى الجمعية المذكورة هي تأسيس السلطات العامة بمقتضى وثيقة دستورية ولا يحق لها ان تطرح هذه الوظيفة الاساسية جانبا كما جاء في فتوى هيئة المستشارين القانونيين لمجلس السيادة الموقر .

١٥ ــ ولما كانت الجمعية التأسيسية هي الهيئة المنوط بها وضع الدستور الذي سينظم قواعد الحكم ويوزع السلطات ، ويبين اختصاص كل منها ويضع الضمانات الاساسية لحقوق الافراد ، ويحدد مدى سلطات الدولة عليهم ، فمن الواجب ان يشترك الشعب باسره في انتخابها ، ان الدستور هو التعبير الاول عن سيادة الامة وارادتها ، ولنا ان نسأل : هل سيؤدي قرار مجلس السيادة القاضي باجراء الانتخابات في جزء من البلاد الى تحقيق هذه الغاية ؟ الجواب بالطبع لا لان قيام جمعية تأسيسية من الشماليين سوف تجعل ارادة الشعب ناقصة .

١٦ ــ واذا كانت الجمعية التأسيسية هي الهيئة المنوط بها وضع

الدستور ـــ فاذا ما قامت هذه الجمعية على اساس الانتخابات الجزئية في الشمال فان المواطنين في الاجزاء التي لم تجر فيها الانتخابات لا شك سيدعون انهم لم يمثلوا في الهيئة التي جاءت بذلك الدستور وبالتالي فلا يستقيم فرض مثل هذا الدستور على الاجزاء التي لم يمثل سكانها في انتخابات تلك الجمعية .

١٧ ـــ في اعتقادي ان هذه النقطة كانت واضحة لمجلس الوزراء عندما اقترح عدم دعوة اعضاء الجمعية في المديريات الشمالية للاجتماع حتى يتم انتخابات اعضاءها في المديريات الجنوبية ولا شك ان الهدف من وراء هذا الاقتراح هو استكمال عضوية الجمعية التأسيسية حتى تستطيع مزاولة صلاحيتها لوضع الدستور الدائم للبلاد .

١٨ ـــ واذا كان الميثاق والدستور يقتضيان اجراء انتخابات عامة هدفها قيام جمعية تأسيسية فان ما تتمخض عنه الانتخابات الجزئية في الشمال سيكون هيئة تفتقد اهم مقومات وصلاحيات الجمعية التأسيسية الا وهي وضع الدستور الدائم للبلاد ـــ ولا تملك هذه الجمعية طرح وظيفتها الاساسية جانبا حيث ان الدستور قد الزم هذه الهيئة بوضع الدستور واقراره حال قيامها ـــ ولا تملك اي هيئة اخرى سلطة ما لتحدد او تنقص من صلاحيات هذه الجمعية .

١٩ ـــ واذا جاز النظر في قيام هذه الهيئة المنتخبة على اساس انتخابات جزئية لتقوم بكل الصلاحيات المعطاة للجمعية التأسيسية في الدستور فيما عدا صلاحية وضع واقرار الدستور الدائم للبلاد فان ذلك بلا شك يقتضي تعديلا للدستور يمكن الاتفاق عليه بواسطة جميع الاحزاب والهيئات السودانية .

٢٠ ـــ خلاصة الرأي ان مجلس السيادة بوصفه السلطة الدستورية العليا مكلف بمساندة الدستور ومراعاة تنفيذ احكامه وبهذا الوضع

وفي كل الظروف السائدة فهو يملك سلطة اصدار القرار باجراء الانتخابات واذا تعذر اجراء هذه الانتخابات في بعض اجزاء القطر فهو يملك ايضا سلطة الامر بتعطيل الانتخابات في تلك الاجزاء ولكن الهيئة التي تتمخض عنها هذه الانتخابات ليست بالجمعية التأسيسية التي تملك وحدها سلطة وضع واقرار الدستور الدائم .

ارجو قبول فائق التقدير والاحترام .

عمر ابو بكر
النائب العام بالنيابة

١٩٦٥/٤/٢٠

ملحق رقم (٢)

اصدرت نقابة المحامين البيان التالي : ـ

ظل مجلس نقابة المحامين مجتمعا معظم ايام عيد الفداء المبارك يتدارس قرار مجلس السيادة الموقر والقاضي باجراء انتخابات جزئية في ٢١/٤/١٩٦٥ في شمال السودان دون جنوبه لقيام جمعية تأسيسية كما تدارس مجلس النقابة ـ ايضا ـ الفتوى القانونية التي تكرمت باسدائها لمجلس السيادة الموقر هيئة المستشارين القانونيين .

ونقابة المحامين ـ حرصا منها على واجبها في الادلاء برأيها في المسائل القومية الكبرى . وايمانا منها بدورها الطليعي التاريخي في توعية جماهير الشعب وتبصيرهم بالمخاطر التي تحيط بمكاسبهم ـ تكون قد قصرت في واجبها ان هي اغفلت مناقشة فتوى هيئة المستشارين القانونيين وما انبنى عليها من قرار مجلس السيادة الموقر آنف الذكر من النواحي القانونية والسياسية واضعة مصلحة البلاد العليا فوق كل اعتبار .

ونحن لن نناقش فتوى هيئة المستشارين القانونية بل نناقش ـ بالضرورة قرار مجلس السيادة الموقر المنبنى عليها . وكنا نريد لمجلس السيادة الموقر ان ينأى بنفسه عن مثل هذه المناقشة وذلك لسمو مكانته ورفعة شأنه ولكن لا حيلة لنا في ذلك

ونقابة المحامين تود ـ بادىء ذي بدىء ـ ان تتفق مع القائلين بان الوضع الحالي في البلاد وضع شاذ مؤقت يجب ان ينتهي بقيام

جمعية تأسيسية لوضع دستور دائم للبلاد واقراره ولكنا نختلف معهم فيما عدا ذلك سببا ونتيجة

اولا : صلاحيات مجلس السيادة .

واول ما يتبادر الى الذهن سؤال هام يتعين الرد عليه اولا وهو ما مدى صلاحية مجلس السيادة الموقر منفردا في اصدار القرار آنف الذكر ؟ اننا نرى بكل احترام ــ ان مجلس السيادة الموقر لا صلاحية له البتة في اصدار هذا القرار منفردا وذلك للاسباب الاتية :ــ

اولا ــ ان القواعد الدستورية الشرعية نصت في كافة الدساتير التي تطبق على نظام ديمقراطي برلماني على مبدأ هام وهو عدم مسئولية رأس الدولة وقد عرف هذا المبدأ تاريخيا منذ القدم عند الانجليز ــ بحق ــ ان الملك لا يخطىء . (The King can do no wrong)

وينتج من هذا المبدأ نتيجتان هامتان وهما : ــ

أ ــ انتقال السلطة الفعلية للوزراء

ب ــ عدم امكان رأس الدولة بمفرده .

فبمقتضى النتيجة الاولى تنتقل اختصاصات رئيس الدولة الى الوزارة وذلك لعدم مسئولية رئيس الدولة ــ ملكا كان او رئيس جمهورية او مجلس سيادة فرئيس الدولة لا يبت في امور الدولة بنفسه لان التقرير في هذه المسائل يؤدي الى المسئولية اذا ما اتضح خطؤه لذلك قيل : حيث لا سلطة لا مسئولية .

ومن مقتضى النتيجة الثانية ان رئيس الدولة لا يمكنه العمل بمفرده (The King can act alone) بل لا بد له ان يعمل مع و/او بواسطة وزرائه .

ثانيا : لان دستورنا المؤقت المعمول به حاليا نص على المبدأ

سالف الذكر صراحة في نصوص متفرقة منه ـ انظر المواد ١٢ و١٧و٢٦ (٢) و ٤٣ (١) من الدستور المؤقت المعدل لسنة ١٩٦٤ .

وعليه فان اصدر مجلس السيادة الموقر قراره الاخير منفردا او اصدره طارحا مشورة مجلس الوزراء في هذا الخصوص جانبا ـ وهو ما يقوم مقام الانفراد ـ فان ذلك القرار يكون قد خالف الدستور ويقع باطلا بطلانا مطلقا من الناحية القانونية ولا يفوتنا في هذا المقام ـ ان ننوه بانه اذا كان من الخطأ والخطر ان ينفرد مجلس سيادتنا الموقر بالعمل ذلك لان تكوين مجلسنا الموقر روعي فيه التمثيل الحزبي وكثيرا ما تنعكس الرغبات الحزبية المختلفة في قرارات اعضائه ولعل قرار مجلس السيادة الموقر آنف الذكر وموضوع هذا البيان لم يخل من انعكاس هذه الصورة البغيضة .

ثانيا ـ جمعية تأسيسية ام برلمان ؟

لقد صدر قرار مجلس السيادة الموقر باجراء انتخابات جزئية لشمال السودان دون جنوبه في ٢١/٤/١٩٦٥ لقيام جمعية تأسيسية كما حاولت الفتوى القانونية لهيئة المستشارين باصرار ان تؤكد ان الانتخابات المذكورة ستجري لقيام جمعية تأسيسية . ولكننا نسأل : هل مثل هذه الانتخابات ـ بكل ظروفها ـ ستؤدي فعلا الى قيام جمعية تأسيسية ام لقيام شيء اخر قد يكون برلمانا او جمعية تشريعية لشمال السودان او ما الى ذلك ؟

للاجابة على هذا السؤال الهام لا بد لنا من التمييز ـ قانونا ـ بين الجمعية التأسيسية والبرلمان .

أ ـ تتفق الجمعيات التأسيسية والهيئات التشريعية ـ برلمانات ، جمعيات تشريعية ، مؤتمرات ... الخ ـ في ان كلا منهما ينشأ على اثر وبناء على انتخابات حرة عامة .

ب ـ غير ان الجمعية التأسيسية تختلف عن الهيئات التشريعية في طبيعة تكوينها وفي صلاحياتها وفي خطورتها وفي مدى الاحتفال بها . ففي التكوين يختلف عضو الجمعية التأسيسية عن عضو الهيئات التشريعية من حيث الواجب المنوط به ومن حيث انتخابه ابتداء . فالناخب عادة ـ يدقق ويمحص في اختيار المرشح للجمعية التأسيسية بقدر اكبر وجدية اكثر مما يمحص في اختيار عضو الهيئة التشريعية .. ومن حيث الصلاحيات فالجمعية التأسيسية تملك صلاحيات لا تملكها الهيئة التشريعية واهم هذه الصلاحيات ـ بل اهم الواجبات ـ وضع دستور دائم للبلاد وأقراره . ومن حيث الخطورة فان الجمعية التأسيسية تملك وحدها ـ دون سائر الهيئات التشريعية الاخرى تقرير المصير السياسي للقطر كله او لجزء منه . ومن حيث الاحتفال بها فقد نصت اغلب الدساتير على ان الحل ينصب على الهيئات التشريعية ولا يجوز ممارسته في الجمعية التأسيسية .

وقد طبق دستورنا المؤقت المعدل لسنة ١٩٦٤ هذه المبادىء في المادة ٥٣ (٢) منه على حق وواجب الجمعية التأسيسية في القيام بوضع الدستور الدائم واقراره. ونص في ذيل المادة ٥٣ (١) منه على عدم جواز حل الجمعية التأسيسية .

ومن الغريب حقا ان هيئة المستشارين الموقرة اثبتت في فتواها المهام التي يتوجب على الجمعية التأسيسية الاضطلاع بها وذلك في ٧ بنود وضعتها ..

جعلت في ذيلها في البند السابع واجب وضع الدستور واقراره في حين ان هذا الواجب هو اهم واجبات الجمعية التأسيسية واحرى به ان يوضع بندا اولا لا بندا سابعا بل لو وضع بندا وحيدا لما جانبه الصواب فالبنود الاخرى تدخل تبعا ـ وكأمر مفروغ منه من غير النص عليه

صراحة ـ في اختصاصات وواجبات الجمعية التأسيسية .

ولم تقف الفتوى عند هذا الحد من الغرابة بل ذهبت لتقول وللجمعية التأسيسية وحدها ان تقرر ما اذا كانت ستقوم جميع تلك الوظائف « السبع » ام ان هناك ما يبرر اقتصارها على البعض منها .. فان قصدت الفتوى بذلك ان نعطي الحق للجمعية التأسيسية في ان تمارس ما تشاء من ممارسته من وظائف وان تستبعد ما تشاء لجاز لها ان تستبعد اهم وظيفة لها وهي القيام بوضع دستور دائم للبلاد واقراره وهذا ما لا يقول به احد بل انه خطأ دستوري لا مثيل له . ومن رأينا أن الجمعية التأسيسية ما قامت ـ في المقام الاول ـ الا لممارسة وظيفتها الاساسية في وضع الدستور الدائم للبلاد واقراره . ومن الخطأ ان يعطي لها الحق في ممارسة هذا الواجب او عدم ممارسته بل ان النص الدستوري صريح لا لبس فيه في انه يتحتم على الجمعية التأسيسية القيام بهذا الواجب اولا واعلاء على اي واجب او وظيفة اخرى « انظر المادة ٥٣ (٢) من الدستور » وذلك تنفيذا لنص الميثاق الوطني وروحه .

ونقابة المحامين لا يسعها الا ان تبدي الاسف والدهشة لوقوع هيئة المستشارين الموقرة في هذا الخطأ الكبير . ولا يمكن لنقابة المحامين انتسند هذا الخطأ الى جهل هيئة المستشارين الموقرة او غفلتهم.

ونعود مرة اخرى الى السؤال الذي طرحناه امامنا في صدر هذا البند وهو : هل مثل هذه الانتخابات التي ستجري ـ بكل ظروفها ستؤدي فعلا الى قيام جمعية تأسيسية ام برلمان ؟ ولكننا نرجو اننرجىء الاجابة على هذا السؤال مؤقتا وبعد الفراغ من بحث النقطة التالية لارتباط الموضوعين معا وحتى تسهل الاجابة على ذلك السؤال

ثالثا : الانتخابات : ــ

ما هو الانتخاب ؟ وما هو التكييف القانوني لعملية الانتخابات ؟ من المسلم به ان الانتخاب هو التعبير عن الارادة الحرة لاختيار افراد من الشعب ليقوموا باعباء وضع قواعد للحكم او ممارسته نيابة عن الشعب .

وجمهرة الفقهاء الدستوريين تجمع على ان هيئة الناخبين ليست ثمرة تحليل قانوني وانما هي نتيجة دستورية لقوى اجتماعية قائمة في بلد ما في وقت ما . وعلى ذلك فاذا اراد المشرع اقامة قاعدة انتخابية صحيحة دائمة وجب عليه ان يمنح حق الانتخاب كل من له قوة اجتماعية كبيرة وكل قادر على استعمال هذا الحق بكيفية عادية وفي يسر ووضوح .

وعلى هذا فاننا نرى ان هيئة المستشارين قد اخطأت في التكييف الصحيح للانتخابات من حيث الغرض منها ومن حيث ماهيتها ايضا فقد رأت هيئة المستشارين بان الشكوك تثور حول حرية الانتخابات وعدالتها في المديريات الجنوبية خاصة ومع ذلك فقد انتهت الى القول بجواز اجراء الانتخابات في جزء من البلاد دون الاخر وهو قول مردود لما يلي من اسباب .

١ ــ ان نص الميثاق الوطني على تكوين جمعية تأسيسية يعني دون شك اختيار مجموعة صالحة من افراد الشعب في الشمال والجنوب وفي الشرق والغرب وذلك بواسطة كل سوداني يقيم في أي بقعة من بقاع السودان وذلك لكي يكون كل فرد في السودان ممثلا في الجمعية التأسيسية ولكي يكون بالمثل كل اقليم من اقاليمه ممثلا تمثيلا صحيحا حتى يكون الدستور المزمع وضعه صورة صحيحة ناطقة باماني وآمال البلاد جميعها وعدم اشتراك سكان المديريات الجنوبية في عملية

الانتخاب او تقديم مندوبين عنهم يفقد الجمعية التأسيسية ركنا هاما من اركانها اذ ليس مـن اليسير اقناع سكان الجنوب والحال هذا بـان الجمعية المنتخبة جمعية تأسيسيـة في معنى الميثاق الوطني وانه تتركز فيها وحدها سلطة اصدار الدستور او انه يمكن ان يترتب على الدستور الزاما لسكان الجنوب بالواجبات التي ينص فيها عليه ولم يمثلوا هم فيه تمثيـلا صحيحا ويبعـد ان يرتضوا به وقد قام دون معاونـة او مساهمة منـهم .

٢ ـ من المعروف ان من طرق الانتخابات طريقين احدهما طريق الانتخاب الفردي والاخر طريق الانتخاب بالقائمة . وقد اخذت قوانين الانتخابات بالطريقتين معا في البند ٨ (١) و١٣ (٢) وذلك لان المشرع السوداني قد نص على ان من شروط في الدوائر الاقليمية الاقامة مـدة معينة في تلك الدائرة ليتمكن من انتخاب ممثل واحد له ولكنه في دوائر الخريجين نص على وجوب انتخاب خمسة عشر نائبا ليمثلوا السودان كله ايا كانت اقامة الناخب ولذلك فان عدم امكانية سكان المديريـات الجنوبيـة في الادلاء باصواتهم ممن ينطبق عليهم وصف الخريجين يبطل هذه الانتخابات كلية كما يفقد المرشحين عموما في دوائر الخريجين اصواتا عديدة من تلك المديريات الجنوبية مما يؤثر فعلا على سلامةو صحـة تمثيله من ناحية كما ان من له حق الانتخاب منهم في تلك المديريات ولم يدل برأيه في المرشحيـن قد يستشعر بان هذا التمثيل مفروض عليـه فرضا ولا يمثل الا صورة ممسوخة لديمقراطية زائفة .

ويترتب على هذا اهدار اصوات عدد كبير من الخريجين مثلمـا تهدر اصوات ابناء الجنوب في مديريات يعيش فيها اكثر من ثلاثـة ملايين نسمة وفي رقعة تبلغ مساحتها ثلث مساحة القطر تقريبا .

ولذلك فالاثر القانوني المترتب على عدم اجـراء انتخابـات في

المديريات الجنوبية هو بطلان الانتخابات بطلانا مطلقا بالنسبة لدوائر الخريجين التي يجب لصحة اجرائها توافر شرطي الحرية المطلقة والعمومية في جميع اراضي جمهورية السودان دون تمييز او تفرقة وهو ما لا يتوافر مطلقا بقرار مجلس السيادة الموقر في اجراء الانتخابات في الشمال دون الجنوب .

٣ ـ ان انعدام حرية الانتخابات في ثلاث من اكبر مديريات السودان لا يجعل الانتخابات انتخابات عامة او صحيحة ابتداء من ذلك لان من القواعد الاصولية في الفقه الدستوري ان النائب لا يمثل دائرة معينة بل يمثل البلاد كلها ويمثل مصالح السودانيين كلهم وليس فقط مصالح من يقيمون شمالا او جنوبا شرقا او غربا ولذلك فان زعم القاطن في الشمال بالقول بانه يمثل كل بقعة من بقاع الوطن في حين انه يعلم موقف سكان الجنوب من مقاطعة الانتخابات يجعل هذا الوضع اكثر شذوذا من الموقف الراهن وليس من سبيل لتصحيح الاوضاع غير الاهتداء بنصوص وروح الميثاق الوطني نفسه .

٤ ـ اما القول بتطبيق نظرية العفاء الجزئي للالتزام القانوني « وهي في حقيقتها تطبق في مجال القانون الخاص لا العام » مردود عليه بما سبق ان ذكرنا من ان المفروض في النائب سواء في الدائرة الاقليمية او في دوائر الخريجين ان يمثل جميع افراد الشعب السوداني وعدم الاخذ باصوات الجنوب يفقد الاقتراع عموميته وبالتالي يفقد التمثيل ركنه المادي وجوهره المعنوي فضلا عن ان النظرية المذكورة نظرية لا ترد الا في دائرة القانون الخاص (المدني والتجاري) ولكن لا انطباق لها على المسائل الدستورية وهي من صميم مشروع القانون العام .

والرأي عندنا ان القول « بانه يمكن ان تستكمل الانتخابات فيما

بعد » فيه مغالطات واضحة ومحاولة لتفسير قواعد الدستور التي يعتمد على المنطق السياسي والاجتماعي والاقتصادي بقواعد القانون المدني في حين ان ثمة فروقا واضحة فيمحيط كل من قواعد الدستور والقانون المدني . وتكملة الانتخابات يقصد بها اقامة انتخابات تكميلية في دائرة معينة لظروف قاهرة مثلا او في دوائر متفرقة مثلا لظروف مفاجئة كموت نائب بعد انتخابه او صدور حكم من محكمة مختصة ببطلان انتخابه

ولكنا لا نعتقد ان ثمة مسوغا للقول بانه يجوز استكمال اعضاء الجمعية التأسيسية في فترات متقطعة لاحقة لان القول بذلك يتطلب بالضرورة ان تجمد الجمعية التأسيسية غرضها الاول وتبقى هيكلا بلا حراك الى حين انتخاب واحد في مديرية من المديريات الجنوبية ثم انتخاب اخر في دائرة جنوبية اخرى وهكذا تقف عجلة التاريخ لاغراض شخصية ودوافع ذاتية سيما وان مدة الجمعية التأسيسية محددة وموقوتة بسنتين فقط «انظر مادة ٥٣ (١) من قانون الدستور» وتعرقل تطور بلادنا لوجوب استكمال عدد اخر لازم ويقف ثوار اكتوبر في مفترق الطرق مرة بعد اخرى مما يهدد مكاسبنا فعلا ويجعلنا نجري وراء مبررات تهدف الى الاتيان بجمعية تأسيسية تعجز عن اداء واجبها الاول الاساسي في وضع دستور دائم للبلاد يمثل امال الشعب السوداني والاشارة الواردة في فتوى هيئة المستشارين القانونيين الى نص المادة ١٤ من قانون الانتخابات لسنة ٦٥ لا مساغ لها وفقا للظروف الملابسة اذ ان تفسير عبارة انتخابات تكميلية التي وردت في قانون الانتخابات لا يمكن القول بان المقصود منها هو اجراء انتخابات كاملة في مديريات باكملها في جمهورية السودان . وهذه المديريات تمثل وجهة نظر معينة سيما بما لها من وضع خاص وينادي بعض من سكانها بالانفصال ولكن المقصود بهذه العبارة قانونا وفقها هو لتكملة الفجائية الطارئة لظروف طارئة مؤقتة ومفاجئة عن طريق اجراء مثل تلك الانتخابات

التكميلية . وبالتالي فلفظ « تكميلي» لا يمكن ان ينطبق على جميع المديريات الجنوبية باكملها وبرمتها ولهذا فان عدم اجراء الانتخابات في الجنوب باكمله تجعلنا نؤكد ـ من وجهة نظر قانونية بحتة ـ بان في هذا انتفاء لشرط اساسي من الشروط الواجب توافرها لصحة اجراء انتخابات عامة الغرض منها اساسا هو قيام جمعية تأسيسية تقوم بوضع دستور دائم للبلاد وأقراره . ولفظ تكميلي اذا وضع بجانب شرط العمومية يجب قانونا الا يفسر ليشمل مديريات ثلاث من اكبر مديريات السودان حيث ان شرط العمومية لن يكون متوافرا في مثل هذه الحالة اذ ان الانتخابات التكميلية لا يجب ان تتوافر ابتداء بهذه الصفة العامة التي تنفي بحد ذاتها صفة العمومية . وبانتفاء هذا الشرط الاساسي قانونا نجد انفسنا امام نتيجة قانونية واحدة هي بطلان اجراء مثل تلك الانتخابات في الشمال دون الجنوب .

٥ ـ لقد ورد في نص المادة ٢٣ من الدستور الموقت المعدل لسنة ١٩٥٤ ما يلي : ـ

« يعين مجلس السيادة بناء على نصيحة رئيس الوزراء عددا من الوزراء لا يقل عن عشرة ولا يزيد على خمسة عشر وزيرا للمصالح او وزراء دولة يكون منهم وزيران على الاقل في كل مجلس الوزراء ممن يمثلون المديريات الجنوبية على انه يجوز لمجلس السيادة بمحض تقديره ان يتحلل من هذا القيد الاخير اذا اقتنع في اي وقت ان حق تمثيل المديريات الجنوبية تمثيلا خاصا في مجلس الوزراء قد اسيء استعماله» .

وظاهر من هذا النص ان الدستور قد قصد ان يكون ممثلو المديريات الجنوبية من اعضاء الجمعية التأسيسية وخاصة اذا اخذنا في الاعتبار القول « يكون منهم وزيران على الاقل في مجلس الوزراء ممن يمثلون المديريات الجنوبية » الامر الذي يستلزم

بالضرورة ان الانتخابات يجب اجراؤها بداءة في المديريات الجنوبية مثل ما تجري في المديريات الشمالية وان عدم اجرائها بداءة فيهما معا اهدار للنص المذكور اذ انه لدى اجراء انتخابات في الشمال دون مديريات الجنوب وتكوين جمعية تأسيسية فان الوضع الوزاري عندئذ سيكون فيه مخالفة للنص دون ريب ذلك لان الوزارة ان قامت دون ان يكون فيها وزيران جنوبيان او اكثر لكان في ذلك مخالفة صريحة لا جدال فيها وان تم تعيين وزيرين من سكان الجنوب فكيف يقال او يدعى انهما يمثلان المديريات الجنوبية ولم يتم اجراء انتخابات فيها ولم يساهم سكان الجنوب في الانتخابات في هذا ايضا مخالفة دستورية .

ولا يفوتنا ان نذكر انه على الرغم من صحة ما انتهى اليه المستشارون من ان تعطيل الانتخابات في الجنوب ليس حجة قانونية لتأييد فصل الجنوب عن الشمال الا ان الاقدام على مثل هذا التصرف قد يترتب عليه نتائج وآثار خطيرة وانه قد يترتب على عدم اجراء الانتخابات في الجنوب تدويل لمشكلة الجنوب اي يساعد على اثارة المسألة على نطاق عالمي ودولي ذلك لان مبدأ السيادة المطلقة على الاقليم والسكان داخليا لم يعد مبدأ مطلقا في الفقه القانوني الحديث وقد جرى العمل في فروع الامم المتحدة على اعتبار مسألة حقوق الانسان والحريات الاساسية للافراد مسألة ذات صبغة دولية تخضع لاختصاص هيئة الامم المتحدة ولعل اقرب مثل لذلك تدخل هيئة الامم المتحدة في مشكلة قبرص واننا وان كنا نعترف بان تدخل هيئة الامم المتحدة في مثل هذه الشئون لم يجر عليه العمل او يستقر الى الحد الذي يصبح فيه مبدأ قانونيا ملزما ومسلما به الا ان ما يخشاه السودانيون هو ان يتخذ بعض سكان الجنوب واقعة اجراء انتخابات في الشمال فحسب تكأة يستندون عليها وسندا يعتمدون عليه في اثارة مزيد من القلاقل والاضطرابات ومزيد من الاشاعات والبلبلة ونقطة ارتكاز لتدويل المشكلة

والعمل على تقوية التدخل الخارجي ..

وقد اوردت فتوى هيئة المستشارين امثلة للاستدلال على امكانية اجراء انتخابات جزئيــة تعقبها اخرى تكميلية في اقطار سمتها . غير ان الامثلة التي اوردتها في هذا الصدد لا تتفق بحال مــن الاحوال مــع واقع الحــال والمرحلة التي تجتازها بلادنا فما ورد في تلك المذكرة من انتخابات اجرتها غانا ونيجيريا والولايات المتحدة كان هدفها قيــام هيئة تشريعية او برلمان عادي في حين ان نص وروح الميثــاق الوطنــي والدستــور الموقت المعــدل لسنة ٦٤ ينحصر اساسا في قيام جمعيــة تأسيسية تستهدف اساسا وضع دستور دائم للبلاد أي وثيقة اساسية لضمــان الحقوق والواجبات الاساسية . هذا فضلا عن توافر الظروف الملائمة لاجراء انتخابات عامة وتهيئة الجو الحر المحايد الذي تنبثــق منه الارادة الشعبية المتمثلة في اجلى صورها .

اما الحال عندنا فهو على النقيض من ذلك فاضطراب حبل الامــن ووقوع الاكراه المادي والمعنوي على المواطنيــن في الجنوب يجعــل اجراء الانتخابات هناك في هذه الظروف في حكم المستحيل . وغنى عن البيــان ان اقحام مشكلة كشمير في هذا النطاق الذي اوردته مذكــرة هيئة المستشاريــن يتجافى وواقع الحال هنا فــان مشكلة كشمير كانت ولا تزال نزاعا دوليــا سبق عرضه على هيئة الامم المتحدة واصــدرت فيه قرارها باجراء استفتاء بالمفهوم الدولي تحت اشراف هيئة الامــم المتحدة اعمالا لنص المادة الثانية مــن ميثاق الامم المتحدة .

ومــن هنا نستطيع الان الاجابة على السؤال الذي طرحنــاه في البند السابق الا وهو : هل مثل هذه الانتخابات التي ستجري ــ كل ظروفها ــ ستؤدي فعلا الى قيام جمعية تأسيسية ام برلمان ؟؟

الاجابة في رأينا ــ ان مثل هذه الانتخابات لا تؤدي مطلقا الــى قيــام جمعيــة تأسيســة بل ان ما يتمخض عنها قد يسمى برلمــان

او أي اسم اخر مما يصدق عليه صفة الهيئة التشريعية فقط لان هذه الانتخابات لن توفر للجمعية التي ستقوم بناء عليها ايا من مقومات الجمعيات التأسيسية الاساسية ولذلك فتسمية هذه الجمعية التي ستقوم بناء على هذه الانتخابات المزمع اجراؤها في٢١/٤/٦٥ بالجمعية التأسيسية خطا قانوني مطلق .

رابعا : حراسة الدستور :ــ

ان زعم هيئة المستشارين بان مجلس السيادة هو حارس الدستور زعم باطل من اساسه فالرد عليه هو نص المادة ٩٩(١) من الدستور الموقت المعدل لسنة ٦٤ الذي يورد بصراحة ان الهيئة القضائية وحدها هي حارسة الدستور حيث يقول .

الهيئة القضائية هي حارس الدستور ولها اختصاص النظر والحكم في اية مسألة تشمل تفسيره او تطبيق الحقوق والحريات الممنوحة بموجب الفصل الثاني .

والنص ظاهر يتحدث عن نفسه ولا مساغ قانونا للاجتهاد في مورد النص الصريح .

يخلص من كل ما تقدم ان الميثاق الوطني والدستور المؤقت المعدل سنة ٦٤ والقواعد الدستورية المرعية تقضي بعدم الاخذ بما جاء في فتوى هيئة المستشارين الموقرة وما تمخض عنها من قرار مجلس السيادة الموقر بل يتوجب في نظرنا ــ ان تقوم الانتخابات في عموم القطر دفعة واحدة وفي وقت واحد لكي تقوم جمعية تأسيسية سليمة تتوافق مع نص وروح الميثاق الوطني والدستور ..

والله ولي التوفيق ،

امين الشبلي ــ نقيب المحامين
بامر مجلس نقابة المحامين

ملحق رقم (٣)

بيان من الحزب الشيوعي السوداني حول المعركة الانتخابية

يجدر بنا ونحن نقبل على فترة جديدة في تاريخ ثورتنا ،ان ترسم خطانا منذ الحادي والعشرين من اكتوبر ١٩٦٤ بهدف تجميع القـوى الوطنية الديمقراطية صانعة الثورة ، لاحباط مؤامرة الاحزاب الرجعية التي تهدف الى تصفية الديمقراطية واقامة حكم رجعي في البلاد .

الطريق الديمقراطي للثورة :

منذ قيام الثورة وتكويـن الحكومة الوطنية الاولـى ، نشأ في البلاد صراع حاد بين القوات الوطنية والقوى الرجعية حوال مستقبل التطور الديمقراطي للبلاد . فشرعت القوات الوطنيـة ذات المصلحـة الحقيقية في تطور الثورة تعمل لارساء قواعد الديمقراطية التي تخدم مصالح الشعب وتعبر عن ارادة العمال والمزارعين والمثقفين الوطنيـين ورجال الاعمـال المتحررين من نفوذ الاستعمار الاجنبي . فطالبـت الجماهير باتخاذ خطوات محددة لتأمين الثورة وحماية الديمقراطية كيما تتحول فترة الانتقال الى جسر تعبر عليه بلادنا نحو الحكم الوطنـي الديمقراطي السليم .

كانت تلك الخطوات هي :ـ

* تصفية كل مظاهر وبقايا الدكتاتوريـة العسكرية بانجـاز التطهير والغاء كافة القوانين المقيدة للحريات وسن تشريعات

جديدة تؤمن للشعب حقوقه الاساسية .

* تصفية الادارة الاهلية واتخاذ خطوات محسوسة لتحقيق الاصلاح الزراعي .
* محاكمة مدبري انقلاب ١٧ نوفمبر ــ حل مشكلة الجنوب حلا ديمقراطيا سليما ــ الحد من النفوذ السياسي والاقتصادي للاستعمار في البلاد .
* انتهاج سياسة خارجية تحررية ومساندة ثوار الكونغو والجنوب العربي .

الانتخابات ومستقبل الثورة :

كانت القوى الديمقراطية ترى ان انجاز هذه الخطوات سيخلق الجو الديمقراطي الملائم لاجراء انتخابات نظيفة تعبر عن ارادة الشعب ، وحرصا منها على ان تصبح تلك الانتخابات امتدادا للثورة طالبت القوى الوطنية بوضع قانون جديد للانتخابات يضمن للجماهير التي صنعت الثورة تمثيلا عادلا في الجمعية التأسيسية وذلك باعادة توزيع للدوائر الانتخابية وفق احصاء دقيق للسكان وعلى اسس جغرافية لا قبلية ، وتخصيص دوائر للعمال والمزارعين .

ولكن الحكومة الوطنية الاولى لم تتجاوب مع رغبات الشعب فأجازت قانون الانتخابات القديم الذي وضعه حزب الامة عام ١٩٥٧ ليضمن توزيع الدوائر لمصلحته مما جعله يفوز باغلبية المقاعد في برلمان ١٩٥٨ على الرغم من انه لم يحصل على اغلبية الاصوات حيث حصل على ٤١٥ الف صوت فقط ، بينما حصل الحزب الوطني الاتحادي على ٤٥٦ الف صوت .

لقد وجهت الحكومة الوطنية الاولى بأجازتها ذلك القانون الضربة الاولى نحو التطور الديمقراطي للثورة .

وعند بداية الازمة السياسية في منتصف فبراير هذا العام ، اوضح الحزب الشيوعي رأيه بصراحة ووضوح حول الاضرار التي تلحق بمصالح الوطن والشعب من التعجل في اجراء الانتخابات وتحت هذا القانون الرجعي فطالبنا بمد فترة الانتقال ووضع ميثاق ديمقراطي جديد تنفذه حكومة قومية مرضية لكل الاحزاب تؤمن مكاسب الثورة ويعمل على تطويرها . وكان رائدنا في ذلك مصلحة البلاد لا المصلحة الخاصة او المكاسب الحزبية . واوضحنا ان مد فترة الانتقال وتأجيل الانتخابات يعطي البلاد فرصة لاستتباب الامن في الجنوب ، ويساعد على دراسة اخطاء الماضي واستقصاء اسباب فشل الاشكال التي مارسنا بها الديمقراطية بعد الاستقلال مما ادى لحدوث الانقلاب العسكري.

واكدنا اكثر من مرة ان اجراء الانتخابات في الشمال دون الجنوب يفتح ثغرة للعناصر المتطرفة للعبث بوحدة البلاد ، واشرنا الى ان هذه الانتخابات لن تؤدي الى قيام جمعية تأسيسية خاصة نسبة التسجيل لا تتعدى ٤٠ في المائة .

الاحزاب الرجعية تتآمر على الثورة :

بعد كل التطورات الماضية يحق للمرء ان يتساءل :ـ ما هي اهداف الاحزاب الرجعية ؟ـ لماذا تستعجل هذه الاحزاب اجراء الانتخابات رغم كل المخاطر المحدقة بالبلاد ؟ ان المتتبع لسير الاحداث منذ تكوين الحكومة الوطنية الاولى يجد ان حزب الامة وقيادة الوطني الاتحادي وجماعة الاخوان المسلمين وحدوا صفوفهم وشنوا هجوما سافرا هدفه ابعاد القوى الشعبية عن الحكم .فقد خلقت القوى الرجعية ضجة كبيرة تحت ستار الهجوم على الشيوعية تارة، وخرق الميثاق تارة اخرى ، ولجأت لاساليب ضغط واستفزاز غير مشروعة حتى اسقطت الحكومة الوطنية . وكان هدف الرجعية من وراء ذلك ابعاد اي ممثلين للقوى

الشعبيـــة في الحكم لان وجود ممثلي الشعب في الحكومة يساعد على انجاز الخطوات الثورية التي ارادها الشعب ويفتح الطريق لتطـــور الثورة الديمقراطية . وقد نجحت الرجعيـــة نسبيـــا في خطتها بأسقاط الحكومة الاولى .

ورفضت الاحزاب الرجعيـــة ان تحتكم لصوت العقل والحكمة والمنطق واعلنت معارضتها لمد فترة الانتقال وفق ميثاق جديد وتكوين قومي للحكومة . فهي تدرك ان القوى الديمقراطية في البلاد تســير في صعود مستمر، وان مد فترة الانتقال يعطي هذه القوى مكاسب جديدة في حين ان الجبهة الرجعيـــة تعاني مـــن التصدع والضعف وبصفة خاصة في قيـــادة الحزب الوطني الاتحادي .

لهذا كله خطت الاحزاب الرجعية خطوتها الثانية في تنفيـــذ خطتها لتصفية الثورة فأستعجلت اجراء الانتخابات في الشمال دون الجنـــوب رغم النسبة الضعيفة من التسجيل ظنا منها انها ستنجح في ابعاد القوى الوطنية نهائيا مـــن الاشتراك في البرلمان والحكم .

واجب الساعة تفشيل المؤامرة

بما ان الاحزاب الرجعية تسعى لاجراء الانتخابات رغم كل المخاطر والصعوبات بهدف عزل القوى الوطنية ، واقامة حكم برلماني رجعي ، فان الواجب الذي يواجه كل مواطن ومواطنة هو العمل الجاد لتحويل الانتخابات الى ميدان جديد لهزيمة الرجعيـــة بالتصويت للمرشحـــين الثوريين من عمـــال ومزارعين ومثقفين وطنيين وشيوعيين .

لقد فشل الاستعمار في المحافظة على مصالحه في بلادنا بواسطـــة الدكتاتورية العسكريـــة السافرة . وهو يحاول اليوم بالتعاون مـــع الاحزاب الرجعية اقامة شكل برلماني للدكتاتورية لقهر شعبنا وتصفية

ثورته . وعلى القوى الوطنية ان تتحلى باليقظة التامة تجاه مستقبل الديمقراطية . وان تفطن للمؤامرة التي تهدف لعزل ثوار الحادي والعشرين من اكتوبر من مؤسسات الحكم في بلادنا .

علينا ان لا نترك الرجعية تخرج ظافرة منتصرة من هذه الانتخابات ، وان نهزمها في الميدان الذي اختارته لتنفيذ مؤامرتها ، وذلك بتأمين دخول المرشحين الثوريين للبرلمان ليحولوا دون انفراد الرجعية بمؤسسات الحكم ، ويدافعوا عن اهداف الثورة وحقوق الشعب . بذلك وحده نلحق هزيمة جديدة بالرجعية ، ونسند حركتنا الجماهيرية الثورية بقوة ذات أثر من النواب الثوريين داخل البرلمان .

فمن اجل احباط المؤامرة الرجعية ـ من اجل نهوض جديد للقوى الثورية ـ من اجل انتصارات جديدة لاهداف وثوار اكتوبر .

ادلوا بأصواتكم للمرشحين الثوريين وأهزموا مرشحي الرجعية

السكرتارية المركزية للحزب الشيوعي السوداني

١٩٦٤/٤/٨

ملحق رقم (٤)

بيان تاريخي خطير

فتوى النائب العام سلاح في يد الشعب

يا جماهير شعبنا الباسل يا ثوار اكتوبر يا حماة وحدة البلاد ، نخاطبكم اليوم وقد بدأت جريمة الانتخابات وفقا للمخطط الاستعماري تتعرى والحقائق تتجلى ولم يبق امامنا الا ان نذود عن وحدة البلاد ونحمي سيادتها ونعزز ثورتها التي لا تزال دماء الشهداء تروي ثرى ارضها الطاهرة . يا جماهير شعبنا الاصيل لقد نبهنا في صدق الى ان اجراء انتخابات في الشمال دون الجنوب يعني فصل الجنوب عن السودان وها هو اليوم الاول لموعد ارتكاب الجريمة لم يمض فاذا بنا امام انباء مؤكدة عن خطط معدة لتأليف حكومة في الجنوب باسم دولة ازانيا بمجرد انتهاء الانتخابات كما ان امريكا وبريطانيا واسرائيل وتشومبي سوف يعترفون على الفور بها . اننا حينما قررنا مقاطعة ومقاومة الانتخابات كنا نعلم هذه الحقيقة التي تكشفت اليوم وكنا على حق في دعوتنا الصريحة لمقاطعة الانتخابات باعتبارها عملا غير وطني وغير دستوري ايضا وكونها عملا غير وطني تؤكده هذه الانباء عن تأليف دولة ازانيا في الجنوب اما باعتبارها خطوة غير دستورية فليس لدينا ما نقوله غير فتوى النائب العام الذي هو الجهة المختصة والمسئولة امام الحكومة وننقل هنا نص الفتوى التي قدمها امس لمجلس الوزراء وهي لا تحتاج منا لتعليق ان النائب العام يقرر ما يلي : ان اجراء انتخابات

في الشمال لتكوين جمعية تأسيسية لا يتفق والدستور لان انتخابات الجمعية التأسيسية يجب ان يشترك فيها الشعب بأسره ، ومن حق المواطنين في الاجزاء التي لم تجر فيها الانتخابات ان يدعو بعدم تمثيلهم فيها وعليه فهم غير ملزمين بأي قرارات او تشريعات تصدر عن مثل هذه الجمعية .

ثانيا : واذا امكن النظر في قيام الهيئة المنتخبة على اساس الانتخابات الجزئية فيشمال السودان دون جنوبه لتقوم بكل الصلاحيات التي حددها الدستور ، فيما عدا صلاحية وضع واقرار الدستور فان ذلك يقتضي تعديلا للدستور نفسه .

ثالثا : ان الدستور هو التعبير عن ارادة الامة وسيادتها وقرار مجلس السيادة القاضي باجراء انتخابات جزئية في شمال السودان لا يحقق هذه الارادة .

ايها المواطنون والمواطنات .. اننا لنتساءل ماذا بعد هذه الفتوى التاريخية العظيمة ؟

اننا بهذه الفتوى الامينة الصريحة نكون قد اضفنا سلاحا جديدا وقويا الى رصيدنا ... يدفعنا الى مزيد من المقاطعة والمقاومة لهذه الانتخابات الباطلة التي افتى مفتي الدولة الرسمي ببطلانها وبانها لا تحقق ارادة الشعب .

حزب الشعب الديمقراطي

ملحق رقم (٥)

بيان الحزب الشيوعي حول مؤامرة طالب معهد المعلمين العالي

« يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

قرآن كريم

الى جميع السودانيين من كافة الاحزاب والمعتقدات .

صدر صباح امس الخميس الحادي عشر من هذا الشهر بيان من جماعة الاخوان المسلمين بالمعهد العالي للمعلمين يروي قصة طالب يسمى شوقي محمد علي زعموا انه ينتمي الى حزبنا ـ اساء الى معتقداتنا الاسلامية وتهجم على مقدسات هذا البلد . نود ان نوضح لكم وانتم الذين عرفتم الحزب الشيوعي حزبا مناضلا من اجل الاستقلال والديمقراطية والتقدم ان الطالب المذكور لا ينتمي لحزبنا من قريب او بعيد ولم يعرف في يوم من الايام بين اوساطنا .

ان الشيوعيين السودانيين لم يعرفوا في يوم من الايام بمثل هذه الصورة التي تجلب الاشمئزاز والاحتقار ، فهم اخوانكم وابناؤكم الذين عرفتموهم في كافة اوجه النشاط الاجتماعي في وطننا : يحترمون عقيدة كل مواطن ويجلون مقدساته ، فالحزب الشيوعي السوداني حزب سياسي يستهدف المحافظة على استقلال وطننا ويبشر بالتغيير

الاجتماعي في البلاد حتى تسود العدالة الاجتماعية القائمة على منع استغلال الانسان لاخيه الانسان . وهذه الدعوة الطاهرة تتلخص في النظام الاشتراكي الذي يقوم على ملكية الدولة لوسائل كسب العيش في البلاد وعلى حكم الشعب العامل . هذه هي دعوتنا وكل ما عدا ذلك افتراء وكذب. ولأن قضيتنا عادلة وحق فان حزبنا لا يقبل في صفوفه من يشين سمعته .وهل هناك اشانة للسمعة اكثر مما تفوه به ذلك المذكور؟. لقد جاء في دستور حزبنا شرطا للانتساب اليه ما يلي «الاستقامة وحسن السلوك والتصرفات والاخلاص لقضية الشعب » ان حزبا هذا شرطه لقبول الاعضاء لا يمكن ان يوافق على مزاعم الطالب المذكور التي يشجع فيها « الدعارة » ويعتبرها شيئا طبيعيا . كبرت كلمة تخرج من افواههم، ان الحزب الشيوعي الذي كرس جهوده لمحاربة الفقر هو الذي يفتح الطريق للحياة الشريفة في بلادنا بمحاربته للحاجة التي تذل الانسان وتهتك الاعراض وتنشر الدعارة وقد جاء في دستور حزبنا الذي نشر قبل ثمانية اشهر اننا نسعى لكي «تصبح المرأة عاملا فعالا في بناء المجتمع على اساس من الثقافة والخلق النبيل . » فكيف اذن يقبل عقلا ان ينادي شيوعي باذلال المرأة ونشر الدعارة فوق ارض بلادنا الطيبة ؟

ان الاشتراكية التي يدعو لها حزبنا ليست قضية غامضة بل هي منشورة في دستورنا الذي اشرنا اليه . وهذا الدستور يؤكد في صفحة (٣٧) .

ان الاسلام يمد التفكير الاشتراكي بسند قوي صلد . « لهذا فان النظام الاشتراكي الذي ندعو له يقوم على احترام تام لعقائد الانسان ولحياته الروحية بقيمها الانسانية العميقة والتي لا يمكن ان يمارسها الانسان باستقامة وهو ينحدر في قاع الحرمان حيث الرذيلة وفقدان القدرة على اغناء الحياة وتنميتها . ان اعداء الانسان الذين يطبقون احط ما يعطل البشر وهو الاستغلال والاستعباد يحاولون دائما ايهام

الشعوب بان الاشتراكية ضد الدين ، كل ذلك ابقاء على مصالحهم . « دستور الحزب الشيوعي ص ٣٥ » .

هذا هو رأينا في معتقدات هذا البلد . ان الدين الاسلامي يقوم على اركان ظاهرة وليس من حق اي مدع ان يتهم المواطنين بما ليس فيهم فما هذه شيمة المسلمين . لقد تطاول المرجفون على أم المؤمنين ولكن التروي وبعد النظر كان طريق الرسول (صلعم) حتى شرفها الله سبحانه وتعالى بالبراءة . فأين هذا من الطريق الذي تسير عليه جماعة الاخوان المسلمين التي سيرت موكبا لاثارة العواطف ضد الشيوعيين صارفة النظر عن قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

فما السر اذن في أنحراف مدعى الغيرة على الدين عن هذا الالزام المنزل ؟

ان الجماعة التي تسمي نفسها زورا بالاخوان المسلمين والتي تحاول استغلال العواطف الدينية النبيلة لدى المواطنين لا تغير على الاسلام ولكنها جماعة سياسية مخربة ترمي الى تحطيم الديمقراطية في بلادنا : تلك الديمقراطية التي دفع المواطنون ثمنها غاليا خلال السنوات المظلمة للحكم الديكتاتوري المباد . وهذه الجماعة عدوة اصيلة للاشتراكية والحرية التي يدافع عنها الحزب الشيوعي باستقامة وثبات ، وقد فشلت في بلادنا بعد ان سعت بين الناس بالخبث والمكر في ان توقف تقدم الوطن . ولهذا لجأت الى اسلوب الفتنة وهو طريقها المعروف . ففي مصر المسلمة لجأت الى الارهاب تستبيح دماء المسلمين وترسم الخطط لقتل الاطفال والنساء . كل ذلك حتى يسود الخراب وترجع مصر العظيمة ــ محط آمال العرب والمسلمين ــ مستعمرة ذليلة ويتحطم فيها صرح الاشتراكية .

وجماعة هذا شأنها لا يمكن ان يستمع الى حديث افكها مواطن عاقل بل الواجب هو نبذها من الصفوف . ان هذه الجماعة تدرك ان بلادنا تحاك حولها مؤامرات خطيرة في كل اطرافها وخاصة في جنوبها ، وهذه المؤامرات تنظر حدوث فتنة في الشمال حتى تخرج سوداء كالحة. ولهذا تسعى هذه الجماعة لاحداث فتنة يضطرب فيها حبل الامن ويتحطم القانون ويعتدي السوداني على اخيــه . وعند ذلك تنهار بلادنا وترجع مرة اخرى تحت حماية النفوذ الاجنبي .

ايهــا المواطنــون .

هذه هي الحقائق بين ايديكم ونحن نؤكد لكم مرة اخــرى ان المخربين الدساسين يريدون احداث فتنة في البلاد فلا تستمعوا اليهم . ونؤكد مــرة اخرى ان حزبنا سيقف بثبات في مراكــزه دفاعا عــن الديمقراطية وحاميا للمستقبل الاشتراكي بالنسبة للكادحين . اننا نقف دفاعا عن الدستور ولن نستجيــب لاستفزازات المخربين دعاة الفتنــة ولكنــا في نفس الوقت ندعو كل المناضليــن لليقظة التامة حتى نوقف عبث اعداء البلاد ونرد الجماعة المخربة المسماة بالاخوان المسلمين الــى جحورهم حيــث التآمر والتخريب .

ملحق رقم (٦)

ابن سفاح

ولدت سفاحا فما انت حر ... فواجه مصيرك او فانتحر
ولا يغرنك صوت جهير ... ولا يعجبنك ثوب خضر
ولا يبهرنك عكف السيوف ... ولون النجوم النحاس الصفر
فقبلك حسين الزعيم ابيد ... ونوري السعيد الشقي اندثر
ولا يبطرنك ما اسمعوك ... بانك عيسى الذي ينتظر
فان كنت عيسى كما يدعون ... فمن ذا النبي الخضر
فلا يسكرنك هذا النفاق ... فان النفاق قصير العمر
ومهما فعلت ومهما بذلت ... ومهما انتحلت لكي تفتخر
فأنك انك ابن سفاح ... فواجه مصيرك او فانتحر

* * *

لقد قلت اني عدو الفساد ... الذي في البلاد نما وانتشر
ولكن تكشف عنك القناع ... فما كنت الا كذوبا اشر
فان كنت حقا عدو الفساد ... فماذا فعلت لذاك النفر
عبيد المعونة والسابحين بحار ... المفاسد برا وبحر
واين الذين اباحوا البلاد ... لكل دخيل ذميم السير
فباعوا البوادي للامركان ... وبات وشيكا ضياع الحضر
الم ترهم يا عدو الفساد ... فقمت تنقب عن كل حر
الا ان حكمك عين الضلال ... وعين الفساد فلن تنتصر

اتحكمنا انت يا ابـن السفـاح ويـا ايهذا الجبـان القـذر
ومـا انـت الا جـواد حقـير تمطى عليـه رعـاة البقـر
تسـير يمينـا كمـا يأمـرون وتمضي تسير كفيف البصـر
وتسـرع خطوك ان همـزوك وتجهل ايـن يكـون المقـر
تجـيء لتهدم مـا قـد بنينـا وتنهـب كـل الـذي ندخـر
قضينا السنين نعـد الحقـول ونزرع فيهـا لنجنـي الثمـر
فتقبـل انـت كجيش الجـراد لتهلك زرعـا نمـا وازدهر
وتمضي تحـل لنـا البرلمـان وكـان تراث الكفاح العطـر
وتلغـي النقابات وهي الدروع اذا مـا المصائب جـاءت تكـر
وتبدي الصحافـة عـين الرضى واصـل الصحافـة عين الحذر
فمن اين للشعب ان يستبـين اخـير فعـالك ام هـي شـر
اتأكلهـا تضحيـات السنـين وفيهـا الـدم العبقري النضر
وتأمرنـا يا جـواد الرعـاة وانـت المسخـر والمؤتمـر
وتحسب انـك تقوى تعيـش وان نظامـك قـد يستقـر
الا لـن تعيـش محـال تعيش وان كـان ربـك ايزنهـاور

* * *

ولـن ينفعنك ان تستبـد وان تستخـف بكـل البشـر
ولن تنقذنك هـذي السجون ولا المعتقلات التـي تـدخـر
وليست سجـونك شيئا يهـاب وما معتقلاتـك الا صـور
فمهما بذلت ومهمـا انتحلـت ومهمـا فعلـت لكي تفتخـر
فانـك انـك ابـن سفـاح فواجه مصيرك او فانتحـر

* * *

اذا كنـت تطمـع في ان تعيش فانـت بليـد قصـير النظـر
فليس لمثلـك حـق الحيـاة وانت ولدت لكـي تحتقـر

وها انت راعك مر السحاب | فكيف اذا ما السحاب انهمر
وكيف اذا الرعد رج السماء | وكيف الصواعق لو تنهمر
وكيف اذا السيل دك السدود | وفات الحدود وغطى الحفر
وهبك تربعت فوق السحاب | وما عدت تخشى سيول المطر
فلست ذكيا ولا عبقريا | فمن ذا يقيك شظايا القمر
الا لن تعيش محال تعيش | فنحن وراءك حتى القمر

* * *

تفرس وراءك وانظر يسارك | والمح امامك مد البصر
اذن لرأيت تراثا مجيدا | اعد له شعبنا المقتدر
وبان يسارك جيش عنيد | يعد له حزبنا المنتصر
ولاح امامك لو كنت تبصر | قوس يشير لنا بالظفر
فشعبي عنيد وحزبي عنيد | شديد المراس عظيم الخطر
ولا تحسبن حساب الخوارج | والمارقين ضعاف الفكر
فكل نفيس به شائبات | تزول وتفنى اذا ما اختبر
ويبقى النفيس نقى الصفاء | اصيل الرواء شديد الاثر
ولا يخدعنك هذا السكون | فتحت السكون امور تقر
فويلك ويلك يا مستبد | اذا ما السكون الرهيب انفجر
وويحك ويحك يا مستبد | اذا ما لهيب الكفاح استعر
وهبت عليك الرياح العواتي | وحل القضاء وعز المفر

شاكر مرسال

ملحق رقم (٧)

ايها الاخوة المناضلون :

يسعدني ان احضر معكم كمناضل افتتاح هذا الملتقى الهام الذي يضم نخبة من طلائع الثورة وممثلي الفكر الاشتراكي في الوطن العربي . ان هذا الملقى الذي ظل حلما يراود المناضلين العرب مدة طويلة يتحول اليوم الى حقيقة نعيشها ، بفضل عزائمكم الصادقة وارادتكم الطيبة وبفضل عقيدتكم وايمانكم بالثورة العربية وبالحل الاشتراكي .

ان النظرة العابرة الى سطح الاحداث العربية ، والى التصدع الذي يعاني منه العالم الثالث اليوم ، والى الاخطار المحدقة بالانظمة التقدمية ، قد تدفع الى الشك في جدوى هذا اللقاء ، فقد تعرضت حركة الثورة العربية لهزات مختلفة زادت في تعقيد التناقضات التي تطبع الوضع العربي ، والضغوط العديدة التي تمارسها الامبريالية ضد العرب نجحت في اعادة بعض الثقة الى عملاء الاستعمار والقيمين على مصالحه ، والقوى التقدمية ما تزال موزعة بين معطيات الامر الواقعومطامح المستقبل ، ومحاولاتها الجارية تتجاذبها التقييمات الذاتية والشروط الموضوعية ، والتيار الاشتراكي ما يزال في خطواته الاولى .

لكننا نعتقد ان هذا الوضع بالضبط ، هو الذي يحتم هذا اللقاء ويكسبه اهمية كبيرة ، ويزوده باسباب النجاح لان الحلول المجدية ، تولد وسط اختمار المشاكل ، والفكر المنقذ ينضج في معترك التناقضات

ان تحليل الوضع العربي تحليلا عميقا ، وتقييم المكاسب التي

حققتها الثورة في مجمـوع الارض العربيـة ، يكشف عـن وجـود امكانيـات هائلة ، لا تحتاج الا الى ان تتجمع وتتفاعل لتقلب كفـة الميـزان لصالح الثورة الاشتراكيـة في الوطن العربي ..

وفعلا فقـد لمسنـا في مختلف الاتصالات التي قمنا بها ان قوى الثورة الاشتراكية العربية ، في حاجـة الـى ان تتحاور كمـا لمسنـا فراغا فكريـا في بعض اللقاءات السياسية مما اقنعنـا بضرورة الدعوة الى لقاء يضم ممثلي الفكر الاشتراكي العربي في نقاش صريح ينطلق من الرغبة الصادقة في العمل الجاد للمستقبل لا من رغبة الظهور المسرحي او المتاجرة بالعواطف .

ان المجتمع العربي اليوم ترتفع فيه شعارات ، وتقـوم به تيارات تحاول كل منها ان تطرح مفاهيم مختلفة . فلماذا لا يلتقي المناضلـون العرب في محاولة بناءة لتوضيح المفاهيـم العامة وتحديـد الاهـداف القريبة والبعيـدة التي يعملون لتحقيقها ...

الاحداث الراهنـة تؤكد ضرورة

تجمـع القوى التقدمية العربيـة

خصوصا وان الاحداث التي عرفها اخـيرا الجناح الشرقي مـن الوطن العربي ، والتي تواجه فيها الشعوب العربية وقواها العسكريـة الضاربة عدوان الصهيونية والاستعمار تبرز اهميةندوتنا وتؤكد ضرورة تجمع القوى التقدمية العربيـة .

ان معركة فلسطين تجسم وحدة مصالح كـل من الامبرياليـة والصهيونية والاستعمار بنوعية القديم والجديد ، ومن هنا يصبح من الضروري ضبط خط اساسي تتدرج فيه كل قوانا النضالية الثورية التي تتحدد على ضوء هذا الصراع .

ولا يخفى عليكم ان احداث اليوم تكشف في جملة ما تكشف عنه طبيعة القوى الثورية العربية وتؤكد ان الطريق الحقيقي لتحرير فلسطين هو طريق القوى التقدمية الثوريـــة العربية .

الاشتراكية عمل متواصل ومعاناة يومية

ايها الاخوة المناضلون :

انكم تعلمون ان الاشتراكية عمل وممارسة قبل ان تكون ترفـــا فكريـــا . وهو عمل متواصل يتطلب معاناة يومية وتعهدا مستمرا لاداء الثورة والبناء ، وليست حلا سحريا تنفرج به المشاكـــل بـــين عشيـــة وضحاها . ولذلك نجد ان السياسي الذي يعمل في الميدان لا يستطيع ان يستغني عـــن الفكر الذي يدرس النظريات ، والمفكر بدوره لا يستطيع ان يستغني عـــن دراســـة الواقع وتفهـــم مقتضيات وظروف العمـــل السيـــاسي .

ان مجتمعنـــا مثل كل المجتمعات المتخلفة يعاني انفصالا بين الفكر والسياسة ، انفصالا من شأنه ان يسد الباب امام كل حوار مثمر وجدل خلاق ، ومن هنا قام ذلك التخوف التقليدي عند رجل الفكر من رجل السياسة ، كما قامت حساسية شديدة عند رجل السياسة من رجـــل الفكر والواقع ان ماضينا البعيـــد والقريب يشتمل على وقائع عديدة تعزز هذا الانفصال وتغني هذا التخوف . فقد عرفت بلادنا نماذج مـــن المسؤولين مارسوا السياسة احترافا عوض ان يعانوها نضالا وجعلـــوا الحكم غاية عوض ان يكون وسيلة ورفضوا كل تعاون مع رجال الفكر الا ان يكون املاء من طرف وخنوعا من طرف اخر .

كما عرفت بلادنا نماذج مـــن المحترفين سخروا الفكر لخدمـــة الاطمـــاع واستغلوه في تبرير الاخطاء او تمجيد الانحراف .. ولكـــن

الثورات التحررية ذات الطابع الشعبي ادخلت تغييرات عميقة في اكثر من منطقة عربية على هذا التطور التقليدي للحوار بين رجل السياسة ورجل الفكر ، واقامت الدليل على ان الحوار الخلاق ممكن ولم يبق الا ان يتواصل الى مداه وان يتحول الى تقليد عام بدل ان يظل حالات شاذة .

مواجهة التناقضات بصراحة وبحثها بعمق

ايها الاخوة المناضلون :

ان التناقضات التي يعيشها الوطن العربي تفرض علينا ان نواجهها بصراحة وان نبحثها بعمق وان نجد لها الحلول الواقعية الثورية بالفعل. وليست هذه المهمة سهلة بل هي مهمة معقدة نظرا الى ان الوطن العربي يمر بمرحلة انتقالية يدور فيها الصراع على اشده بين رواسب الاستعمار وحليفته الرجعية من جهة والتيار التقدمي وما يستند اليه من قواعد شعبية من جهة اخرى . فهي معركة معقدة ، تتصارع فيها الجوانب السلبية الجامدة المنحدرة من الماضي متعاونة مع احدث التكنيكات التي حققها الفكر الاستعماري ضد الجوانب الايجابية في التراث ، معززة بالتجارب الثورية الناجحة . ومعنى ذلك ان مصالح الاستعمار والامبريالية تملك اسلحة لا يستهان بها خصوصا اذا قرأنا حسابا لبعض الاوضاع العربية الشديدة التخلف ، حيث لا تتبين الجماهير دائما مصلحتها بوضوح .

ومما يزيد المهمة تعقيدا ما تشتمل عليه مرحلة الانتقال من اوضاع متنافرة حيث تقوم مؤسسات تنتمي الى وضع رأسمالي لم يصف بعد نهائيا ، وتعشش عقليات تنحدر من ماضي جامد لم يمت ، بعد . الى

جانب مؤسسات وعقليات تعبر عن طموح الجماهير . وتنتمي الى صورة المستقبل التي لم تتبلور بعد كما يجب .

ونحن في هذا الصراع الحاد لا نستطيع ان نسير خطوة واحـدة الى الامام ، الا بقدر ما ننجح في تخلصنا مـن رواسب الاستعمار ، في مختلف الميادين ، السياسية والاقتصادية والثقافية وبقدر ما تتخلص من العادات السيئة والتفكير السلبي والدوران في الفراغ .

فالواقعية تقتضي منا ان نقوم بعرض شامل للوضع العربـي وان نعمل على تقييم ما فيه مـن جوانب الايجاب ومراكز القوة ومـن نقط الضعف وعوامل الجمود ولسنا نقصد هنا بالواقعية نوعا من الدعـوة الى التثبيط وتجميد النشاط ، ولكننا نقصد اساسا الى الحث عـلى تحقيق المزاوجة بين الفكر والعمل حتى لا ينساب الفكر في متاهـات الخيال ولا يعقم في نوع من النرجسية وعشق الذات ،غافلا عن الواقع ، وامكانياته وحتى لا تظل الممارسة العمليـة سجينة المنطق العشوائي .

الاهتمام بالريف قاعدة الثورة

ان التقدميين العرب في حاجة الى مراجعة انفسهم ، والى التخلص مـن ظواهـر تغليب اللفظ على المدلول ، وتقديم المدينة على الريف ، والاهتمام باحاديث المقاهي ، بدل العناية باهتمام الفلاحين والعمال اذ ان حركة الثورة العربيـة مطالبة ان هي ارادت ان تقلب التيار لفائدتها ان تهتم بالريف ، القاعدة الحقيقية للثورة في البلاد المتخلفة ، وان تبحث على احسن الكيفيات لتبسيط افكارها ، وضمان انتشارها بين جماهير الفلاحين ، وهي مهمة ليست مستحيلة التحقيق فلنا خبرة بما تم في بعض البلاد العربيـة وبعض بلدان العالم الثالث في هذا القرن ، وفي القرن قبله ، لقد انطلقت خلال القرن التاسع عشر ، في الارياف العربيـة ،

حركات هامة نجحت في قلب بعض الاوضاع السياسية والعقلية ، كما نجحت الثورة الجزائرية مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين ،في تحقيق معجزة خارقة بفضل اعتمادها على الريف ، ومعاناة هذه المشاكل من خلال الممارسة الواقعية ، ومن اجل هذا تكتسي دراسة التجارب العربية التقدمية اهمية خاصة ، لانها تعطي المفكرين الاشتراكيين العرب ، المادة اللازمة لاختبار النظريات واغنائها .

التجربة الجزائرية تقدم دروسا هامة

في ميدان المبادرات الشعبية

وعلى هذا الاساس تفتح الجزائر ابوابها للاشتراكيين العرب وتؤكد لهم كامل استعدادها لتزويدهم بما يطلبون ، حتى يتمكنوا من تقييم التجربة الجزائرية بعد دراستها عن كثب ، في واقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، على انه ليس في نيتنا ابدا ان نجعل التجربة الجزائرية نموذجا فذا او حلا امثل . لكننا نريد فقط ان نلفت النظر الى النتائج الايجابية التي يمكن استخلاصها من دراسة بعض التجارب العربية ، وايضا ، الى الاخطاء والنواحي السلبية التي قد تعترض التجربة الثورية وكل من هذه النتائج ، وتلك ، من شأنها ان تزود الفكر الثوري العربي بارضية صلبة تكون خير منطلق لتوضيح طبيعة التيارات الثورية ولاستخراج قوانين البناء الاشتراكي وتنظيمها بكيفية تضمن القضاء على انواع الانحرافات الممكنة وتمكن لفتوحات اشتراكية جديدة .

فالتجربة الجزائرية مثلا ، تقدم دروسا هامة في مجال تقييم المبادرات الشعبية ، وتجسم النتائج التي يمكن تحقيقها عندما تأخذ الطليعة النضالية زمام المبادرة وتتخلص من السحب التي تحجب الرؤية وتضلل الطريق .

كما تؤكد التجربة الجزائرية ان تطور الكفاح السياسي على اسس شعبية حقة يخلق حتما امتدادات اقتصادية واجتماعية ثورية لان القاعدة الشعبية عندما تخوض غمار المعركة السياسية وعلى الاخص عندما ترفع السلاح تكتشف بنفسها تداخل السيطرة الاقتصادية والاجتماعية مع السيطرة السياسية وتهتدي الى وحدة المعركة وتشابكها فتستجيب احسن استجابة عندما توجه الطليعة المناضلة كفاحها ، حسبما تقتضيه هذه النتيجة ، وبذلك تفضي المعركة السياسية الى ثورة عميقة تكون بدورها مرحلة على طريق البناء الاشتراكي المتكامل .

ان هذا التطور الذي يفرضه المنطق الداخلي لكل حركة شعبية اصيلة يفسر كثيرا من المكاسب التي حققتها الثورة الجزائرية ، فقد تحقق التسيير الذاتي مثلا بوصفه مبادرة من القاعدة النضالية الشعبية ، قبل ان يكون تنظيما سطرته السلطة من فوق .

الارض لمن يحررها ويفلحها

وقد عرفت الطليعة الثورية بالجزائر ، كيف تستخلص العبرة من هذا التطور فسارت في خط تكميله ، بالعمل على تنظيم التسيير الذاتي، واثراء نصوصه وتطويرها ، بما يجعل منها اداة حقيقية ، لاستكمال تحرير الانسان العامل ولنقله من وضع الاجير المستغل الى وضع المنتج المسؤول ، واتخذت في نفس الوقت عدة مبادرات توفر شروط نجاح التجربة ابتداء من تحقيق اللامركزية الى انشاء بنك وطني لتمويل مؤسسات التسيير الذاتي الى تنظيم العلاقات بين الوحدات المسيرة ذاتيا في اطار عام يضمن وعي العمال المنتجين بمسؤولياتهم وبدورهم في الاقتصاد الوطني .

وفي هذا الاتجاه نفسه اعدت الطليعة الثورية بالجزائر مشروع الاصلاح الزراعي على اساس تحقيق شعار (الارض لمن يحررها ويفلحها) .

وعلى الرغم من المصاعب التي تحف بهذه الخطوة فقد صممت الجزائر على ان تقطعها كي تقضي على الملكيات المستغلة ، وتدفع بعض ما عليها لجماهير الفلاحين التي تحملت العبء الاكبر في المعركة المسلحة .

وقد مهدت الطليعة الثورية بالجزائر لنجاح هذه الخطوات بتحقيق التنظيم البلدي الجديد الذي اعطي لممثلي القاعدة الشعبية مسؤوليات واسعة في الميدان السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي جعلت من المسؤولين المحليين سلطة منبثقة من الشعب تتفهم مشاكله ، وتتحسس مشاعره بعد ان كانت جهازا دخيلا تفرضه المراسيم والقرارات .

وفي نفس هذا الاتجاه تخوض الجزائر معركة التصنيع ، التي ربطتها بمعركة استرجاع الثروات الوطنية من اجل تصفية جميع مراكز الاستعمار الجديد هذا الاستعمار الذي جند كل الحيل والامكانيات كي يثني الجزائر عن عزمها لكن الجزائر لم تدفع من ابنائها مليون ونصف مليون شهيد مقابل ان تنتصب فوق ارضها نفس الاستغلالات القديمة في شكل جديد ، ولذلك انتهجت سياسة اقتصادية مستقلة حققت انتصارات هامة .

وها هي الجزائر تواصل السير على النهج وتعمل على تخلص الاقتصاد الوطني من جميع انواع التبعية الاجنبية وعلى تطوير الصناعة والزراعة وفق خطة علمية وقع التمهيد لها بما يلزم من عمليات الاحصاء والدرس .

ونستطيع ان نؤكد اليوم بناء على ذلك ان السير نحو الاشتراكية

وصل الى نقطة اللارجوع ، ولسنا نكشف لكم جديدا عندما نلح على صعوبة تحقيــق هذه المهام . فتغيير الاوضاع القديمة يتسبب دائما في تحولات لا تخلو مــن اخطاء ، نظرا لقلة الاطارات وضعف الامكانيات، ونقص التجربة ، وهو امر من شأنه ان يدفع الى تقييمات متناقضــة . والطريق الكفيــل بتذليل هذه الصعاب هو تطوير الوعي السياســي وضبط نظرية ثورية منبثقة مــن الواقع وتغذي الواقع في حركــة ديناميكية مزدوجة على صعيدي النظرية والتطبيق .

ايهـا الاخوة ..

اننا نعتقــد ان دراسة وتقييم التجارب الثورية في الوطن العربي يقدم مساهمة هامة في مجال صهر ادوات الثورة في المناطق العربيــة غير المتحررة وفي مجال اختصار المراحل خلال السيــر على طريق الاشتراكية بل وفي مجال اثراء الفكر الاشتراكي .

فقد اكدت التجربة الجزائرية ، مثل غيرها من التجارب العربيــة الناجحة حقيقة ما انفكت تتبلور وتزداد وضوحا في هذا النصف الثاني مــن القرن العشرين . وهي تنوع طرق السير نحو الاشتراكية . لان الطريق مرتبطة بقاعدة الانطلاق التي تختلف مــن بلد لاخر بحكــم اختلاف الظروف التاريخية .

جوهر الاشتراكية واحد

لكن يجب ان تتسلح باليقظة والحذر ونحن نحدد طريقنا الخاص الى الاشتراكيــة ، فقد استغل الفكر الرجعي هذه الحقيقة وضخمها بما يفضي الى تنوع الاشتراكية في جوهرها ، وانتهت الاشتراكية في مفاهيــم هؤلاء الى نوع مــن المظهــر الخارجي يخفي وراءه نظمــا متباينة . ولهذا يتعين علينا ونحــن نستخلص العبرة من تنوع الطرق

الى الاشتراكية الا نغفل عن ان جوهر الاشتراكيـة في اساسه واحـد لا يختلف ، وهو ، تحرير الانسان من الاستغلال وتمكين المنتجين مـن الاخذ بمقاليد السلطة الاقتصادية والسياسية .

ان هذه النقطة تكتسي اهمية كبرى لارتباطها بمعركة الوضوح النظري الذي يكفل القضاء على كل انواع اللبس والغموض .

فاذا كان اعتبار السمات الخاصة المميزة لتجربة ما ضروريا لنجاح السيـر على طريق الاشتراكية ولضبط الصيغة الخاصة بهذا السـير ، فانه لا يجوز بحال مـن الاحوال ان تطغي هذه السمات الخاصة الى درجة التحجر الذي يرفض الانفتاح والتفاعل ، كما لا يجوز ان تنفصل عـن الاطار العام ، الذي تندرج فيه كل تجربة ثورية حقة ، وهو اطار الصراع ضد الامبرياليـة والتسلط الاقتصادي الرأسمالي تجعل هذه المعايير نستطيـع ان نميز بين الاشتراكية الصحيحـة والاشتراكيـة المزيفة ، وبمثل هذا الميزان نحصن جماهيرنا ضد اللفظية العقيمة التي تتميـز بها دعوى تعدد الاشتراكيـات في جوهرها .

تلك هي في اعتقادنا النظرة السليمة التي تجنبنا الوقوع في اخطاء نظريـة خطيرة ، والتي تفتح امام الثورة الاشتراكية افاق عمل جديدة.

وهنا تتحدد مهمة من اخطر مهام الحركة التقدمية وهي اعـداد الاطارات الثوريـة من هذه الزاوية فبذلك نجنب حركة المد الثوري القـادمة . ما يتهددها من انتكاسات لان الاطار الثوري لا يستطيع ان يؤدي مهمته على الوجه الاكمل ، الا اذا كان متسلحا بنظرية سليمة من جهة ، وكان موجودا حيث توجد خميرة الثورة من جهة اخرى .

فالمطلوب مـن المفكريـن الاشتراكيين العرب ، ان لا يتركوا قضايا الثورة وقضايا البناء الاشتراكي للصدفة او يعتمدوا فيها علـى

البناءات النظرية التي قد تكون هروبا من الميدان ، اكثر مما هي اسهام في العمـــل . ونفس هذه النظرة ينبغي ان نعتمدها في التخطيط والعمل للوحــدة .

اما اذا اكتفينــا بتبادل التهم وتقاذف المسؤوليات ، فاننــا لــن نرفق في فرز الادوات الصالحة للثورة الاشتراكية من الادوات المزيفــة التي تنتفع بالشعارات المغالطة . وهنا يكتسي اقاء الاشتراكيين العرب اهميــة كبيرة خصوصا عندما يكون بداية لها ما بعدها في درس قضايا العرب وتحليــل مشاكلهم من زاوية صالح المجمــوع .

حتمية الصدام مع القوى الاستعماريــة والرجعية تتطلب الاستعداد لمواجهة المعركة

ايها الاخــوة ،

ان لدينــا نحــن العرب تجارب هامة ، كمــا حققنا مكاسب لا يستهان بها وتعرضنا لالوان من الخيبة والفشل فينبغي ان ندرس كــل ذلك سلبية وايجابية ، حتى نستخلص درسا من الخيبات قد لا يقــل اهميــة عــن دروس النجاح وبذلك نسترجع ما خسرناه ونعزز مواقعنا في الاصطدام الحتمي بين قوى الاستعمار والرجعية من جهة وقــوى التقدم والثورة الاشتراكيــة مــن جهة اخرى . وما دمنا نؤمن بحتمية هذا الصدام وتواصله الى مداه فلا مناص من الموقعة الحاسمة باقــوى ما نملك مــن قوى المواجهة والعمل والفكر .

ومن الواضح ان مهمة الاستعداد لهذا الصدام تقع على كاهــل الاشتراكيين العرب وخاصة منهم الموجودين في مواقع السلطــة وذلك يفرض في مثل هذا اللقاء درس قضية وحدة القوى التقدميــة والثورية

وتنسيق العمل بينها على كل المستويات بكيفية تسد ما في العمل العربي من ثغرات وتزود المناضلين العرب بما يحتاجون اليه من سلاح وتضمن صهر الصفوف العربية في عقيدة سياسية موحدة لا مكان فيها لخائن او منحرف او دخيل ..

ولن يستطيع التقدميون الاشتراكيون العرب ان يقوموا بهذه المهمة على الوجه الاكمل ، اذا هم لم يقوموا بنقد ذاتي صريح واذا هم لم يبحثوا وسائلهم وامكانياتهم ولم يحللوا طبيعة المرحلة التي تمر بها الثورة العربية وما تشتمل عليه من تناقضات واذا هم ام يصنفوا القوى الثورية اعتمادا على ميزان التجربة الموضوعية .

ولذا يتعين علينا كثوريين واشتراكيين ان نتخلص من عقلية المزايدات وان ندرس مظاهر ضعفنا وان نواجه انفسنا وشعوبنا بالحقيقة مهما كانت قاسية .. وان نفضح الظواهر المرضية التي لا بد ان تنجم في كل ثورة سواء منها التي اتيح لها ان تحكم او التي اصطدمت بعوائق اوقفتها عن النمو . مطلوب منا ان نقنع المناضلين العرب بان الاشتراكية ليست حلا سهلا يسير التحقيق ، ولكنها على العكس من ذلك حل صعب يتطلب كفاحا مستمرا ضد تجدد الاستغلال وانبعاث الظلم وضد خطر الانحراف والتحجر ، كما يتطلب حدا معينا من التنظيم والتطور ويستلزم التسلح باخلاقية عليا . فاذا اقتنع المناضلون العرب بهذه الحقيقة وتشربوها اصبح في استطاعتنا ان نعيد لكلمة الثورة اعتبارها ، وامكننا ان نجعل التجربة الاشتراكية مثار اعجاب وحافز عمل ودافع ثورة .

ولعل اهم عنصر يجب الاهتمام به في هذا الصدد هو تعميق الوعي بالحقائق الاقتصادية بكيفية تخلق حماسات مثل التي فجرتها مرحلة الكفاح السياسي ، لان المعركة السياسية مسلحة او غير مسلحة تخلق

الحماس بسهولة ، لوضوح الهدف وضمان النتيجة مسبقا .. اما البناء الاقتصادي فهو يتطلب عملا متواصلا في صمت وبطولات لا مكان لها على اعمدة الصحف ، وفي الميادين العامة ، وقد نواجه مشكل تعبئة الجماهير وراء نظرية سياسية تتلائم مع مرحلة المعركة الاقتصادية وانعكاساتها الفكرية .

الاعتماد على النفس بالدرجة الاولى

وتحقيق هذا الهدف يتم بالاعتماد على النفس .. الاعتماد على النفس في صياغة النظريات ، وتكييفها بما يتلاءم مع واقعنا ، والاعتماد على النفس في مواجهة التحدي الاقتصادي .

نعم اننا نعرف ان الاعتماد على النفس في البناء الاقتصادي امر صعب ، خصوصا اذا اخذنا بعين الاعتبار واقع العدد الكبير من المسؤولين العرب ، الذين تعودوا الاستنجاد بالغير واذا اخذنا بعين الاعتبار واقع الاطارات العربية التي تكون معظمها في اطار غربي ، لكن لا مناص من الاعتماد على النفس بالدرجة الاولى في المعركة الاقتصادية اذا اردنا ان نتجنب مصير الغنى بالوعود الغرارة ، وهنا نواجه مشكل استغلال الموارد المهملة ومشكل استعمال الطاقات لاكثر نفعا ومشكل سد الثغرات التي تركها الاستعمار في بنائنا الثقافي ، عندما جعلنا نقتصر على الدراسات الادبية والقانونية وصرفنا عن الدراسات العلمية والفنية كما نواجه قضية اصلاح التعليم بما يتلاءم مع كسب معركة التقدم الفني ، ومشكل نزيف الاطارات الذي تتعرض له بلادنا ، وبكلمة واحدة نواجه مشكل التخطيط العلمي الذي يجنبنا عواقب الارتجال ، ويضمن اختصار المراحل دون تعثر ، كما يضمن على المستوى العربي التخلص من ظاهرة التنافس بين البلدان الشقيقة بصورة تشكل تبديدا

خطيرا ، لطاقات يمكن استغلالها احسن استغـلال في نطاق سياسـة تكاملية موحدة .

مشاكل المجتمع العربي لا يمكن ان تدرس بعيدا عن المشاكل العالمية

تتناول دراسة تجاربنا المختلفة اننا كعرب لا نستطيع ان نجسم هـذه الرغبة القديمـة المختلفة مـن زاوية اقليميـة . لذلـك عملنا علـى تحقيق لقاء عربـي يكون مقدمـة للقاءات اخـرى . لكن المجتمع العربي لا يستطيع ايضا ان يدرس مشاكله منفصلة عما يهز العالم من ازمات ، ودراستنا لقضايا المجتمع العربي لن تكون ذات بال اذا نحن لم ندرجها في اطار الصراع الذي يهز كيان العالم اليوم .

والصراع الاساسي في عصرنا هو الصراع الذي يدور بين شعوب العالم الثالث من جهة والاستعمار العالمي من جهة اخـرى . والهدف الرئيسي للاستعمار العالمي في هذا الصراع هو خلق التجارب الاصيلة في العالم الثالث ، بما يضمن عودة السيطرة الامبريالية الى ما فقدته من مناطق نفوذ ، ذلك ان دول الغرب الرأسمالي تخلصت من التناقضات العدائية التي كانت تفصل بينها في مرحلـة ما قبل الحرب العالميـة الثانيـة .

واذا كان التناقض الاساسي الذي طبع العالم في منتصف القرن العشرين هو عدائية الصراع بين الشرق والغرب فان بعض النتائج التي اسفر عنها هذا الصراع اضعفت من حدته وجعلته يتحـول الى منافسة سليمة . وفي غمرة ذلك الصراع حققت حركات التحرير في البلـدان المستضعفة انتصارات هامة بفضل الحرب الباردة بين الشرق والغرب وشقت لنفسها طريق الوجود واثبات الذات واصبح العالم الثالث يشكل حقيقة جديدة على مسرح السياسة الدولية اذ انه بدأ يتحدد بصفـة

ايجابية انطلاقا من واقعه وذاتيته بعد ان كان يتحد في نظر هذا المعسكر او ذاك من خلال علاقاته بهذا او ذاك .

وهنا ادركت الامبريالية العالمية طبيعة الخطر الذي يتهددها من مواقع البلدان النامية واصبح خوفها الاكبر هو ان يثبت هذا الخطر حقيقة جديدة اخرى هي امكان التطور حسب نموذج ثالث يختلف عن النموذجين المعروفين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى .. خصوصا اذا نجح هذا النموذج في مجتمع ذي تراث روحي مثل المجتمع الغربي ، لان ذلك يجرد الغرب من احدى الاسلحة النظرية الاساسية التي يستعملها في ممارسة الارهاب النفسي والضغط على حركة الثورة ورغبة التطور في العالم الثالث .

واذا كان واضحا ان الثورة لا يمكن التشكيك فيها نظرا الى انها لا ترتبط بمفاهيم تجريدية بقدر ما ترتبط باوضاع واقعية تتجلى في سوء توزيع الثروات وهي اوضاع قائمة بل تزداد تفاقما فان ذلك لا يمنع لقاء مثل هذا من بحث الاسلوب الكفيل بالمحافظة على الدفع الثوري وعدم تفككه مع ضمان التطور الاقتصادي .

على ان المحاولات النظرية التي يبذلها الفكر الرأسمالي تمهيدا لاستعادة ما خسره لا يمكن ان يواجهها الثوريون في العالم بمجرد التأكيد على النظريات والمبادىء .

ان ما تنتظره البلاد المتخلفة في هذا الصراع ضد الامبريالية هو شيء اخر غير الكلام .. هي المواقف العملية التي تظهر خاصة في الميدان الاقتصادي .

فالمطلوب منا هو تقييم احلافنا وصداقاتنا على هذا الاساس . اما اذا استسلمنا لاغنيات المبادىء وغفلنا عن الجانب الاقتصادي فاننا نكون قد مثلنا من جديد قصة الرجل الذي صدق بما سمع وكذب بما رأى .

ان الصراع العالمي الحالي بصدد التمخض عن حقائق يجب ان يستعد لها مفكرو العالم الثالث وفي طليعتهم المفكرون الاشتراكيون العرب اذا ارادوا ان يتجنبوا مفاجئات خطيرة . وفي هذا النطاق ينبغي ان يقوم الاشتراكيون العرب بعملية مزدوجة .. تقييم العمل العربي على ضوء تطور العالم الثالث من جهة وتحليل مدى تأثير العمل العربي ودلالة الثورة العربية في تطور العالم الثالث من جهة اخرى .

اذ لا يجوز ان ننسى ان تفوق الغرب تأكد في العالم بعد تفوقه على المجتمع العربي كما ان تفوقه على المجتمع العربي لم يتحقق الا بعد تطويقه بدوائر حصار شملت مساحات شاسعة من افريقيا واسيا مما يجعلنا نستنتج ان المدار الحضاري العربي اوسع من المجتمع العربي وان اشعاعه يمتد الى خارج المناطق العربية . هذه الحقيقة تزداد وضوحا اذا نحن حللنا انعكاسات حركة الثورة العربية وما ترتب عليها من تطور خارج الوطن العربي .

ونفس هذه الحقيقة هي التي تدفع اليوم الامبريالية العالمية الى الضغط على حركة الثورة العربية ومحاصرتها وتطويقها بحزام واق يحول دون تفاعلها مع مناطق العالم الثالث المتجاورة معها وهي التي جعلته يضع الارض العربية على رأس اهدافه الاستراتيجية في العالم .

فلا ينبغي ان نكون اقل من الاستعماريين تفطنا الى ما بين المجتمع العربي والعالم الثالث من روابط متفاعلة وينبغي ان نقتنع بان اضعاف هذا يؤدي حتما الى اضعاف ذاك .

ان الروابط التي تجمع بين اجزاء العالم الثالث روابط متينة تتمثل في النضال المشترك ضد الامبريالية وفي الطموح الى السير على طريق الازدهار مما يدفع الى الغاء كثير من الحدود بين اجزائه عند ضبط المنطلقات النظرية للعمل الثوري .

ان المسألة لا تتعلق بصياغة فلسفية نظرية ولكنها تتعلق بترجمة واقع حي نعيشه ونعانيه . واقع تشير بعض مظاهره الى ان الانقسام بين الشمال والجنوب ليس مجرد احتمال نظري ... ولن نستطيع توفير فرص النجاح في هذه المواجهة الحادة الا اذا عملنا على تغيير طبيعة العلاقات الاقتصادية التي تحكم عالم اليوم ، اما اذا اكتفينا باستغلال التناقضات الموجودة داخل الوضع العالمي وبادخال تغييرات كمية فقط فاننا نكون قد ساعدنا الى حد كبير على استمرار التفوق الغربي .

ان القضية تتعلق اذن بصياغة اسلوب يكفل القضاء على هذا الاخطبوط الاقتصادي الذي يهدد ببسط نفوذه من جديد على الارض .

التجارب عامل اساسي في تطعيم النظرية بالتطبيق

ان عالم المحرومين يواجه مصاعب متزايدة .. يواجه الاستعمار الجديد باجهزته المعقدة التي تقف حجر عثرة في طريق تطوره .. ويواجه ما يتولد عن طبيعة العنف فيه من حرب وتخريب والتجارب التي خاضها ويخوضها العالم الثالث في الكونغو وفي فيتنام وفي اليمن وفي الجنوب العربي وفي امريكا اللاتينية تؤكد ان الاستعمار لا يمكن ان يتخلى عن العنف القديم ولو اضاف لنفسه وصف الجديد .

ويواجه العالم الثالث في نفس الوقت ظهور حسابات مستحدثة للعلاقات الاقتصادية الدولية اقل ما يقال فيها تزيد في متاعب المحرومين . نعم ان ارض المحرومين تزخر بالثروات لكنها ثروات تذهب غالبا الى بنوك البلاد المصنعة التي تتآمر عليها بوسائل مختلفة . ولا مخرج من هذا الوضع الا بتحقيق تضامن بين المحرومين يضع حدا لهذا التآمر على

خيراته ومستقبله .. ويقيم الاسس اللازمة لتنميته من داخله .. لانه ثبت بالدليل ان تحقيق التنمية اعتمادا على الخارج حديث خرافة .

ايها الاخوة ..

ان الوضع العالمي هو الذي يحدد اهمية الدور الذي يستطيع الوطن العربي ان يقوم به في نطاق نضال شعوب اسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية لانه يملك بفضل تنوعه وبفضل تراثه الروحي وبفضل تجاربه العديدة وبفضل تفتح اطاراته الفنية امكانيات عظيمة تجعله في طليعة العالم الثالث اسهاما في صياغة مشكل العصر ومشاركة في حل تناقضاته .

لكن الوطن العربي لا يستطيع ان يقوم بهذا الدور الطليعي الا اذا انتصر على تناقضاته وعمل على حلها لصالح الثورة الاشتراكية . وهذا الهدف يمكن تحقيقه اذا اجتهد الاشتراكيون العرب في القضاء على ما يفرق بينهم من حواجز وفي تذويب ما بينهم من فوارق على اساس الدراسة المتعمقة للواقع العربي بكيفية تضمن صهر قوى الاشتراكية والتقدم في خط واحد داخل كل بلد عربي تمهيدا للخط الواحد على مستوى الامة العربية .

ان بدايات التجارب الاشتراكية الموجودة في الوطن العربي تساعد الى حد كبير على القيام بهذه العملية لانها تمثل منطقة متحررة تمكنه على الدوام من تطعيم النظرية بالتطبيق بعيدا عن جميع انواع الضغوط . وبذلك نضع اللبنات الاولى على طريق الصياغة الموحدة للمشاكل والمفاهيم والحلول ، مع مراعاة التنوع الذي تفرضه السمات الخاصة هنا وهناك والتي لا يمكن ازالتها بمجرد تجاهلها . وبذلك نحقق وحدة العمل (وهي لا تتنافى مع التنوع) ونجمع القوى المتفرقة التي سوف يكون لها شأن اخر ان هي اتحدت بدل ان تفترق واجتمعت بدل ان

تتضارب وتعاونت بدل ان يلغي بعضها مفعول البعض الاخر .

ان تذويب التناقضات بين قوى الثورة الاشتراكية في الوطن العربي ضروري لتقويض القلاع التي يتحصن بها الاستعمار لنهب ثرواتنا ، وتشتيت صفوفنا ، وهو ضروري لرسم طريق الوحدة بوضوح وواقعية ، مثلما هو ضروري لتكون المساهمة العربية في اطار العالم الثالث على مستوى امكانياتها الحضارية .

لقد آن الاوان لان يجمع الثوريون والاشتراكيون العرب صفوفهم ضد الخونة والمنحرفين ولان يتخلصوا من الطقوس والتعاليم الجامدة التي تفرزها الكنائس الفكرية المختلفة ولان يفرقوا بين ما هو اساسي وما هو ثانوي .. ولان يصهروا اداة نظرية تنبثق من الارض العربية .

ان التجارب الثورية في الوطن العربي سبقت الصياغة الفكرية لمشاكله مما يجعل الجانب الفكري في طليعة الميادين التي تستأثر باهتمام الثوريين والاشتراكيين العرب . وهذا يصبغ على لقائكم اهمية بالغة لان اعمالكم تعين على ان تواصل الثورة العربية سيرها في طريق مأمون .

واذا كان انعقاد هذا اللقاء يعد خطوة هامة على طريق الثورة الاشتراكية فلا يجوز ان نكتفي بهذه النتيجة لان قيمتها تأتي من كونها بداية فقط ... اي ان لقاء اليوم لن يكون له معنى الا اذا نجحت اعماله بما يؤدي الى لقاءات اخرى تساعد على صهر فكر عربي اشتراكي موحد يكون خير سلاح على طريق الوحدة لان المصير المشترك يمر بتكييف الفكر وتوجيه التصور .

وانا على يقين انكم سترتفعون الى مستوى هذه المسؤولية التاريخية فطاب مقامكم بارض الجزائر .. وطابت نتائج اعمالكم والله يوفقكم ويسدد خطاكم .. والسلام عليكم .

ملحق رقم (٨)

بيان من ندوة الاشتراكيين العرب الاولى الى الشعب العربي

ان ندوة الاشتراكيين العرب الاولى المنعقدة في الجزائر استجابة لمبادرة الرئيس هواري بومدين باسم القيادة الثورية لهذا القطر العربي المناضل وتحسسا بضرورة وحدة القوى التقدمية العربية تحيّي ، وهي تتوجه ببيانها هذا الى الشعب العربي ، ثورة الجزائر الشامخة التي التقى في رحابها هذا الجمع من الاشتراكيين العرب لتبادل الحوار فيما بينهم وصولا الى فهم مشترك ، اكثر وضوحا وعمقا لقضايا الثورة العربية ولما يعزز التقاء القوى التقدمية العربية ويبني اسس وحدتها .

ولقد اتى انعقاد الندوة في ظل الاحداث العربية الراهنة يكسبها معنى تاريخيا خاصا يضاف الى ابعادها العميقة والأصيلة بصفتها الحدث الاول من نوعه على صعيد اللقاء بين الاشتراكيين العرب . لقد انعقدت الندوة في ظروف احتدام المؤامرة الامبريالية الصهيونية الرجعية على الوطن العربي ، والتي وضعت كل قوى التقدم العربي بكل فصائلها وجها لوجه امام القوى المعادية لحركة الثورة العربية بعد ان انهت القوى الثورية سياسة مؤتمرات القمة التي حاولت الرجعية استغلالها بضرب النضال العربي . فلقد كان التحرك الاسرائيلي تهديدا بالعدوان على الجمهورية العربية السورية ، ذروة لمؤامرة واسعة يستهدف من خلالها الحلف الاستعماري الصهيوني الرجعي استعادة مراكز نفوذه

المنهارة على الارض العربية . ولكن القوى الايجابية النامية لحركة الثورة العربية متمثلة فيالانظمة التقدمية المتحررة فيالجزائر والجمهورية العربية المتحدة وسوريا وفي حركة الجماهير العربية بقواها التقدمية والاشتراكية والثورية في سائر الاقطار العربية ، كل هذه القوى الايجابية تنصب اليوم جبهة واحدة في وجه المؤامرة السوداء . وهو امر يجعل النصر في هذه المعركة حتميا ، وقد بدأت طلائعه تظهر من خلال انتزاع القوى الثورية لزمام المبادرة في المعركة مع اسرائيل تمهيدا لتحرير فلسطين واستعادة عروبتها وتصفية الوجود الصهيوني فيها .

ان انعقاد ندوة الاشتراكيين العرب في هذه الظروف قد ضاعف من احساس كل المشتركين فيها بضرورة الوصول الى وحدة في الفكر وفي العمل تضع الاساس الراسخ لوحدة القوى التقدمية العربية .

ولقد ناقشت الندوة في جو من الحوار العلمي المسئول جملة القضايا المتعلقة بفهم طبيعة حركة الثورة العربية ومهماتها في هذه المرحلة التي تضمنها جدول اعمالها اساسا ، وفي طليعتها : قضايا الكفاح ضد الاستعمار المباشر والاستعمار الجديد في الوطن العربي ، ومناقشة قضايا التجربة في الاقطار ذات الانظمة التقدمية بروح التقييم والنقد العلمي ، ثم المسائل الرئيسية المتصلة بقضية النضال من اجل الاشتراكية والوحدة في الوطن العربي . كما ركزت الندوة جزءا كبيرا من اهتمامها على استكشاف الاسس الكفيلة بتحقيق وحدة القوى التقدمية العربية .

ولقد التقت مناقشات الندوة كلها عند نقطة مشتركة هامة مؤداها: ان السمة الاساسية لحركة الثورة العربيةهي انها حركة مجابهةللاستعمار والاقطاع والرأسمالية والتجزئة القومية في آن واحد . وان ذلك من شأنه ان يحدد للنضال الوطني العربي المجرى الذي يمكن ان يتكامل

من خلاله ويبلغ مداه ، وهو مجرى التحام الثورة الوطنيـــة بالثورة الاجتماعية على طريق التحول الاشتراكي والوحدة . وان ذلــك ليس مجرد تصور نظري نابع من ملاحظة سمات حركة الثورة في العالـــم الثالث ، والمجتمع العربي جزء منه ، بل ان الواقــع العربي يشهد الان فعليا ، ومنذ سنوات ، هذا التحول الهام في حركة التحرر الوطني نحو آفاق الاشتراكية بحيث اصبحت قضية التحول الاشتراكي محـــورا اساسيا لعملية الاستقطاب في المجتمع العربي .

ان هذا السير في طريق التحول الاشتراكي بكونه يحقق تصفيـة الاقطاع بالاصلاح الزراعي الجذري ويحقق التنمية الاقتصادية الشاملة في ظل ملكية الجماهير العاملة لوسائل الانتاج ، يفتح الطريق واسعـا للممارسة الديمقراطية الثورية الحقيقية ، بحيث تكون السلطة في يـد الجماهير العاملة سلاحا تستخدمه لبناء حياتها من جديد ولضرب مواقع الطبقات الاقطاعية والرأسمالية المعادية اصلا للتحرر الوطني وللتقـدم الاجتماعي والتحول الاشتراكي . وهو امر يضع بدوره قضية الوحدة العربية بين ايدي الجماهير ايضا صاحبة المصلحة الحقيقية فيها والقادرة على صنعها بمضمون ديمقراطي واشتراكي .

واذا كانت مستويات النضال العربي تتنوع الان وتختلف ضمن هذا الاطار التاريخي العام لحركة الثورة العربية ، فان نقطة اللقاء بين هذه المستويات جميعا تبقى متمثلة في كونها تواجه الان ــ في كل اقطار الوطن العربي ــ الاستعمار والانظمة الرجعية المرتبطة به والتي تحمي بمصالحها غير المشروعة حواجز التجزئة القومية المنتصبة علـى الارض العربيـــة .

ان الاستعمار الذي يتخذ في هذا العصر اشكالا جديدة ، يحاول ان يقود في الوطن العربي ثورة مضادة للتحريـر الوطني وللتقـــدم

الاجتماعي وافكار الاشتراكية وتطلعات الوحدة على كل المستويات . ان الولايات المتحدة الامريكية في نطاق الشيء تمثل القيادة العالمية للاستعمار الجديد (هي التي تقود الان المؤامرة الواسعة على الوطن العربي والتي تحرك اسرائيل والانظمة الرجعية وكل القوى الطبقية المستغلة في حركتها المنسقة والموحدة من اجل ضرب مواقع الثورة العربية . وان حركة الثورة العربية اذ تواجه اليوم مسؤولية ضد الثورة المضادة بسلاح قواها الايجابية اساسا ، فانها لا تواجه ذلك كله منعزلة او منفردة في عصر هو عصر انتصار الاشتراكية وحركات التحرر الوطني على الصعيد العالمي . ان حركة الثورة العربية تجد في علاقات الصداقة والتضامن والمساندة الشريفة مع بلدان المعسكر الاشتراكي والعالم الثالث وكل قوى التقدم والحرية في الارض ، ما يجعلها تكتسب مزيدا من القدرة على النهوض بمهماتها التاريخية والاسهام جديا في معركة الانسانية كلها ضد الامبريالية والاستعمار والاستغلال الرأسمالي .

ان الوضع الراهن الذي تجابهه حركة الثورة العربية في صدامها الحاسم مع الحلف الاستعماري الصهيوني الرجعي يعطي لمسألة وحدة القوى التقدمية العربية طابعها الملح والعاجل . واذ كان مفروضا في وحدة القوى التقدمية العربية ان تكون في النهاية اداة في مستوى انجاز الثورة الاشتراكية الحاسمة ــ على الصعيدين القطري والقومي ــ وفي مستوى تحقيق الوحدة العربية الكاملة ، فان الوصول الى ذلك لا بد ان يمر بمراحل ويتخذ اشكالا منبثقة عن الضرورات التي تحكم الواقع العربي الان . وتبقى القوى التقدمية في كل قطر عربي وعلى الصعيد القومي بالتالي ، هي الجهة القادرة ــ بنظرتها الموضوعية الى بعضها والى الواقع الذي تعيشه ــ على اكتشاف سبل وحدتها الممكنة والمطلوبة في النهاية .

وان ندوة الاشتراكيين العرب التي احتلت هذه المسألة مركز

الصدارة من اهتمامها وابحاثها ، ترى ان ظروف مجابهة الثورة المضادة في الوطن العربي الان ، تستلزم مبادرة سريعة من كل القوى التقدمية العربية لتعزيز ما هو قائم بينها من اشكال الوحدة ـ قطريا وعلى الصعيد القومي ـ ولاستكمال هذه الوحدة وتوسيع اطارها بحيث تتحقق لقاء الثوريين فيما بينهم فعليا) .

ان لقاء القوى التقدمية العربية ، باشكال عديدة ومتنوعة ، مهمة عاجلة تفرض نفسها استجابة للتحديات التي تجابهها الامة العربية . وفي اطار هذا اللقاء وفي حرارة المعركة مع الاستعمار والصهيونية والرجعية لا بد ان تكتشف القوى التقدمية العربية طرق تعزيز وتطوير وحدتها على كل المستويات .

وفي هذا النطاق فان وحدة الفكر تكتسب اهمية خاصة . ومن هنا كان المعنى التاريخي لندوة الاشتراكيين العرب الاولى . لقد كانت هذه الندوة فرصة ثمينة للقاء حميم ، جمع طليعة من الاشتراكيين في الوطن العربي في مناقشة حرة واسعة تكتشف مواطن الوحدة الفكرية والتعرف على كل ما هو قائم من تنوع في وجهات النظر وفي الافكار والتجارب. ولقد حققت الندوة من هذه الزاوية نجاحا كبيرا في ابراز الدلائل عليه اجماع المشتركين فيها على ان تكون نقطة انطلاق للقاءات مماثلة في المستقبل وباشكال اكثر تنظيما واتساعا وتمثيلا للقوى الاشتراكية العربية .

ان ندوة الاشتراكيين العرب ، اذ تختتم اجتماعاتها الاولى على ارض الثورة بالجزائر سوف تبقى شديدة التصميم على ان تواصل دورها كواحدة من ادوات تحقيق وحدة الفكر لحركة الثورة العربية في كل اجزاء الوطن العربي .

فهرست